



MOSTAFAALADWY.COM





MOSTAFAALADWY.COM





m

مقدمة هذه الطبعة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد:

فهذا كتاب «خطب العام» في ثوب جديد، جُمع في مجلد واحد بدلًا من مجلدين تيسيرًا على إخواني أئمة المساجد والخطباء والدعاة، فقد طلب مني بعض الفضلاء جمع المجلدين في مجلد واحد لتيسير توزيعه، فقام أخي الشيخ/ إبراهيم جاد بحذف خطبة الحاجة لتكررها وكذلك قام بحذف بعض الأدعية من نهايات بعض الخطب حتى يتيسر إخراج الكتاب في مجلد واحد، فجزاه الله خيرًا تيسيره، هذا مع الاحتفاظ بالمجلدين الأصليين على حالهما عند أخي الشيخ/ إبراهيم كذلك مكتبة مكة فإله أسأل أن يجازي إخواني وأخي الشيخ/ إبراهيم جاد خيرًا وأن ينفع بهذا الكتاب والمسلمين. وصل اللهم على نبينا محمد وسلم.

والحمد لله رب العالمين

كتبه

أبو عبد الله مصطفى بن العدوي

* * *



m

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة^(١).

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢).

(يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً. وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي

سَخَّرَ لَكُمْ مِنْهُ رِجْسًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا رَحِيمًا) (النساء: ١).

(يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) (٧٠) ﴿يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٠ - ٧١).

(١) زيادة كل ضلالة في النار الأقرب إلى نفسي ضعفها من ناحية الإسناد، إذ قد تفرد بها راوٍ غيره من الثقات الأثبات.

(٢) هذه الخطبة قد ورد منها جزء عند أبي داود (٢١١٨) وغيره من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:

علمنا رسول الله ﷺ خطبة الحاجة «وفي رواية خطبة الحاجة في النكاح وغيره» «إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله (يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً. وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ مِنْهُ رِجْسًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا رَحِيمًا) (١)».

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢)

(يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) (٧٠) ﴿يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا

(٧١)

هكذا رواه أبو داود مختصراً ليس فيه فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد...

وأخرج مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه حديث (٨٦٧): «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ. حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرٌ جَيْشٍ، يَقُولُ: صَبَّحْتُكُمْ وَمَسَاءْتُمْ وَيَقُولُ بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ



(١) هذه الآية كتبت خطأ عند أبي داود، فهي عند أبي داود (يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) والصواب ما أثبتناه.

= كَهَاتَيْنِ وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَابِيَّةِ وَالْوُسْطَى وَيَقُولُ: أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ. وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ. وَسِرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِأَهْلِهِ. وَمَنْ تَرَكَ دِينًا أَوْ ضِيَاعًا فَلِإِيَّيَّيَّ وَعَلَيَّ» .

وفي رواية عن جابر عند مسلم أيضاً: قال «كانت خطبة النبي ﷺ يوم الجمعة يحمد الله ويثني عليه ثم يقول على إثر ذلك وقد علا صوته» ثم ساق الحديث بمثله.

وفي ثالثة عند مسلم عن جابر قال: «كان رسول الله يخطب. يحمد الله يثني عليه بما هو أهله. ثم يقول: «مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ. وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَخَيْرُ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ».

وعند مسلم (حديث ٨٦٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما:

«أَنْ ضِمَادًا قَدِيمًا مَكَّةَ وَكَانَ مِنْ أَرْضِ شُرُوعَةٍ وَكَانَ يَرْقِي (١) مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ (٢) فَسَمِعَ سَفَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ. فَقَالَ: لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللَّهَ يَسْفِيهِ عَلَيَّ يَدِي. قَالَ فَلَقِيَهُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ وَإِنَّ اللَّهَ يَسْفِيهِ عَلَيَّ يَدِي مِنْ شَاءَ. فَهَلْ لَكَ (٣)؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَمَا بَعْدُ. قَالَ: فَقَالَ: أَعَدَّ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَوْلَاءُ. فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَ: فَقَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكُهَنَةِ وَقَوْلَ السَّحَرَةِ وَقَوْلَ الشُّعْرَاءِ فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَوْلَاءُ. وَلَقَدْ بَلَغَنَّا نَاعُوسَ الْبَحْرِ. قَالَ: فَقَالَ: هَاتِ يَدَكَ أَبَايَعُكَ عَلَى الْإِسْلَامِ. قَالَ: فَبَايَعَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَعَلَى قَوْمِكَ» قَالَ: وَعَلَى قَوْمِي قَالَ: فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَرِيَّةَ فَمَرُّوا بِقَوْمِهِ. فَقَالَ صَاحِبُ السَّرِيَّةِ لِلْحَيْشِ: هَلْ أَصَبْتُمْ مِنْ هَوْلَاءِ شَيْئًا؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَصَبْتُ مِنْهُمْ مَطْهَرَةً فَقَالَ: رُدُّوهَا فَإِنَّ هَوْلَاءَ قَوْمٌ ضِمَادٌ».

وفي الصحيح (٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «مَرَّ أَبُو بَكْرٍ وَالْعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِمَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الْأَنْصَارِ وَهُمْ يَبْكُونَ فَقَالَ مَا يُبْكِيكُمْ؟ قَالُوا: ذَكَرْنَا مَجْلِسَ النَّبِيِّ ﷺ مِثًّا، فَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ قَالَ: فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَدْ عَصَبَ عَلَى رَأْسِهِ حَاشِيَةَ بُرْدٍ، قَالَ: فَصَعِدَ الْمَيْدَانَ وَلَمْ يَصْعُدْهُ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَوْصِيكُمْ بِالْأَنْصَارِ».

ولما خرج أبو بكر (٥) يخبر الناس بوفاة رسول الله ﷺ حمد الله وأثنى عليه وقال: أَلَا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وَقَالَ: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) (٦) [النز: ٣٠] وَقَالَ: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَبْصُرَ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) (٧) [آل عمران: الآية ١٤٤].

وفي حديث الإفك (عند البخاري ٤٧٥٠) ومسلم (٢٧٧٠) أن النبي ﷺ دخل على أبي بكر وزوجته وعانشة =



وبعد:

فهذه مجموعة من الخطب المنبرية أعدتها لإخواني الخطباء والوعاظ، سائلًا الله سبحانه وتعالى أن ينفعني وإياهم بها وهي متعلقة بخطب الجمع، وصالحة أيضًا إن شاء الله لغير خطب الجمع، بل والله الحمد فهي بإذن الله نافعة بوجه عام إذ أغلب مادتها من قول الله وقول رسول الله ﷺ، ونعم الكلام كلام الله ﷻ وكلام رسوله ﷺ. ثم هذه لفظة وإشارة إلى المسلك العام الذي سلكته في هذا الكتاب أوضحه باختصار، والله المستعان.

أولاً: حرصت على سلامة المادة المستدل بها في هذا الكتاب فحرصت على إيراد

(١) «يرقى» من الرقية وهي العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة.

(٢) «من هذه الرياح» المراد بالريح هنا: الجنون ومس الجن.

(٣) «فهل لك» أي: فهل لك رغبة في رقيتي، وهل تميل إليها.

(٤) البخاري (٣٧٩٩)، والنسائي «الفضائل» (٢٤١).

(٥) أخرج ذلك البخاري في «صحيحه» (٣٦٦٧، ٣٦٦٨).

= ﴿يَرْقِيهِ﴾ فتشهد حين جلس ثم قال: أما بعد يا عائشة.

وفي قصة الواهبة: التي زوجها رسول الله ﷺ للرجل لما معه من القرآن لم يذكر أن النبي ﷺ تلا خطبة الحاجة «أخرجه البخاري (٥١٤٩) ومسلم (ص ٥٨٤).

فعلمنا بعد هذا القدر اليسير الذي أوردناه أن خطبة الحاجة المطولة التي سقتها في صدر هذا الكتاب، والمشملة على إن الحمد لله نحمده... وكذا الآيات الثلاثة... وكذا فإن أصدق الحديث كتاب الله...

هذه «الفقرات الثلاث» مجتمعة لم أقف عليها في حديث واحد، إنما هي مأخوذة من مجموعة أحاديث فإن قال بها أحدٌ من الخطباء فهو أمر جائز ولا مانع منه، بل وهو ذكر الله عز وجل وإن اجتزأنا ببعضها فهذا فعل رسول الله ﷺ، قال بعضها في مواطن، وبعضها في مواطن آخر.

وإذا حمدنا الله عز وجل وأثنينا عليه بما هو أهله بصيغ آخر وتشهدنا فهذا أيضًا جائز. أما أن يلزم الخطباء بذكر خطبة الحاجة المطولة التي قدمناها فلا أعلم للإلزام مستندًا. ولا أعلم لسنتها مجتمعة أيضًا إلا أنها كما بينا من باب المباح أو المستحب ولما قدمناه.

ثم إن أفعال سلفنا الصالح يرحمهم الله على تنويع المقدمات التي يقدمون خطبهم فالوارد عنهم في هذا الصدد مقدمات منوعة واستفتاحات متعددة.

وهذا تنويه آخر أيضًا ألا وهو أن خطبة الحاجة كما بيناها من حديث ابن مسعود أيضًا، ليس فيها لفظ «ونستهديه».

ولكن إن قالها قائل بناء على ما ورد في الحديث القدسي الذي أخرجه مسلم وغيره «فاستهوني أهدكم» فلا مانع من ذلك، فكما بينا أن خطبة الحاجة المطولة لم ترد كلها في حديث واحد، وإنما أخذت من مجموعة أحاديث والله تعالى أعلم.



صحيح الأحاديث وصحيح الآثار واتقيت ضعيفها، وحكمت على حديثها بما يستحقه من الصحة أو الحسن، أو الضعف إن وجد.

ثانياً: أوردت ما يتعلق بأصول الموضوعات التي أتناولها وأردفت في بعض الأحيان حواشي لا يستغنى عنها.

ثالثاً: بالنسبة للتخريج فقد كنت فيه مقتصدًا؛ إذ المقام لا يسمح بالانتساع في التخريج، ثم إن الانتساع في التخريج ليس له كبير فائدة هاهنا، فيكفي إذا كان الحديث في البخاري أو في مسلم أو فيهما معًا العزو إليهما، وليس ثمَّ كبير فائدة للخطباء لعزوه إلى الترمذي والنسائي مثلًا وهو في الصحيحين، اللهم إلا إذا كانت هناك زيادة في متنه يستفاد منها لبيان أو لغيره، فحينئذ نورد هذه الزيادة مع تخريجها بالقدر المؤدي للغرض.

رابعاً: هناك من الموضوعات موضوعات لا تكفيها خطبة واحدة فجعلتها في خطبتين على أن تقوم كل خطبة منهما بذاتها وتصلح أن تكون خطبة مستقلة.

خامساً: حرصت على سهولة الألفاظ ووضوح العبارات.

سادساً: استفدت كثيرًا من الكتب التي صنفتها بحمد الله في موضوعات مختلفة وأوردت منها، وكذا من سائر الخطب التي ألفتها ما يتناسب مع المقام هاهنا.

سابعاً: حرصت، والله الحمد على تقدمة تتعلق بالخطيب وما ينبغي أن يلاحظه ويراعيه إلى أن أفرد ذلك في مصنفٍ إن شاء الله تعالى.

هذا وقد رأيت أن تخرج هذه الخطب في مجلدين إن شاء الله وأن يكون عددها يوافي عدم جمعات العام أو يزيد بإذن الله، وكذا تتخللها إن شاء الله من خطب متعلقة بالمواسم والأعياد والنوازل والمناسبات، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم إنني أرجو الله سبحانه وتعالى أن يتقبل مني عملي هذا بقبول حسن، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين.

وأرجو من إخواني المسلمين بارك الله فيهم، وسدد الله خطاهم إذا وجدوا خللاً أن يقدموا النصح لأخ لهم في الله، له عليهم حق النصح، ولهم من الله عظيم الأجر والثواب وأخيراً أسأل الله أن يرفع راية المسلمين عالية فوق كل الرايات، وأن يحفظ الإسلام وأهله من كل مكروه وسوء.



المقدمة

الجزء الأول



وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين،
وإلى موضوع الكتاب، وبالله التوفيق.

كتبه

أبو عبد الله مصطفى بن العدوي
مصر الدقهلية منية سمند

MOSTAFAALADWY.COM





آداب الخطيب

وبين يدي الخطب أقدم تذكيراً لِنَفْسِي ولِإِخْوَانِي الْخُطَبَاءِ؛ فَأَقُولُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقِ:
لقد امتن الله سبحانه وتعالى على الإنسان بتعليمه البيان.

قال تعالى: (خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝) (الرَّحْمَنُ: الآيتان ٣ ، ٤).
والبيان بيانان (١) بيان بالقلم وبيان باللسان.

قال تعالى: (أَفْرَأَيْتُمْ أَكْفَأَكُمْ مَن عَمِلَ الصَّالِحَاتِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُكْسِبُ أَيْدِيكُمْ وَأَعْلَمُ بِمَا تَدْعُونَ ۚ أَلَمْ يَلْقَ سَئِرًا ۚ يَلْعَبُ ۚ لَئِن لَّمْ يَظْهَرْ لَهُ ۙ لَآتِي ۚ لَئِن لَّمْ يَرَهُ ۙ لَآتِي ۚ وَهُوَ السَّامِعُ ۚ) (الأنعام: الآية ١١٤).

وتعليم البيان، كما أشرنا نعمة من الله ﷻ يمن بها على من يشاء من عباده.
ومن ثم فقد دعا نبي الله موسى عليه السلام ربه فقال: (وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي ۖ يَفْقَهُوا قَوْلِي ۝) (طه: الآيتان ٢٧ ، ٢٨).

أيها الأخوة: إنكم على ثغر من ثغور الإسلام فيجب أن تتقنوا حمايته، وأن تذبوا عنه، وتدافعوا عنه حق الدفاع.

اعلموا ببارك الله فيكم أنكم مبلغون عن الله ورسوله فالحذر الحذر من القول على الله بغير علم إذ الله قال: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ۝) (الإسراء: الآية ٣٦).

وقال تعالى: (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝) (الأنعام: الآية ١٤٤).

واحذروا كتمان العلم الذي يحتاج إليه الناس قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۖ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ۝) (١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّوْا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝) (البقرة: الآيتان ١٥٩ ، ١٦٠).

أيها الأخوة الخطباء: لقد استحفظتم كتاب الله ﷻ فلا تخشوا الناس واخشوا ربكم، ولا تأخذكم في الله لومة لائم. ولا تشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً.

ألا فاعلموا أيها الأخوة: أن الله يحفظكم بتبليغكم أمره إلى خلقه وكذا تبليغكم عموم الكتاب.

اقرأ قول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ

(١) هناك من أنواع البيان: بيان بالإشارة وبيان بالنظرات ونحو ذلك، لكن لقلتها لا نرجع عليها.



يَعَصُّكُمْ مِنَ النَّاسِ ۗ) [المائدة: الآية ٦٧].

فانظروا إلى قوله: (بَلِّغْ) وقوله: (وَأَلَّهِ يَعَصُّكُمْ مِنَ النَّاسِ) [المائدة: الآية ٦٧].
وكذا فتدبروا قول الله تعالى: (الَّذِينَ يَلْمُزُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّ اللَّهَ يَحْسَبُونَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهُ وَكَفَىٰ
بِاللَّهِ حَسِيبًا ۝٣٩) [الأحزاب: الآية ٣٩] وفي الحديث: «احفظ الله يحفظك».
جدوا أنفسكم لله أيها الخطباء، تناولوا بذلك نصر الله.

قال تعالى: (وَلِيِّنَّا جُنُودًا لَّهُمُ الْغَالِبُونَ ۝١٧٣) [الصفافات: الآية ١٧٣].

ثم ها هي أيها الأخوة تذكرة لنفسي ولكم أسوقها سائلاً الله أن ينفعي وإياكم بها.

فأقول، وبالله التوفيق، ومنه العون والساد:

* عليكم أيها الأخوة بالإخلاص في القول والعمل^(١) فالأعمال إنما هي بالنيات،
فلا تتسببوا في هداية الناس وتضلوا أنفسكم، فكونوا أولى الناس بالخير.
* عليك أيها الأخ الخطيب أن تحرص على سلامة المادة العلمية التي تقدمها للناس
وصحتها وأن تتحرى الثابت الصحيح عن رسول الله ﷺ ولا تتحدث بالموضوع
والمكذوب والمختلق والمصنوع. فقد قال رسول الله ﷺ: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ
مقعده من النار»^(٢).

* فكم من شخص يقوم واعظاً مذكراً وينسب لرسول الله ﷺ ما لم يقله وما لا يصح
عنه فيفسد الواعظ حينئذ ولا يصلح، ويبتعد ولا يقترب ويضل ولا يهدي.
وخير ما يقدم للناس من علم كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ: قال تعالى: (فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ
مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ۝٤٥) [اق: الآية ٤٥].

وقال تعالى: (فَأَيُّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ۝٦) [الجاثية: الآية ٦].

وقال تعالى: (وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحِثُّهُمْ ذِكْرًا ۝١١٣)
[طه: الآية ١١٣].

وقال رسول الله ﷺ: «بلغوا عني ولو آية»^(٣).

وقال ﷺ: «نضر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها ثم أداها كما سمعها»^(٤).

(١) وستأتي خطبة في ثنايا هذا الكتاب في هذا الموضوع إن شاء الله.

(٢) حديث صحيح متواتر.

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٣٤٦١).

(٤) صحيح متواتر.



فأية تفسر وتستنبط الأحكام منها، وحديث يشرح وتوضح الأحكام المأخوذة منه خير من القيل والقال، وأثوب وأعظم أجراً، وأهدى سبيلاً.

وكذلك مسألة فقهية توضح بأدلتها أو موعظة بليغة: من كتاب الله وسنة رسوله □ تحدث في القلوب تأثيراً، فكل ذلك مستحب للخطيب فعله، ومرجو من الله أجره، وللناس نفعه!!

وإذا حدث الخطيب أحياناً وذكر بإسرائيليات توافق شريعتنا لغرض صحيح، وقصد نبيل، فلا بأس بذلك ففي الحديث عن رسول الله □: «وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج» (١)

وكذا يستحب للخطيب تعريف الناس بربهم ﷻ بأسمائه وصفاته وسننه في خلقه، ودلائل وحدانيته.

وكذلك يستحب للخطيب تعريف الناس عموماً بأحكام الدين وبسير الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

قال تعالى: (فَأَقْصِرْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾) [الأعراف: الآية ١٧٦].

وقال تعالى: (لَقَدْ كُنَّا فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ) [يوسف: الآية ١١١].

وقال تعالى: (وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَحْنُ بِرَبِّهِ قُوَادِكِ) [هود: الآية ١٢٠].

كذلك يستحب للخطيب تذكير الناس بالجنة والنار.

وعلى الخطيب أن يحرص على جوامع الكلم وهي الكلمات اليسيرة التي تحمل معاني غزيرة:

فقد منَّ الله ﷻ على داود عليه السلام بالحكمة وفصل الخطاب، فقد قال تعالى: (وَأَيُّنَهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخُطَابِ ﴿٢٠﴾) [ص: الآية ٢٠] (٢)

ومنَّ الله ﷻ على نبيينا محمد □ بجوامع الكلم فقال □: «وأوتيت جوامع الكلم» (٣)

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦١).

(٢) من العلماء من قال: إن فصل الخطاب حاصله أنه يفصل في المشاكل والمسائل بكلمات موجزة قاطعة للنزاع، وثم أقوال أخر منها: أن فصل الخطاب قول أما بعد.

(٣) لفظ مسلم حديث (٥٢٣) «فضلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم» وفي لفظ آخر عند مسلم (ص ٣٧٢) «وأوتيت جوامع الكلم».



لقد كان صلوات الله وسلامه عليه يتكلم عليه بتكلم كلمات قليلة تحمل عظيم المعاني، لقد كان يتكلم كلاماً لو عدّه العادُّ لأحصاه ^(١) فترى كلمات رسول الله جامعة نافعة مفيدة. كقوله □ : «قل آمنت بالله ثم استقم» ^(٢) .
 وكقوله: «من صمت نجاً» ^(٣) .
 وكقوله: «فليقل خيراً أو ليصمت» ^(٤) .
 وكقوله: «إنما الأعمال بالنيات» ^(٥) .

إلى غير ذلك من الكلمات القليلة التي تحمل معاني جليلة وعظيمة.

كذلك فعلى الخطيب أن يحرص على القول البليغ امتثالاً لأمر الله ﷻ إذ قال: (وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ^(٦)) [النساء: الآية ٦٣] أي: يبلغ قلوبهم، فتنأثر قلوبهم به. وقد قال العرابض بن سارية رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله □ ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظةً بليغةً ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال: قال يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟!.. الحديث ^(٦) .
 وأيضاً قد صح عن رسول الله □ أنه قال في شأن موسى عليه السلام ^(٧) «موسى عليه السلام ذكر الناس يوماً حتى إذا فاضت العيون ورقت القلوب ولى».

فالقول البليغ الذي يخرج من القلوب وتحسن إخراجهِ وإصالهِ الألسن يجد بإذن الله صدى طيباً في نفوس من أراد الله لهم الانتفاع بالذكرى. فالقول البليغ يؤثر في نفوس الناس كلًّا بحسبه.

فترى الشخص الفقير يسمع القول البليغ المعزز بأيات من كتاب الله وسنة رسول الله □ فيرضى بفقره ويحمد الله على سلامته من كثرة المال التي تؤدي إلى شدة

وفي الصحيحين عند البخاري (٢٩٧٧) ومسلم (٣٧١) من حديث أبي هريرة قال رسول الله □ : «بعثت

بجوامع الكلم» وفي لفظ للبخاري (٦٩٩٨) وأعطيت مفاتيح الكلم.

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٥٦٧) ومسلم (٢٤٩٣).

(٢) أخرجه مسلم (حديث رقم ٣٨).

(٣) أخرجه عبد بن حميد في «المنتخب» (٣٤٥) وأحمد في «المسند» (١٥٨/٣، ١٧٧).

(٤) أخرجه البخاري (حديث ٦٤٧٥) ومسلم (حديث ٤٧).

(٥) أخرجه البخاري (حديث ١)، ومسلم (حديث ١٩٠٧).

(٦) أخرجه أبو داود (حديث ٤٦٠٧) وهو صحيح.

(٧) البخاري (حديث ٤٧٢٦).



الحساب يوم القيامة.

إنه يرضى بفقره إذا ذكره الخطيب بأسوة له من أهل الفضل والصلاح، فيحمد الله ويرضى بقضائه وقدره!!!

كذا ترى الغني إذا سمع خطبة بليغة في الغنى وفضل المال الصالح للعبد الصالح، وسمع الحث على الصدقة والترغيب فيها يبادر حينئذ بالصدقة والإنفاق، والبذل والعطاء.

وهذا المحسن المتصدق الذي سن في الناس سنة حسنة فتبعه الناس عليها، ما الحامل على صدقته التي تصدق بها، إنها كلمات بليغة سمعها عن رسول الله ﷺ، وها هو الحديث بذلك أخرج مسلم ^(١) في «صحيحه» من حديث جرير قال: «كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ قَالَ: فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاءَ عُرَاهُ مُجْتَابِي النَّمَارِ أَوْ الْعَبَاءِ ^(٢) مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ. بَلَّ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ فَنَمَعَر ^(٣) وَجَهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ. فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ. فَأَمَرَ بِأَلَا فَادَنَ وَأَقَامَ فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ: (تَأَيُّبُ النَّاسِ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِلْدٍ) [النساء: الآية ١] إلى آخر الآية: (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) ^(٤) [النساء: الآية ١] وَالآيَةُ الَّتِي فِي الْحَشْرِ: (اتَّقُوا اللَّهَ وَلَتَنْظُرَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ) [الحشر: الآية ١٨] تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ -حَتَّى قَالَ- وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بَصُرَةً كَادَتْ كُفَّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا. بَلَّ قَدْ عَجَزَتْ قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ. حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَنْهَلُ ^(٥) كَأَنَّهُ مَذْهَبَةٌ ^(٥) فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ. مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ. وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ».

(١) أخرجه مسلم (١٠١٧).

(٢) أي: لابسى الثياب المخططة خطوطا كالتى على النمرور. وأما العباءة فهي جمع عباية «وهي معروفة حتى الآن».

(٣) تمعر: تغير.

(٤) يتهلل أي: يستنير.

(٥) مذهبة أي: مستنيرة.



إن أساور الذهب والخواتيم العظام وكذا العقد والسخاب، كل ذلك قد انهال في حجر بلال بن رباح رضي الله عنه بعد خطبة النبي ﷺ البليغة للنساء يوم العيد ^(١).
 إن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يجلسون وكان الطير على رؤوسهم وهم يسمعون من رسول الله ﷺ حديثه لبلاغة حديثه وصدق حديثه وحسن مقاله صلوات الله وسلامه عليه.

أخرج مسلم في «صحيحه» ^(٢) من حديث حنظلة الأسدي قال: «لَقِينِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ؟ يَا حَنْظَلَةُ! قَالَ: قُلْتُ: نَافِقٌ حَنْظَلَةُ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ. حَتَّى كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَافَسْنَا ^(٣) الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيِّعَاتِ ^(٤). فَنَسِينَا كَثِيرًا. قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا. فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ: نَافِقٌ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَمَا ذَاكَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! نَكُونُ عِنْدَكَ نُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ. حَتَّى كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ. فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيِّعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذُّكْرِ، لَصَافَحْتُكُمْ الْمَلَائِكَةَ عَلَى فُرْشِكُمْ وَفِي طَرَفِكُمْ. وَكُنْ، يَا حَنْظَلَةُ! سَاعَةً وَسَاعَةً ثَلَاثَ مَرَّاتٍ».

وكذا فالخطب البليغة تردع الظالم عن ظلمه وترطب على قلب المظلوم وتطمئنه!!
 إنها تحمل المسيء على التوبة، وتحمل المحسن على الازدياد من صالح الأعمال!!
 إنها ترد الناشز إلى بيتها، وترهب الزوج الظالم وتلين قلبه بإذن الله!!
 إنها تؤلف القلب وياذن الله بين القلوب المتنافرة، وتقارب بين النفوس المتباعدة!!!
 وترى الجبان إذا سمع خطبة بليغة في الشجاعة وسير الشجعان، وبذل نفسه في سبيل الله وطاعة الله ورسوله.

أما الشجاع فإذا سمع خطبة بليغة في الشجاعة زادت هذه الخطبة شجاعة وإقداماً.

(١) انظر البخاري (حديث ٩٧٨) ومسلم (حديث ٨٨٥) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه وكذا فانظر

البخاري (حديث ٩٧٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) مسلم (حديث ٢٧٥٠).

(٣) اشتغلنا بالأزواج ومازحناهم.

(٤) ضيعة الرجل: أمواله وأرضه وأعماله.



فها هو عمير بن الحمام يسمع من رسول الله ﷺ كلمة واحدة فتري ماذا صنع؟ إنه سمع من رسول الله ﷺ كلمة يوم بدر ألا وهي: «قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض»، فتري ماذا صنع؟! لقد قال يا رسول الله، جنة عرضها السماوات والأرض؟! قال: «نعم» قال: بخ بخ فقال له رسول الله ﷺ: «ما يحملك على قول بخ بخ؟» قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: «فإنك من أهلها» فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منها، ثم قال: لئن أن حييت حتى أكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة! فرمى بما كان معه من تمرات ثم قاتلهم حتى قتل (١).

إن البيان الحسن يسحر القلوب ويحولها، وقد قال ﷺ: «إن من البيان لسحراً» كما ثبت في الصحيح (٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قدم رجلان من المشرق فخطبا فعجب الناس لبيانهما، فقال رسول الله ﷺ: «إن من البيان لسحراً -أو- إن بعض البيان سحر».

فقد يبالغ الشخص في الوصف ويسترسل في الحديث بطريقة تقنع من يستمع إليه بقبول حديثه والاستماع له والإنصات، وذلك بتزيين الكلام وتحسين العبارات وتحرير الألفاظ، وكل ذلك بإذن الله.

وحكم ذلك يختلف باختلاف المقاصد، فإذا كان الشخص يزين الكلام ويحسن العبارات ويحبر الألفاظ لتقرير الحق ففعله محمود وسعيه مشكور أما إذا كان هذا التحسين والتحبير لتزيين الباطل وقلب المعروف منكرًا والمنكر معروفًا وإهدار الحقوق، فهذا فعلٌ مذموم، وفاعله من إخوان الكهان كما قال رسول الله ﷺ: «ففي «الصحيحين»» (٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قضى في

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٩٠١).

(٢) البخاري (حديث ٥٧٦٧).

(٣) البخاري (حديث ٥٧٥٨)، ومسلم (ص ١٣١٠)، وفي بعض روايات الصحيح: أسجع كسجع الأعراب.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله الباري «فتح الباري» طبعة الريان (٢٩٩/١٠): قوله: «إنما هذا من إخوان الكهان» أي: لمشابهة كلامه كلامهم، زاد مسلم والإسماعيلي من رواية يونس: «من أجل سجعه الذي سجع» قال القرطبي: هو من تفسير الراوي، وقد ورد مستند ذلك فيما أخرجه مسلم في حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه؛ فقال: رجل من عصابة القاتلة يغرّم فذكر نحوه وفيه: فقال رسول الله ﷺ: «أسجع كسجع الأعراب؟» والسجع هو تناسب آخر الكلمات لفظًا، وأصله الاستواء، وفي الاصطلاح الكلام المقفى والجمع أسجاع وأساجيع، قال ابن بطال: فيه ذم الكفار وذم من تشبه بهم في ألفاظهم، وإنما لم



امرأتين من هُدَيْلٍ افْتَنَلْنَا، فَرَمَتْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى بِحَجَرٍ، فَأَصَابَ بَطْنَهَا وَهِيَ حَامِلٌ فَفَقَلْتُ وَلَدَهَا الَّذِي فِي بَطْنِهَا، فَأَخْتَصَمُوا إِلَى النَّبِيِّ □ فَقَضَى أَنْ دِيَةَ مَا فِي بَطْنِهَا غُرَّةٌ عَبْدٌ أَوْ أَمَةٌ. فَقَالَ وَلِيُّ الْمَرْأَةِ الَّتِي غَرَمَتْ: كَيْفَ أُغْرِمُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ لَمْ يَشْرَبْ وَلَمْ يَأْكَلْ، وَلَمْ يَنْطِقْ وَلَمْ يَسْتَهْلَعْ، فَمِثْلُ ذَلِكَ يُطَلُّ. فَقَالَ النَّبِيُّ □: «إِنَّمَا هَذَا مِنْ إِخْوَانِ الْكُهَّانِ».

وكما قال □: «إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ الْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضِ فَأَقْضِي لَهُ عَلَى نَحْوِ مِمَّا أَسْمَعُ مِنْهُ؛ فَمَنْ قَطَعْتَ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْهُ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ بِهِ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ» (١).

وفي «سنن الترمذي» (٢) بإسناد حسن عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله □ قال: «إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة».

وعلى الخطيب ملاحظة الآتي أيضاً:

إتقان الأحكام الفقهية المتعلقة بالخطبة، وكذا المتعلقة به كخطيب، وما الذي يجوز له، وما الذي لا يجوز له.

وعلى الخطيب أن يطالع سنة رسول الله □ وطريقته في الخطب:

فقد كان النبي □ يخطب أحياناً بسورة «ق» (٣)، قال أيضاً في خطبة خطبها (وَأَدَاؤُهَا يَكْمَلُكَ لِيَقْضَى عَلَيْكَ رَبُّكَ) [الزخرف: الآية ٧٧] (٤).

وأحياناً كان يقدم خطبة الحاجة الواردة في حديث ابن مسعود، وأحياناً يقدم الخطبة

يعاقبه لأنه □ كان مأموراً بالصفح عن الجاهلين، وقد تمسك به من كره السجع في الكلام، وليس على إطلاقه، بل المكروه منه ما يقع من التكلف في معرض مدافعة الحق، وأما ما يقع عفواً بلا تكلف في الأمور المباحة فجاز، وعلى ذلك يحمل ما ورد عنه □.

والحاصل: أنه إن جمع الأمرين من التكلف وإبطال الحق كان مذموماً، وإن اقتصر على أحدهما كان أخف في الذم، ويخرج من ذلك تقسيمه إلى أربعة أنواع: فالمحمود ما جاء عفواً في حق، ودونه ما يقع منكلفاً في حق أيضاً، والمذموم عكسهما.

(١) البخاري (حديث ١٧٨١)، ومسلم (١٧١٣).

(٢) الترمذي (٢٨٥٣)، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(٣) أخرج مسلم (حديث ٨٧٢) من حديث أخت لعمره «بنت عبد الرحمن» قالت: أخذت (قَ وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدِ) من في رسول الله □ وهو يقرأ بها على المنبر في كل جمعة.

(٤) أخرج البخاري (٤٨١٩) ومسلم (٨٧١) من حديث صفوان بن يعلى عن أبيه قال: «سمعت النبي □ يقرأ على المنبر: (وَأَدَاؤُهَا يَكْمَلُكَ لِيَقْضَى عَلَيْكَ رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِينُونَ) (الزخرف: ٧٧)».



بجزء من خطبة الحاجة.

وكذا التشهد ^(١) في الخطب والاستغفار والدعاء ونحو ذلك. وكان يقول: «إن طول صلاة الرجل، وقصر خطبته مئنة ^(٢) من فقهه، فأطيلوا الصلاة وأقصروا الخطبة وإن من البيان لسحراً» ^(٣).

حسن الإعداد للخطبة وحسن اختيار مادتها فقد قال الله تبارك وتعالى: (وَلَوْ أَرَادُوا

الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً) [التوبة: الآية ٤٦].

وها هو عمر رضي الله عنه قد أعدَّ لذهابه إلى سقيفة بني ساعدة خطبة وكلاماً وهياًه لإلقائه على الأنصار هنالك.

إن الخطيب ينبغي أن يكثر في خطبته من تذكير الناس بالله عز وجل فالسعي إلى الجمعة إنما يكون لذلك، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَوَدَّعَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ) [الجمعة: ٩].

ولم يقل فاسعوا إلى ذكر فلان وفلان.

فعلى إخواننا الخطباء أن يقتصدوا في ذكر أسماء الأشخاص على المنابر، ويا حبذا لو اتقوا ذلك قدر استطاعتهم فلم يعهد أن النبي ﷺ كان يذكر أقواماً في خطب الجمعة بأسمائهم خاصة في معرض الذم، وإنما كان يقول: «ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا».

*** ويستحب للخطيب أن يفصل ويتوسع في ذكر الخير والبر، ويختصر اختصاراً عند**

ذكر الجرائم والحوادث والشور وذلك حتى يعلق الخير بالقلوب وتعلق القلوب به، ويأخذ خيراً منها أما إذا فصل في ذكر الشر فإن ذلك يستحوذ على تفكير الناس ويشغلهم وربما استزلهم الشيطان من هذا الباب وصور لهم في صلاتهم ما حكاه الخطيب من الجرائم فيفسد عليهم صلاتهم بذلك ويذهب بخشوعها ونرى على سبيل المثال يوسف الصديق ﷺ يجل في ذكر الحادثة التي وقعت مع امرأة العزيز فيقول: (هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي) [يوسف: الآية ٢٦] ولا يفصل بل يختصر اختصاراً ويوجز إيجازاً وقد قال تعالى أيضاً: (لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوِّءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ) [النساء: الآية ٤٨].

انتقاء الكلمات واختيار الألفاظ والعبارات:

(١) المراد: الشهادتان «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله».

(٢) منته أي: علامة.

(٣) مسلم (حديث ٨٦٩).



* وينبغي أن تنتقي الكلمات وتختار الألفاظ والعبارات التي تؤدي إلى الغرض المطلوب فالرفق ما كان في شيء إلا زانه وما نزع من شيء إلا شانه^(١) كما قال الرسول □ فالكلمة الواحدة يمكن أن تجلب همًا وغمًا ويمكن أن تبدل بكلمة تجلب انتشارًا وسعادة وها نحن نورد بعض نماذج ذلك.

فرق بين قولك لشخص ضربه وظلمه: أين المضروب؟ وبين قولك أين صاحب الحق؟ فالمضروب هو صاحب الحق، ولكن في قولك له: أين المضروب؟ أو أنت المضروب: مزيد إهانة وإذلال، لكن في قولك: أين صاحب الحق؟ ردًا للأمر إلى نصابها.

وفرقت كذلك بين قولك إذا ناديت قومًا في بيتهم نارًا موقدة: يا أهل النار، أو: يا أصحاب النار، وبين ندائك لهم: يا أهل الضوء، أو: يا أصحاب النور.

وكذلك ثم فرق بين قولك لرجل تزوج باثنتين: من هي الزوجة القديمة؟ وقولك: من هي الزوجة الأولى، أو: بين قول الزوج نفسه متحدًا عن زوجته: الزوجة القديمة، وبين قوله: الزوجة الأولى أم فلان وأم فلان بكنيتها.

وانظر أيضًا إلى ما في هذه الآية الكريمة، فقد قال الله تعالى: (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَصَافَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ) (٢٥) [التوبة: ٢٥].

فأثبت الله تعالى أن بعض الصحابة يوم حنين ولوا مدبرين، ولكن لما سئل البراء بن عازب^(٢) عن البراء بن عازب^(٢)، جاءه رجل فقال له: يا أبا عمارة أتوليت يوم حنين؟ فقال: أما أنا فأشهد على النبي □ أنه لم يول...».

وفي رواية: «أفررتم^(٣) عن رسول الله □ يوم حنين؟ فقال: لكن رسول الله □ لم يفر...».

فقد يتوهم السائل من إجابة البراء إذ أجابه بقوله: «نعم فررنا» أن رسول الله □ فر معهم، فأراد البراء أن يدفع هذا التوهم بقوله: لكن رسول الله □ لم يفر، فنعم هذا الأدب.

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٥٩٤) ولفظه: «فإن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه».

(٢) البخاري (٤٣١٥).

(٣) البخاري (٤٣١٧).



وقد قال النووي رحمه الله تعالى: هذا الجواب من بديع الأدب لأن تقدير الكلام: فررتم كلكم؟ فيدخل فيهم النبي □ ، فقال البراء: لا والله ما فر رسول الله □ .

توقير الأنبياء عند ذكرهم

وكذا الترضي والترحم على أهل الفضل والصلاح

فعلى الخطيب إذا ذكر نبينا محمداً □ أن يُصلي عليه ويسلم، وكذا غيره من الأنبياء، وإذا اجتزأ بالسلام على غيره من الأنبياء فهو جائز أيضاً. وقد قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (الأحزاب: ٥٦).

وكذا إذا ذكر أهل الفضل والصلاح يدعو لهم ويترحم عليهم ويترضى عليهم خاصة إذا كانوا من الصحابة رضوان الله عليهم. وقد قال تعالى: (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا) (الحشر: ١٠).

مخاطبة الناس على قدر عقولهم

وهذا باب من الأهمية بمكان، فانظر إلى أفهام الأشخاص قبل أن تحدثهم، ولا تفتن الناس بحديثك، وانظر ماذا تريد منهم، ومن ثم وجه الخطاب بالقدر الذي يفهمونه ويتحملونه فحينئذ يفهم عنك مرادك وتجاب إلى طلبك. أخرج البخاري (١) من حديث علي رضي الله عنه، قال: «حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله».

وفي «مقدمة صحيح مسلم» من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال: «ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة» (٢). وهاهو رسولنا □ يخبر بعض أصحابه ببعض أنواع العلوم دون الآخرين:

(١) البخاري (حديث ١٢٧).

(٢) رواه مسلم «في المقدمة» من طريق عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن عبد الله بن مسعود قال: فذكره ... (ترتيب محمد فؤاد ص ١١).

قلت: وإسناده منقطع، ومقدمة «مسلم» ليست على شرط «الصحيح».



ففي «الصحيحين»^(١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي ﷺ ومُعَاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ، قَالَ: «يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ» قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «يَا مُعَاذُ» قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ «ثَلَاثًا» قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا قَالَ: «إِذَا يَتَكَلَّمُوا» وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأْتِمًا^(٢).
فانظر إلى قوله: «إِذَا يَتَكَلَّمُوا». وفي الرواية الأخرى^(٣) ألا أبشركم؟ قال: «لا، إني أخاف أن يتكلموا».

ونحوه في «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ أمر أبا هريرة أن يبشركم بذلك الناس، فلقبه عمر فدفعه، وقال: ارجع يا أبا هريرة ودخل على إثره، فقال: يا رسول الله لا تفعل، فإني أخشى أن يتكلم الناس، فخلهم يعملون، فقال: «فخلهم»^(٤).

فانظر إلى الكلام النافع الذي ينتفع به الناس فحدثهم به، أما الكلام الذي يفهم على غير وجهه فاتقه واجتنبه، وخاصة إذا كان الناس سيقعون في الضرر بسببه.
وعلى الخطيب مراعاة أحوال المصلين وقدرات المصلين وماذا يريد منهم وينتقي من الكلمات ما ينفعهم ولا يحملهم ما لا يطيقون ولا يهتمون.
وعلى الخطيب أن يشارك الناس مشاعرهم ومشاكلهم وهمومهم، ويخرج من كتاب الله لهم وكذا من سنة رسول الله ﷺ وسير أهل الفضل والصلاح ما تستقيم به أمورهم وتنصلح به أحوالهم وتطيب به نفوسهم وتتجبر به خواطرهم ولا يكن في وادٍ وهم في وادٍ آخر. فالمرجو منه فيه أن يكون طبيباً معالِجاً، وواعظاً مذكراً، ومبلغاً عن الله عز وجل.

تقديمات تتناسب مع موضوع الحديث

ويستحب أن يتقدم الخطيب بكلمات تتناسب مع ما سيذكر من الحديث، كتقدمة بها يرفع الحرج عن المتكلم أو يطلب بها تثبيت المخاطب، ونحو ذلك.

(١) البخاري (حديث ١٢٨)، ومسلم حديث (٣٢).

(٢) أي: خشية أن يقع في إثم كتمان العلم، الله أعلم.

(٣) البخاري (حديث ١٢٩)، ومسلم (حديث ٣٢).

(٤) مسلم (حديث ٣١ ص ٦١).



ومن ذلك ما يلي:

* قول أم سليم لرسول الله ﷺ: يا رسول الله إن الله لا يستحيي من الحق، ثم سألتها سؤالها، فقالت: هل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت؟؟^(١)

* ومن ذلك قصة أم سليم مع زوجها جهنم عنه لما مات ولدها فانظر إلى حديثها الطيب وصنيعها الجميل قبل أن تخبر زوجها بوفاته ولده:

* أخرج البخاري ومسلم^(٢) من حديث أنس بن مالك جهنم عنه، قال: «كَانَ ابْنُ لِأَبِي طَلْحَةَ بِشَتَّى، فَخَرَجَ أَبُو طَلْحَةَ فُقْبِضَ الصَّبِيِّ، فَلَمَّا رَجَعَ أَبُو طَلْحَةَ، قَالَ: مَا فَعَلَ ابْنِي؟ قَالَتْ أُمُّ سَلِيمٍ: هُوَ أَسْكَنُ مَا كَانَ، فَفَرَّبْتُ إِلَيْهِ الْعِشَاءَ فَتَعَشَى ثُمَّ أَصَابَ مِنْهَا، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَتْ: وَارُوا الصَّبِيَّ فَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُو طَلْحَةَ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «أَعْرَسْتُمْ اللَّيْلَةَ» قَالَ: نَعَمْ قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمَا فِي لَيْلَتِهِمَا» فَوَلَدَتْ غُلَامًا، قَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ احْفَظْهُ حَتَّى تَأْتِيَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ فَأَتَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ وَأَرْسَلَتْ مَعَهُ بِمَرَاتٍ فَأَخَذَهُ

(١) البخاري (حديث ٢٨٢)، ومسلم (٦٠٨/١).

(٢) البخاري (حديث ٥٤٧٠)، ومسلم (ص ١٦٩٠).

(٣) يعني: هل جمعت أهلك الليلة.

في بعض الروايات: أن أم سليم قالت: يا أبا طلحة أرأيت أهل بيت أعاروا أهل بيت عارية فطلبها أص

= أيردونها أو يحبسونها؟ فقال: بل يردونها عليهم، قالت: فاحتسب أبا عمير.

وفي رواية أخرى، وإسنادها صحيح أيضاً: أن أم سليم قالت: لا تخبروا أبا طلحة بموت ابنه فرجع من المسجد وقد يسرت له عشاءه، كما كانت تفعل، فقال: ما فعل الغلام أو الصبي؟ قالت: خير ما كان، فقربت له عشاءه فتعشى هو وأصحابه الذين معه ثم قامت إلى ما تقوم له المرأة فأصاب من أهله، فلما كان من آخر الليل، قالت: يا أبا طلحة، ألم تر إلى آل فلان استعاروا عارية فتمتعوا بها فلما طلبت إليهم شق عليهم؟ قال: ما أنصفوا. قالت: فإن ابنك فلاناً كان عارية من الله فقبضه إليه، قال: فاسترجع وحمد الله... الحديث. وفي رواية أخرى وإسنادها صحيح أيضاً قالت: يا أبا طلحة إن آل فلان استعاروا من آل فلان عارية فبعثوا إليهم أن ابعدوا إلينا بعاريتنا فأبوا أن يردوها فقال أبو طلحة: ليس لهم ذلك إن العارية مؤداة إلى أهلها، قالت: فإن ابنك كان عارية من الله، وإن الله قد قبضه، فاسترجع.

وفي رواية أخرى، أنه قال لها: ما فعل ابني؟ قال: صالح، فأنته بتحفتها التي كانت تتحفه بها فأصاب منها، ثم طلبت منه ما تطلب المرأة من زوجها فأصاب منها، ثم قالت: ما رأيت ما صنع ناسٌ من جيرتنا كانت عندهم عارية فطلبوها فأبوا أن يردوها فقال: «بئس ما صنعوا» فقالت: هذا أنت كان ابنك عارية من الله وإن الله قد قبضه إليه، فقال لها: والله لا تغلبنيني الليلة على الصبر...

وكل هذه الروايات عند ابن سعد في «الطبقات» وغيره بمجموعها بل وبمفرداتها تصح بلا شك ولا ريب.



النَّبِيُّ □ فَقَالَ: «أَمَعَهُ شَيْءٌ؟» قَالُوا: نَعَمْ تَمَرَاتٌ فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ □ فَمَضَعَهَا ثُمَّ أَخَذَ مِنْ فِيهِ فَجَعَلَهَا فِي فِي الصَّبِيِّ وَحَنَّكَهُ بِهِ وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللَّهِ». □

وانظر إلى تقدم أم سليم الحسنة بين يدي اعتذارها:

أخرج النسائي بإسناد صحيح (١) من حديث أنس ، قال: «خَطَبَ أَبُو طَلْحَةَ أُمَّ سُلَيْمٍ فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا مِثْلُكَ يَا أَبَا طَلْحَةَ يُرَدُّ، وَلِكَيْتَكَ رَجُلٌ كَافِرٌ، وَأَنَا امْرَأَةٌ مُسْلِمَةٌ، وَلَا يَجِلُّ لِي أَنْ أَتَزَوَّجَكَ، فَإِنْ تُسَلِّمَ فَذَاكَ مَهْرِي، وَمَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، فَأَسَلِمَ فَكَانَ ذَلِكَ مَهْرَهَا». □
قَالَ تَابِتٌ فَمَا سَمِعْتُ بِامْرَأَةٍ قَطُّ كَانَتْ أَكْرَمَ مَهْرًا مِنْ أُمَّ سُلَيْمٍ الْإِسْلَامَ فَدَخَلَ بِهَا فَوَلَدَتْ لَهُ.

وأخرج ابن سعد (٢) في «الطبقات» بإسناد صحيح عن أنس أيضاً قال: جاء أبو طلحة يخطب أم سليم فقالت: إنه لا ينبغي لي أن أتزوج مشركاً، أما تعلم يا أبا طلحة إن آلهتكم التي تعبدون ينحتها عبد آل فلان النجار، وأنكم لو أشعلتم فيها ناراً لاحتريقت؟! قال: فانصرف عنها وقد وقع في قلبه من ذلك موقعاً، قال: وجعل لا يجيؤها يوماً إلا قالت له ذلك، قال: فأثابها يوماً فقال: الذي عرضت عليّ قد قبلت، قال: فما كان لها مهر إلا إسلام أبي طلحة. □
* وقول ضمّام (٣) لرسول الله □ : «إني سائلك فمشدد عليك في المسألة فلا تجد

(١) النسائي (١١٤/٦).

(٢) ابن سعد في «الطبقات» (٣١٢/٨).

(٣) أخرج البخاري (حديث رقم ٦٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس مع النبي □ دخل رجلٌ على جمل فأناخه في المسجد ثم عقله ثم قال لهم: أيكم محمد؟ والنبي □ منكئ بين ظهرانيهم فقلنا: هذا الرجل الأبيض المنكئ فقال له الرجل: ابن عبد المطلب، فقال له النبي □ : «قد أجبتك» فقال الرجل للنبي □ : إني سائلك فمشدد عليك في المسألة فلا تجد علي في نفسك. فقال: «سل عما بدا لك» فقال: أسألك بربك ورب من قبلك، آله أرسلك إلى الناس كلهم؟ فقال: «اللهم نعم»، قال: أنشدك بالله، آله أمرك أن نصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة؟ قال: «اللهم نعم»، قال: أنشدك بالله، آله أمرك أن تصوم في هذا الشهر من السنة؟ قال: «اللهم نعم»، قال: أنشدك بالله، آله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا؟ فقال النبي □ : «اللهم نعم» فقال الرجل: آمنت بما جئت به، وأنا رسول من ورائي من قومي، وأنا ضمّام بن ثعلبة أخو بني سعد ابن بكر.

قلت: ويؤخذ من هذا الحديث أيضاً مما يتعلق بفقهِ الخطاب: ترك الاسترسال في الحديث إذا لم تكن فيه فائدة فالرجل لما سأل الرسول □ فقال: ابن عبد المطلب! قال له رسول الله □ : «قد أجبتك» فالرجل يعلم أن رسول الله □ هو ابن عبد المطلب. قال الحافظ في «الفتح» (١٨٢/١): نزل تقريره للصحابه في



علي في نفسك».

ومن التقديمات بين يدي الخطاب والأدب في ذلك:

* قول وفد عبد القيس لرسول الله ﷺ لما أتوه: يا نبي الله جعلنا الله فداءك ماذا يصلح لنا من الأشربة؟^(١)

* وقول عمر لرسول الله ﷺ: يا رسول بأبي أنت وأمي أبعثت أبا هريرة بنعليك من لقي يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة! قال: «نعم»!^(٢)

* وهرقل يقدم مقدمة بين يدي رغبته في إسلام قومه من الروم فيقول لهم: يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم؟ فتبايعوا هذا النبي^(٣)

* ومن ذلك أيضاً: قول النبي ﷺ لليهود: «إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقي عنه؟»^(٤)

* ومن ذلك أيضاً: قول النبي ﷺ: «أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبّحكم أو ممسيّكم أكنتم مصدقوني؟ قالوا: نعم قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»^(٥)

وفي رواية «الصحيحين»: «أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقا، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»^(٦)

* ومن ذلك أيضاً: قول عائشة رضي الله عنها لعبد الله بن شداد: هل أنت صادقي عما أسألك عنه؟^(٧)

الإعلام عنه منزلة النطق.

قلت: وفيه أيضاً نوع من التقديمات التي يتقدم بها الحديث وذلك في قوله: «أسألك بربك ورب من قبلك»، وفي قوله: «أنتدك بالله».

وفيه كذلك الإيجاز والاختصار، وذلك من قوله ﷺ: «اللهم نعم...».

(١) مسلم (ص ٥٠).

(٢) مسلم (ص ٦٠ حديث ٣١).

(٣) البخاري (حديث ٧).

(٤) البخاري (٣١٦٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما فتحت خيبر أهديت للنبي ﷺ شاة فيها سم، فقال النبي ﷺ: «اجمعوا لي من كان هاهنا من يهود، فجمعوا...».

(٥) البخاري (٤٩٧٢).

(٦) البخاري (حديث ٤٣٣٠) ومسلم (حديث ١٠٦١).

(٧) أحمد في «المسند» (٨٦/١-٨٧).



وضوح العبارات

وكن واضحاً في مقالاتك وعبارتك مع الناس حتى يفهموا عنك مرادك وقد قال الله تبارك وتعالى: (وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَانُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٤﴾) [الثور: الآية ٥٤] والمبين هو المظهر الموضح.

وقال تعالى: (قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾) [آل عمران: الآية ١١٨].

وقد قال الله تعالى: (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَكِّرٍ ﴿٧﴾) [القمر: الآية ١٧].

فاجنح إلى السهولة في الخطاب واليسر فيه والواضح منه، وقد قال تعالى: (وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿١٣﴾) [النساء: الآية ١٣] وقد وعظ النبي ﷺ أصحابه موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، ألا ترى إلى مقالات رسول الله ﷺ وكيف وهي في غاية السهولة واليسر.

وعلى الخطيب أن يمزج بين الترغيب والترهيب، وذكر الجنة والنار وعذاب القبر ونعيمه فلا يُغلب الترهب وذكر النار والقبر والبلى ويترك المبشرات وفسيح الجنان وما في القبر من ريح الجنة وطيبها لأهل الإيمان!!

فلقد أرسل الله تبارك وتعالى الرسل (مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ) [البقرة: الآية ٢١٣].

وقال تعالى: (فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ) [المائدة: الآية ١٩].

وقال تعالى: (نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٦١﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾) [الحجر: الآية ٥٠، ٤٩].

وقال تعالى: (غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ) [غافر: الآية ٣].

وقال تعالى: (أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [المائدة: الآية ٩٨].

وقال تعالى في شأن رسله عليهم السلام (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَكَ رُغْبًا وَرُهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٩٠﴾) [الأنبياء: الآية ٩٠].

أي: رغبا فيما عندنا «أي: من فسيح الجنان» ورهبا مما عندنا «أي: من العذاب». والآيات والأحاديث في هذا الصدد كثيرة جداً، إلا أن كثيراً من الخطباء يعرضون عن هذا ويذكرون فقط القبر والبلى وما في القبر من أليم العذاب، وكيف يصنع بالأجسام والشعور والأعين والأذان، وكيف وأن الديدان تتخلل الأجسام إلى غير ذلك مما ليس له كبير تأثير في تعريف الناس بربهم ﷻ.

هذا، وإن راعى الخطيب أحوال المصلين الشهود، بمعنى أنه إذا رأى ما يدعو إلى



ترهيب رهَّب، وإلى ترغيب رَغَّب فهذا مسلك حسن، ونعم المسلك.
ويستحب للخطيب أن يهيج مشاعر الناس لفعل الخير: وهذا باب نافع وله أثر طيب
 وجميل في إثارة الخير في النفوس وحمل الناس على فعل الخير ولهذا طرق.
 فأحياناً يكون هذا التهيج بالتذكير بفضل المستمعين ومآثرهم كأن تقول لهم مثلاً: يا
 أبناء العلماء، يا من بلادهم بلاد علم، أقبلوا على العلم، واحملوا لواءه خلقاً لأبائكم
 وأجدادكم.

وكان تقول لمن تريد منهم صدقة على الفقراء: يا أبناء المحسنين تصدقوا.
 فبمثل هذا تهيج مشاعرهم لأفعال الخير والبر والمعروف والإحسان.

ولهذا أدلته من الكتاب العزيز:

قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: (تَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ...) **[الْحَجَرَات: الآية ١]**.
 فيا من آمنتم بالله وصدقتم رسوله وأقررتم بالبعث وبالْحَسَابِ وبالْجَنَّةِ والنار،
 وآمنتم أن القرار من عند الله لا تقدموا بين يدي الله ورسوله.

وقال تعالى: (ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا) **[الإسراء: الآية ٣]**.
 أي: يا ذرية القوم الصالحين الذين حملهم الله في الفلك مع نبيهم نوح، اذكروا
 صلاح آبائكم، فما حمل مع نوح إلا مؤمن، وكونوا شاكرين فإن نوحاً كان عبداً
 شكوراً.

ونحوه قوله تعالى: (يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ) **[البقرة: الآية ٤٧]**.

فيما أولاد النبي الصالح إسرائيل كونوا صالحين كأبيكم فإني قد فضلتكم على
 العالمين

ونحوه قول قوم مريم لمريم: (يَتَأَخَذَ هَنُورًا مَّا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ نِعِيًّا) **[مريم: الآية ٢٨]**.

أي: يا أخت الرجل الصالح هارون، أخوك هارون رجل صالح، وأبوك كذلك كان
 من الصالحين، ولم يكن امرأ سوء، وأمك كذلك لم تكن زانية، فيجدر بك أن تكوني
 عفيفة وأن تكوني مؤمنة وأن تكوني سالحة، ولا ينبغي لك أن ترتكبي المحرم الصغير
 فضلاً عن الكبير!!

فهكذا يخاطب الناس يذكروا بما فيهم وما في آبائهم من خير وصلاح، فيحملهم هذا



التذكير على إحياء تراث آبائهم وأجدادهم.
 أما أن تأتي إلى شخص وتقول له: أبوك فاجر، وجدك لص، وعمك مفسد، وخالك زان، فهل ترى أن مثل هذا يستحب لك؟!
 أو هل تراه يلين في يدك؟! أو هل تراه يحبك؟!
 ويقول جابر رضي الله عنه ^(١) في خطابه مع ابن عباس، لما ذهب إليه ابن عباس يطلب منه علمًا: يا ابن عم رسول الله ما جاء بك؟ ألا أرسلت إلي فأتيتك؟! فيقول ابن عباس هو الآخر: أنا أحق أن أتيتك.. فحقًا إنه أدب.
 ونحوه يقول زيد بن ثابت لابن عباس وبنحوه يجيب ابن عباس أيضًا.
 يأخذ ابن عباس لزيد بن ثابت رضي الله عنه بالركاب وزيد يقول: تنح يا ابن عم رسول الله □، وابن عباس يقول: «هكذا نفعل بعلمائنا وكبرائنا» ^(٢).
 والصحابة رضي الله عنهم، كذلك كانوا يستعملون هذا النوع من أنواع الإثارة. فانظر إلى حديث ابن عباس مع الخوارج ^(٣)، وتذكيره لهم بفضل من يحاربونه من طرف خفي خفي بأسلوب رجل واع فاهم ذكي.
 قال ابن عباس: ودخلت عليهم في نصف النهار وهم قائلون ^(٤) فسلمت عليهم، فقالوا: مرحبًا بك يا ابن عباس فما جاء بك؟ قلت لهم: أتيتكم من عند أصحاب النبي □ وصهره وعليهم نزل القرآن وهم أعلم بناؤيله منكم وليس فيكم منهم أحد لأبلغكم ما يقولون وتخبرون بما تقولون، ثم قال لهم: أخبروني ماذا نقيمت على أصحاب رسول الله □ وابن عمه.
 فانظر إلى قول ابن عباس وإثارته نخوة حب رسول الله □ فيهم، وأن الذي يقاتلون هو ابن عم رسول الله □.

ولا تجلب على الناس شرورًا بحديثك

قال يعقوب □ ليوسف عليه السلام: (يَبْنَئُ لَا تَقْصُرْ رِءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا)

(١) الدارمي (١/ ١٤١-١٤٢).

(٢) ابن سعد في «الطبقات» (٢/ ١٦٦).

(٣) أخرجه النسائي في «الخصائص» (حديث ١٨٥) بسند حسن.

(٤) أي: وقت القيلولة.



[يوسف: الآية ٥].

وقال النبي ﷺ لما سحر وكشف الله ما به من ضر: «... أما والله فقد شفاني وأكره أن أثيره على أحد من الناس شراً»^(١).

ولا تجهر بالسوء من القول

قال الله تعالى: (لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ) [النساء: الآية ١٤٨]. وذلك والله أعلم لأن الجهر بالسوء من القول يساعد على نشر السوء وتفشييه ويساعد أيضاً على نشر الرذيلة، وفحوى ذلك على وجه الإيجاز أنك إذا سمعت قوماً يتحدثون أن فلاناً قد زنى فإنك تستنكر ذلك وتبغض هذا الزاني، ثم إن سمعت بعد مدة أن فلاناً ما قد زنى بمحرمه هان عليك أمر الزاني الأول وتحولت كراهيتك للزاني بمحرمه، ثم إن سمعت بعد ذلك وانتشر في الناس أن فلاناً ما قد زنى بامرأة على قارعة الطريق أمام المارة نسيت أمر من زنى بمحرمه واتجهت لإنكار ما فعل أخيراً، وهكذا تهون الخطوب بكثرة ذكرها والخوض فيها.

وقد ذكر بعض أهل العلم أنه كان في بلدة صغيرة، قرية من القرى، لا يكاد الخمر يعرف فيها فإذا سمعوا أن فلاناً ما قد شرب خمراً أبغضه جميع أهل القرية، فلما انتقل إلى مدينة كبرى ووجد الخمر تباع في الطرقات والحديث عنها متفشياً قلت كراهيته لشارب الخمر، وهكذا فالحديث في المحرمات يهونها. فمن ثم كره السوء من القول.

لكن من ظلم له أن ينتصر بقدر مظلمته مع أن عفوهُ أولى له من الانتصار، وذلك لقوله تعالى: (أَوْتَعَفُوا عَنْ سُوءِ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا) [النساء: الآية ١٤٩].

وقال سبحانه: (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) [النور: الآية ١٩].

ولا تنه أيها الخطيب عن خلق وتأتي مثله

فهذا عار عليك عظيم، عليك أن تأمر الناس بأمر ولا تفعله عارٌ عليك أن تنهى الناس عن شيء وتقع فيه.

فإنك إن فعلت كنت مجالاً للسخرية، ومحطاً لازدراء من حولك بك، ثم إنك تجلب لنفسك سخط الرب عز وجل.

(١) أخرجه البخاري (٥٧٦٥)، ومسلم (حديث ٢١٨٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.



قال الله تعالى: (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾) [الصف: الآيتان ٢، ٣].

وقال شعيب عليه السلام لقومه: (وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخَالِفَكُمْ إِلَيَّ مَا أَنهَيْتُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ) [هود: الآية ٨٨].

وقال تعالى: (اتَّأَمَّرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾) [البقرة: الآية ٤٤].

ونورد هنا بعض أشعار السابقين، فمنها:

ما نسب إلى منصور الفقيه وفيه:

إن قومًا يأمروني بالذي لا يفعلوننا
لمجراتين وإن هم لم يكونوا يصرعونا

وقال أبو الأسود الدبلي:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم
وابداً بنفسك فانهها عن غيرها فإن انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل إن وعظت ويقتدى بالقول منك وينفع التعليم

هذا كله فضلًا عن قول رسول الله ﷺ: «يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَيَتَدَلَّقُ أَقْتَابَهُ فِي النَّارِ، فَيُدَوِّرُ كَمَا يَدَوِّرُ الْحِمَارُ بَرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيُّ فُلَانٍ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ أَمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَمَّا آتَيْهِ وَأَنْهَأَكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتَيْهِ» (١).

وذم النبي ﷺ الخلوفاً الذي يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فقال ﷺ: «صحيحه» (٢): «مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةٌ خَرْدَلٍ».

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٢٦٧) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه.

(٢) مسلم (ص ٧٠) وهو حديث (٥٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً.



وعلى الخطيب أن لا يصيب خطبته بالأهواء الشخصية والآراء الخاصة والمسائل الخاصة المتعلقة به، وإنما يقصد بوجه عام تقرير حكمه ينتفع به المسلمون أو ببيان أمر يحتاج إليه المسلمون، أو نفع عام لأهل الإسلام أو لأهل المسجد أو بعضهم ولا ينتصر لنفسه في خطبه.

ويجوز لك إعادة الحديث ويجوز لك تكراره

فإذا احتاج من أمامك إلى إعادة الحديث فعليك بالإعادة حتى يفهم عنك مرادك، ورأى بعض أهل العلم أن منتهى ذلك ثلاثاً، ورأى آخرون أنه لا مانع من الزيادة على الثلاث إذا لم يفهم من تخاطبه إلا بذلك، وإن كان أغلب الوارد عن رسول الله ﷺ أنه يكرر ثلاثاً إذا احتاج الأمر إلى ذلك.

ففي «الصحيح» (١) من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه (٢).

قال ابن التين: فيه أن الثلاث غاية ما يقع به الاعتذار والبيان.

قلت: وقد نادى النبي ﷺ بأعلى صوته: «ويل للأعقاب من النار» مرتين أو ثلاثاً (٣). ومن إعادة الكلام وتكريره لتأكيد ما أخرجه مسلم (٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في قصة مجيء وفد عبد القيس إلى رسول الله ﷺ وقول النبي ﷺ لهم: «وأنهاكم عن أربع: عن الدباء والحنتم والمزقت».

وفي الحديث أنهم قالوا: ففيم نشرب يا رسول الله؟ قال: «في أسقية الأدم» (٥) التي

(١) البخاري (حديث ٩٥).

بواب البخاري لهذا الحديث بباب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه فقال: «ألا وقول الزور» فما زال يكررها، وقال ابن عمر قال النبي ﷺ: «هل بلغت» ثلاثاً.

(٢) وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: نبه البخاري بهذه الترجمة على الرد على من كره إعادة الحديث وأنكر على الطالب الاستعادة من البلادة قال: والحق أن هذا يختلف باختلاف القران فلا عيب على المستفيد الذي لا يحفظ من مرة إذا استعاد ولا عذر للمفيد إذا لم يعد بل والإعادة عليه أكد من الابتداء لأن الشرع ملزم.

(٣) البخاري (حديث ٩٦)، وانظر مسلم (ص ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥).

(٤) مسلم (حديث ١٨).

(٥) الأدم: جمع أديم، وهو الجلد المدبوغ.



يلاث (١) على أفواهها» قالوا: يا رسول الله، إن أرضنا كثيرة الجرذان (٢)، ولا تبقى بها أسقية الأدم فقال نبي الله ﷺ: «وإن أكلتها الجرذان، وإن أكلتها الجرذان، وإن أكلتها الجرذان» قال: وقال نبي الله ﷺ لأشج عبد القيس: «إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة».

فنهاهم الرسول ﷺ عن الانتباذ في النقيير، وهو جذع النخلة الذي ينقر من وسطه ويطرح فيه الماء والتمر فيحصل بذلك تخمر ويؤول الشراب إلى الخمر، فنهاهم النبي ﷺ عن ذلك وسد الذريعة الموصلة إلى ذلك بنهيه ﷺ عن الشرب من هذه الأوعية التي تسرع بالشراب إلى التخمر، فسأله: ففيم نشرب يا رسول الله؟ قال: «في أسقية الأدم التي يلاث على أفواهها» أي: في القرب من الجلد التي يربط على أفواهها، فتعللوا بأن الفئران تأكلها إذ بلادهم كثيرة الفئران فقال رادًا عليهم ومكرراً: «وإن أكلتها الجرذان، وإن أكلتها الجرذان».

وأيضاً فقد كرر النبي ﷺ مقالته: «أنا وقولُ الزور» حتى قال الصحابة: ليته سكت (٣).

فالذي يظهر أن التكرير بحسب حال السامعين وبحسب المسألة التي يراد التنبيه عليها وأهميتها، والله تعالى أعلم.

* * *

(١) يلاث على أفواهها: أي يربط على أفواهها.

(٢) الجرذان: الفئران الذكور.

(٣) البخاري (حديث ٥٩٧٦)، ومسلم (حديث ٨٧) من حديث أبي بكره رضي الله عنه مرفوعاً.



اجتناب السجع من الدعاء

* واحذر أيها الأخ الخطيب السجع المتكلف فقد أخرج البخاري في «صحيحه»^(١) من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «حَدَّثَ النَّاسَ كُلَّ جُمُعَةٍ مَرَّةً فَإِنْ أَبَيْتَ فَمَرَّتَيْنِ فَإِنْ أَكْثَرْتَ فَثَلَاثَ مَرَّارٍ وَلَا تُمِلَّ النَّاسَ هَذَا الْقُرْآنَ وَلَا أُنْفِيكَ تَأْتِي الْقَوْمَ وَهُمْ فِي حَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِهِمْ فَنَقْصُ عَلَيْهِمْ فَنَقْطَعُ عَلَيْهِمْ حَدِيثَهُمْ فَنُتْمَلُهُمْ، وَلَكِنْ أَنْصِتْ فَإِذَا أَمْرُوكَ فَحَدِّثْهُمْ وَهُمْ يَسْتَهْوُونَ، فَانظُرْ السَّجْعَ مِنَ الدُّعَاءِ فَاجْتَنِبْهُ، فَإِنِّي عَهَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا ذَلِكَ يَعْنِي: لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا ذَلِكَ الْاجْتِنَابَ».

وعلى الخطيب أن يحرص على التحدث باللغة العربية قدر استطاعته فهي اللغة التي

نزل بها القرآن على خير الأنام □ .

قال تعالى: (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١١٥﴾) [الشعراء: الآية ١٩٥].

وقال تعالى: (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾) [الزخرف: الآية ٣].

وتم طائفة أخرى من الآيات الدالة على ذلك.

وتم دعوة باطلة مؤداها أن الناس لا يفهمون العربية وكذلك من ادعاها فنشرات الأخبار تقرأ بالعربية وتفهم وخطب الرؤساء والملوك تقرأ بالعربية وتفهم.

وهل يعجز شخص عن قوله تعالى: (سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾) [الأعلى: الآية ١].

وهل يعجز ثان عن فهم قوله تعالى: (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) [النور: الآية

٣٠].

وهل يعجز ثالث عن فهم قوله تعالى: (إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَحِيدٌ) [النساء: الآية ١٧١].

وكذا هل يعجز شخص عن فهم قول النبي □ : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر

فليقل خيراً أو ليصمت».

فالحمد لله لغة العرب لغة سهلة، قال تعالى: (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٧﴾)

[القدر: الآية ١٧].

وأورد هنا للنفع والفائدة بإذن الله، كلمات نيرات لعالم من علماء العربية ومنازة من مناراتها، ولا أركيه على الله فالله حسيبه، ألا وهو أخي في الله فتحي جمعة حفظه الله تعالى خبير بمجمع اللغة العربية ثم هو من كبار أساتذتها بكلية دار العلوم.

(١) البخاري (٦٣٣٧).



المقدمة

الجزء الأول



* * *



MOSTAFAALADWY.COM



قال حفظه الله في كتابه القيم «اللغة الباسلة»:

العربية لغة الإسلام

تلك حقيقة ثابتة راسخة، يدركها كل ذي بصر بوقائع التاريخ منذ ظهر الإسلام ونزل كتابه العظيم باللسان العربي المبين!!
لقد خلعت اللغة العربية رداء «المحلية» وفارقت انتماءها القومي والعنصري؛ إذ كانت تقع خلف الحدود الضيقة لشبه الجزيرة العربية فارقت هذا وصار لساناً عاماً للمسلمين أينما يكونوا ومتى يكونوا! فكان الإسلام سبيلها إلى الناس، كما كانت بحق سبيل الناس إليه، به عرفوها، وبها عرفوه!!
ومن أجل ذلك كان حقاً على المسلمين مهما كانت أصولهم أو أجناسهم أن يبنوا لغة القرآن «مبواً صدق» فينزلوها في مكانتها اللائقة بها، من حيث هي لغة القرآن ولسان الإسلام، فلا يقدموا عليها لغة أخرى في أي مجال من المجالات التي تحتاج اللغة أو تعتمد عليها.

ذلك أمر يبلغ في رأينا مبلغ الفريضة؛ لأن تقريره ليس اجتهاداً منا، أو دعوى يدعيها أمثالنا حباً للعربية أو حماسة لها واعتزازاً بها، مع أن الحب والحماسة والاعتزاز لبعض حق هذه اللغة علينا وعلى الأمة جميعاً.
وإنما يرجع الأمر هنا إلى آيات تُتلى في كتاب الله تعالى ما دامت السماوات والأرض، وإنها كلسان صدق ينطق بالحق بياناً؛ لأن العربية لغة القرآن هي اللغة التي اجتبأها ربنا - تبارك وتعالى-، واصطفاها على لغات العالمين!!

قال تعالى في مفتح سورة يوسف: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا) [يوسف: الآية ٢].

وقال تعالى: (لَسَانُ الَّذِي يُلْحَدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) [النحل: الآية ١٠٣].

وقال تعالى: (وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا) [طه: الآية ١١٣].

قال تعالى: (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٣٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٣٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٣٥﴾) [الشعراء: الآية ١٩٣-١٩٥].

وقال تعالى: (قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ) [الزمر: الآية ٢٨].

وقال تعالى: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا) [الشورى: الآية ٧].



وقال تعالى: (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا) [الزخرف: الآية ٣].

هذه الآيات البينات العظيمة تدل في رأينا على أمرين ظاهرين:

أحدهما: أن العربية هي اللسان المختار للقرآن.

والآخر: أن ذلك الاختيار من عند الله تعالى، إنه وحى يوحى: قرآنا يتلى إلى آخر الزمان.

ومعنى ذلك أنها لغة الإسلام ولسانه المبين الذي ينبغي أن يكون لساناً عاماً لجميع المسلمين.

فإذا تقررَت هذه الحقيقة وهي ثابتة لا تحتمل مرأى ولا جدلاً فلن يستطيع المرجفون الذين في قلوبهم مرض أن يردوا شأن العربية ومنزلتها في الإسلام إلى تعصب النبي □ حاشا لله للغة قومه ولسان عشيرته أو يدعوه على خلفائه الراشدين وأصحابه المهديين رضوان الله عليهم أجمعين.

فها هي آيات القرآن تقول: إن أمر الله تعالى ومشيئته جلت حكمته أن يكون اللسان العربي المبين هو لسان القرآن فهو إذاً لسان الإسلام.

ضرورة العربية لوجود الأمة:

من الحقائق الثابتة أن اللغة من أهم عوامل التوحيد والتلاقي بين الأمم والشعوب. ذلك، والأمة الإسلامية اليوم أشد ما تكون حاجة إلى جميع كلماتها وتوحيد صفوفها في مواجهة قوى عاتية باغية، خبيثة ماكرة، تتربص بها، وتتظاهر عليها، وتسعى إلى محوها واستئصال شأفتها واجتثاث شجرتها، فلا سبيل أمامها إلا أن تكون أمة واحدة متماسكة، ولن تكون لها هذه الوحدة كاملة قوية بغير وحدة اللسان.

ولكن لغات المسلمين كثيرة فعلى أيها تجتمع!؟

إن الجواب: بيّن لا يحتاج إلى بيان.

فأحق اللغات بذلك الاجتماع هي اللغة التي لا يعرف الإسلام حق المعرفة بغير معرفتها، وهي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم الذي شاءت إرادة رب العالمين أن يكون عربياً يتلى بالعربية في كل مكان إلى مكان آخر الزمان.

وقد أدرك السلف الصالح العظيم من الأمة هذه الحقيقة فأقبل جميعهم على لغة القرآن حباً ورغباً، دراسة وبحثاً وتأملاً، وتسابق عجم الأمة وعربها في ذلك الميدان، وكان العجم في أحيان كثيرة من السابقين.



وحسبنا أن نتذكر أسماء سيويوه، وأبي على الفارسي، والمبرد، والفراء، والكسائي، وابن جني، وعبد القادر الجرجاني: هؤلاء أئمة الأئمة في علوم العربية وكلهم من أصول أعجمية لا عربية.

ولكنهم نظروا إلى لغة الضاد لا على أنها لغة العرب، بل على أنها لغة الإسلام والمسلمين أجمعين لأنها لغة القرآن الكريم بأمر الله رب العالمين. وحين أدركوا هذه الحقيقة بنوا أمة عزيزة منيعة وأسسوا حضارة شامخة باسقة، امتدت لها السيادة الحضارية عدة قرون.

خصومة العربية من خصومة الإسلام:

لقد أدرك أعداء الإسلام وخصومة «الدائمون» أثر اللغة العربية في حماية «الوحدة الإسلامية»، والمحافظة عليها، كما أدركوا ما هو أعظم من ذلك وهو أثر هذه اللغة في ربط المسلمين بالإسلام: وعياً وفهماً وإدراكاً وعلماً وعملاً. أي: أدركوا ما غاب عن المسلمين من ضرورة العربية لفهم الإسلام وتنفيذ أوامره ونشر دعوته الشاملة، وذلك يعني قضاء عليهم، ومطاردة لهم في مواطن بغيهم وعتوهم، ولهذا توجهت جهودهم إلى اللغة العربية فيما سيطروا عليه أو تمكنوا منه في بلاد المسلمين، سدوا إليها سهامهم ومطاعنهم، وتعقبوها في كل مكان لها فيه وجود، يريدون أن تزول أو تتوارى بالحجاب!!

وقد سار عملهم الأثيم بخبث ودهاء في طريقين متوازيين:

أولهما: بلاد العرب، فأضعفوا «العربية» فيها، وزحزحوها عن مكانتها، وأنزلوها من عرشها إذ زاحموها بلغاتهم بل قدموا لغاتهم في بعض الأحيان عليها، ثم أوقدوا نار الحرب على الفصحى، فزعموا عليها العجز والقصور والاستغلاق على الأفهام، ودعوا إلى «العامية» ومكنوا لها، وساعدوا على نشرها، وتوسيع رقعتها ونادوا بأن تكون هي لغة الحديث والكتابة والتأليف والخطابة والمحاضرة.

أما الطريق الآخر: فهو طريق البلاد الإسلامية غير العربية. وهناك طاردوا لغة القرآن، وزينوا لها تيكماً الأمم الإعجاب بلغات الاحتلال، والابتعاد عن اللغة التي هي عماد الرابطة الحقيقية، وقاعدة الوحدة الكاملة بين المسلمين ولم يلبثوا إلا يسيراً، فأخرجت العربية من البلاد الإسلامية بلدًا في إثر بلدٍ حتى انحصرت في دائرة الوطن العربي المستهدف لانتقاص الأطراف وتقريق الصفوف، وهكذا «حُبست العربية»



عند قوم لا يستمسكون بها، ولا يغارون عليها، ولا يهتمهم أمرها.

الفصحى والعامية:

لا نستطيع في هذا الحيز الضيق أن نفصل القول في هذه القضية لأن ذلك يتطلب جهداً ووقتاً لا يتسع له هنا مقام البيان^(١). وإنما نتحدث عن خطر الدعوة إلى العامية أو الإصرار على محادثة الناس بها في مجالات العلم والتعليم أو في مجالات الدعوة الإسلامية التي يحزنني فيها أن أجد طائفة كبيرة من جنودها يؤثرون العامية ويجعلونها وسيلتهم في الخطابة والمحاضرة وذلك خطأ عظيم لسببين اثنين:

الأول: أن الدعوة إلى العامية في المجالات العلمية والتعليمية ترجع إلى بداية عصر الاحتلال^(٢). وكان الدعاة الأولون إلى العامية في بلادنا من أهل الرأي والفكر الذين استقدمتهم قوى الاحتلال الفكري والثقافي الذي يدوي لهم بعد زوال الاحتلال السياسي والعسكري.

ومعنى هذا أن الحديث بالعامية في المجالات الجادة خدمة جليلة لقوى الاحتلال، تنفذ خططهم، وتحقق أغراضهم، وتوصلهم إلى مآربهم وأهدافهم البعيدة في استمرار السيطرة وامتداد النفوذ.

الثاني: أن الحديث بالعامية يؤدي إلى نتيجتين خطيرتين، تؤثران في البناء الثقافي للأمة تأثيراً سيئاً غير محمود:

أولاهما: إهمال التراث وازدراؤه لدى العامة وجماهير الأمة؛ إذ يصير حينئذٍ ركاماً من المعميات والطلاسم لا سبيل إلى معرفتها فضلاً عن فهمها وإدراك ما فيها وما في ذلك ما فيه من إضعاف «الشخصية» العامة للأمة ودفعها بقوة إلى منحدرات التبعية «والانمحاق».

والنتيجة الأخرى: عدم فهم القرآن وذلك أخطر وأفدح ما يؤدي إليه الحديث بالعامية، ولكن قومي لا يعلمون!!

(١) راجع في تفصيل ذلك إلى ما كتبناه في كتابنا: «اللغة الباسلة» ولمزيد ارجع إلى الدراسة القيمة التي كتبتها الدكتورة نفوسة زكريا في كتابها «الدعوة إلى العامية في مصر».

(٢) نحن نؤثر دائماً في هذا المقام كلمة الاحتلال ونرفض كلمة الاستعمار مع شيوع الثانية وشهرتها؛ لأن الاستعمار معني جميل وعمل كريم ولذلك نُسب إلى الحق تبارك وتعالى في قوله عز وجل: (هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَ فِيهَا) [هود: الآية ٦١] ومن غير ذلك أن عمل أولئك الطغاة البغاة على الطرف المضاد لذلك المعنى العظيم فهم محتلون للأرض، مغتصبون للخير، قاهرون للناس.



لأن تدبير القرآن وفهمه فريضة عامة على المسلمين، كل بقدر ما يستطيع، ولن يتحقق هذا التدبير بغير معرفة اللغة التي نزل بها القرآن إلى الحد الذي يؤدي إلى الفهم ويعين عليه.

وكلُّ حديثٍ بالعامية يغلق من منافذ الفصحى، ويضيق من سبلها بقدر ما يفتح للأخرى ويوسع أمامها!

إننا في حاجة دينية وثقافية إلى التزام الفصحى وإذاعتها ونشر الوعي بها بين جموع العرب.

أولاً: لنسترد شيئاً من وحدة لا غنى عنها ولا قوة لنا بدونها.

وثانياً: ليصح فهمنا للإسلام والقرآن.

ومن أجل ذلك أوجه ندائي لإخواننا جنود الدعوة إلى الله أن يدركوا خطر المسألة وفداحة النتيجة إذا التزموا العامية وأصروا عليها؛ لأنهم بذلك يخدمون أعداءهم ويحققون غايتهم من حيث لا يشعرون.

ومن جهة أخرى يشاركون في وضع الحواجز والسدود أمام الفهم الواعي للقرآن وتراث الإسلام وما أظن أحداً منهم وكلهم نحسبه على الخير يقبل أن يكون عوناً لأعداء الإسلام أو أن لا يؤدي واجبه في نشر الوعي بلغة القرآن لأنها الطريق القويم إلى فهم الإسلام.

وإني لأربأ بذوي الفضل منهم، أن تزدهيه دعوى الإفهام والتأثير، فيرفع شعار العامية مع الرافعين! أو أن يبتغي توسيع رقعة المخاطبة ولو على حساب الغايات النبيلة والأهداف السامية للعمل في ميدان الدعوة الإسلامية وليس من الصواب ولا من منهج الرشاد أن يقال: «إن العامية» ضرورة لازمة لمخاطبة الناس على قدر عقولهم؛ لأن المخاطبة على قدر العقول، لا تعني تبذل اللغة، أو هبوط الكلام وانحرافه عن سنن الفصحى، وإنما تعني الابتعاد عن تعقيد الفكرة، والتعقر في اللغة أي تعمد اختيار الصعب من التركيب والغريب الحوشي من الكلام.

أما الجنوح إلى العامية بدعوى «إفهام العوام» فإن لم يكن مداراة للعجز عن الفصحى، وقصر الباع في استعمالها، فهو ادعاء يظلم الفصحى والعوام في وقت واحد معاً!!

يظلم الفصحى بأنها غير مفهومة، والله إنها لمفهومة!!



ويظلم العوام بأنهم لا يفهمون، وتالله إنهم ليفهمون!!
وإلا فكيف يخشعون للقرآن، ويتأثرون ببالغ الموعظة وجميل البيان.
وبعد: فتلك كلمة، ما ابتغيت بها إلا تنبيهًا على الارتباط الوثيق بين قضية
الفصحى، وقضية الإسلام ووحدة المسلمين.

(وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَلِكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ

وَالَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ [هود: الآية ٨٨].

فإلى الخطب، وبالله التوفيق.

MOSTAFAALADWY.COM

m

فضل التوحيد وأهميته

أما بعد: إن أعظم فارق بيننا وبين غيرنا من أهل الملل والتحل عمومًا هو شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. فنحن نقرُّ لربنا وخالقنا بالربوبية والألوهية والملك، ونشهد لنبيينا محمد ﷺ بالنبوة والرسالة وغيرنا لا يقرُّ بذلك بل يدعون مع الله آلهة أخرى.

* أهل الإسلام ينفون عن الله الصاحبة والولد، وغيرهم يدعي أن الله اتخذ صاحبة وولدًا.

* أهل الإسلام ينفون عن الله الشريك، وغيرهم جعل له شريكًا في الملك.

* أهل الإسلام لا يشبهون الله بخلقه، وغيرهم يجعل لله شبيهًا ومثليًا.

تعالى الله عما يقول المشركون علوًّا كبيرًا.

لقد دلت الدلائل النقلية والعقلية والحسية على وحدانية الله ﷻ .

لقد شهد الله تعالى لنفسه بذلك، وشهد له بذلك ملائكته الكرام البررة، وكذلك فقد شهد أهل العلم لربهم بالوحدانية.

قال تعالى: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾) [آل عمران: ١٨].

لقد قال المولى تبارك وتعالى: (إِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا) [طه: ١٩٨].

وقال سبحانه: (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) [البقرة: ٢٥٥].

وقال سبحانه: (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) [طه: ٨].

وقال سبحانه: (ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّقُوا اللَّهَ) [غافر: الآية ٦٢].

وقال سبحانه: (وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) [البقرة: ١٦٣].

لقد أوحى الله ذلك إلى المرسلين ، قال تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ

وَاحِدٌ) [الكهف: ١١٠].



إن الدعوة إلى التوحيد أولى الدعوات وأولى الدعوات، لقد أرسل الله لها الرسل (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾) [الأنبياء: ٢٥].
لقد أرسل رسول الله ﷺ معاذًا إلى اليمن (١) فقال له: «فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله».

(٢)

* وفي رواية: «فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله»

(٣)

* وفي رواية: «ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله»

لقد خلق الله ﷻ الخلق لعبادته، قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٨﴾)
[الذاريات: ٥٦].

وأخذت العهود والمواثيق على الأمم بذلك، قال تعالى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَيَا لَوْلِيَيْنَا حَسَنًا) [البقرة: ٨٣].

وقال تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾) أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَنفَعَلْنَا مَا وَعَدَ الْمُعْطَلُونَ ﴿١٧٣﴾) [الأعراف: الآيتان ١٧٢، ١٧٣].

وأمر الله بالتبرؤ من كل معبود سواه، قال تعالى: (إِيَّاكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَىٰ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُهُ وَجِدُّ وَإِنِّي بِرِئِيٍّ مِمَّا تَشْرِكُونَ ﴿١٩﴾) [الأنعام: ١٩].

وقال تعالى: (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ) [الممتحنة: ٤].

ونهى الله عن اتخاذ آلهة معه أشد النهي، وحذر من ذلك أشد التحذير.

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْإِلَهِينَ آئِينَ إِنَّهَا هُوَ إِلَهُهُ وَجِدُّ فَإِنِّي قَالَهُبُونَ ﴿٥١﴾) [النحل: ٥١].

وقال تعالى: (وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾) [المؤمنون: ١١٧].

وقال تعالى: (إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾) [المائدة: ٧٢].

وهذا الذي قدمناه من الدلائل على وحدانية الله ﷻ غييض من فيض وقليل من

(١) البخاري (٧٣٧٢)، ومسلم (حديث ١٩).

(٢) البخاري (حديث ١٤٥٨).

(٣) البخاري (حديث ١٣٩٥).

كثير من الأدلة على وحدانية الله ﷻ ، فكل الأدلة ناطقة بوحداية الله ﷻ : خلق السموات والأرض دالٌّ على ذلك، والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وسائر الخلق، كل ذلك دالٌّ على الله ﷻ وأنه خالق واحد لا شريك له.

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

اختلاف الأسماع والأصوات، بل وبصمات الأعين والآذان، ودقات القلوب، وحركات الأبدان، والإحياء والإماتة، والبعث والنشور وسائر الأمور، كل ذلك دالٌّ على وحدانية الله جل وعلا.

* إن الأسماء الحسنى والصفات العلى لله ﷻ دالة على وحدانيته.

* إن شرعه الذي شرع، وسنته في خلقه كل ذلك دالٌّ على وحدانيته.

إن كتابه الذي أنزل، ونبيه الذي أرسل، وقضائه وقدره كل ذلك دالٌّ على وحدانيته وربوبيته وإلهيته.

إن آيات الله في خلقه من الفقر والغنى، والصحة والعافية والمرض والسقم والإعزاز والإذلال، والرفع والخفض، وتنوع الأشكال، وتنوع الأفهام، وتنوع الأحجام؛ كل ذلك دالٌّ على وحدانيته سبحانه وتعالى.

وقد أحسن ابن المعتز إذ قال:

فيا عجباً كيف يُعصى الإله أم كيف يجحده الجاحدُ

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

إن كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» أفضل الكلمات على الإطلاق.

إنها كلمة طيبة كشجرة طيبة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

إن قائلها قد اتخذ عند الله عهداً أن يدخله الجنة، وأن يباعده عن النار، ويخرجه منها إن كان قد دخلها.

* إنها العروة الوثقى.

* من ختمت حياته بها كان من أهل الجنة.

* قائلها مخلصاً من أسعد الناس بشفاعته محمد ﷺ يوم القيامة.

* إن كلَّ تهليلة يكتب للعبد بها صدقة.

* إنها خير ما قال النبيون.

* إنها المدخل إلى الإسلام، فلا إسلام بدونها؛ فأكثرُوا منها بارك الله فيكم ولتكن



قلوبكم موقنة بها.

وإذا أردت أن تعرف فضل هذه الكلمة ومكانتها عند الله، فاستمع لهذا الحديث وتدبر: حديث البطاقة:

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُغُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُنْشَرُ عَلَيْهِ تِسْعَةٌ وَتَسْعِينَ سَجًّا كُلُّ سَجٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصْرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظْلَمَكَ كَتَبْتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبَّ. فَيَقُولُ: أَفَلَاكَ عُدْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبَّ. فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً فَإِنَّهُ لَا ظَلَمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بَطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَيَقُولُ: احْضُرْ وَرِزْنِكَ. فَيَقُولُ: يَا رَبَّ، مَا هَذِهِ الْبَطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَّاتِ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تَظْلَمُ. قَالَ: فَتَوَضَّعُ السَّجَّاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبَطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ فَطَاشَتِ السَّجَّاتُ وَتَفَلَّتِ الْبَطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ»^(١)

فنشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تلقى بها ربنا سبحانه وتعالى نُقرُّ بها في دنيانا، ونُقرُّ بها بإذن الله عند مماتنا، ونجيب بها إن شاء الله عند السؤال في قبورنا.

نشهد أن لا إله إلا الله ونشهد أن محمدًا رسول الله. إن العقل والمنطق والشعور والحسَّ والوجدان كل ذلك شاهدٌ على وحدانية الله عز وجل وأنه ليس معه آلهة أخرى.

(لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا) [الأنبياء: ٢٢].

وصدق الله إذ قال: (قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَأَبْتَعُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا) سبحانه وتعالى عمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا) [الإسراء: ٤٢، ٤٣].

فنشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. ونشهد أن الله لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن.

فالحمد لله على ذلك، والله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا.

(١) الترمذي (حديث ٢٦٣٩).

وهذا الحديث لرجل أراد الله عز وجل أن يغفر له، فآله سبحانه وتعالى يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء [اللهم إلا الشرك فإن الله لا يغفر أن يشرك به]، أي لمن مات على ذلك. وهناك أقوام من أهل الصلاة يعذبون لجرائم ارتكبوها ومآثم فعلوها كما في حديث المفلس وغيره.

من أين يتأتى الولد ولم تكن لربنا زوجة؟

لقد قالت رشدة الجن معظمة ربها **عَزَّوَجَلَّ** ومنزهة له: ﴿وَأَنَّهُ تَعَلَّىٰ جَدًّا رَبًّا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا

وَلَدًا ۗ﴾ (الجن: ٣).

لقد ردَّ الله **عَزَّوَجَلَّ** مقالة المفترين الكذابين الزاعمين أن الملائكة بنات الله، فقال تعالى: (وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَوَّاتُهَا سَوَّاتُونَ) (الزخرف: ١٩).

وقال تعالى: (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِ رَبِّهِ يَعْمَلُونَ ﴿٦٧﴾) (الأنبياء: ٢٦، ٢٧).

وقال تعالى: (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَفُوا لَهُ، بَيْنَ وَبَيْنَ بَعِيرٍ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٠٠﴾) (الأنعام: ١٠٠).

ونفى الله سبحانه وتعالى عن نفسه الولد فقال: (مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾) (مريم: ٣٥).

إن سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن (١) كما قال النبي عليه الصلاة والسلام.

قال العلماء: إن القرآن على الإجمال قد حوى العقيدة والتوحيد، والقصاص والأخبار، والأحكام والتشريعات، فسورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن بهذا الاعتبار.

(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾) (الإخلاص: الآيات ١-٤).

إن القول بأن الله سبحانه وتعالى قد اتخذ ولداً، قولٌ مؤتفكٌ مفترى على الله، إنه قولٌ شنيعٌ في الغاية من الشناعة والقيح والكفر والشرك، يكاد هذا القول أن يتسبب في خراب العالم ودماره.

قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۗ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٨﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۗ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِنْ كُنَّ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩١﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾) (مريم: الآيات ٨٨-٩٥).

إن هذا القول قول غريب في غاية الغرابة، تستنكره العقول السوية الرشيدة، فكيف يكون لخالق السموات والأرض ولد (ببيع السموات والأرض أنى يكون له، ولد ولتر تكن له).

(١) البخاري (مع الفتح ٥٨/٩)، وانظر مسلم (مع النووي ٩٤/٦).



صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ [الأنعام: ١٠١].

وقد بين **عبد الوهاب** أن من أجل مقاصد إنزال هذا القرآن: إنذار الذين قالوا اتخذ الله ولداً. فقال تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾ فِيمَا لَيْسَ ذَرِيَّةً مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّنْكَرِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرُ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ [الكهف: ١-٥].

ولقد حكم الله تعالى على اليهود والنصارى الذين زعموا أن الله ولداً بالكفر فقال سبحانه: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴿١٧﴾ [المائدة: ١٧]. وقال سبحانه: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزَّىٰرُ بْنُ اللَّهِ وَوَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَنَلَهُمُ اللَّهُ أَنْ يُوَفَّقُوا) [التوبة: ٣٠].

وقال تعالى: (أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ أَفْوَاهٍ يُقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهِ وَلَهُمْ لَكُذُوبٌ ﴿١٥٢﴾ [الصافات: ١٥١، ١٥٢]. وفي الحديث القدسي أن الله تعالى قال: «كُذِّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَّمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَرَعَمَ أَنِّي لَا أَفْهَرُ أَنْ أُعِيدَهُ كَمَا كَانَ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لِي وَلَدٌ، فَسُبْحَانِي أَنْ أَتَّخِذَ صَاحِبَةً أَوْ وَلَدًا» (١). وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَىٰ أَدَىٰ يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَىٰ، إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ لَهُ نِدَاءً وَيَجْعَلُونَ لَهُ وَلَدًا، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ وَيُعْطِيهِمْ» (٢).

وانظر إلى هذا المصير السيئ الذي سوف يلقاه من قال: إن عزير ابن الله، ومن قال: إن المسيح ابن الله:

أخرج البخاري في صحيحه (٣) من حديث أبي سعيد الخدري قال: قلنا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانتا صحوًا؟» ... فذكر الحديث وفيه: قال: «يُنَادِي مُنَادٍ: لِيَذْهَبْ كُلُّ قَوْمٍ إِلَىٰ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيبِهِمْ، وَأَصْحَابُ الْأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ، وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ، حَتَّىٰ يَبْقَىٰ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ وَعَبْرَاتٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، ثُمَّ يُؤْتَىٰ

(١) البخاري (حديث ٤٤٨٢).

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٨٠٤).

(٣) البخاري (حديث ٧٤٣٩).

بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ فَيَقَالُ لِلْيَهُودِ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عَزِيرَ ابْنِ اللَّهِ.
فَيُقَالُ: كَذَّبْتُمْ، لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةً وَلَا وَكْدًا، فَمَا تُرِيدُونَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِينَا. فَيُقَالُ:
اشْرَبُوا. فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ. ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَى: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا نَعْبُدُ
الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ فَيُقَالُ: كَذَّبْتُمْ، لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةً وَلَا وَكْدًا، فَمَا تُرِيدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نُرِيدُ أَنْ
تَسْقِينَا فَيُقَالُ: اشْرَبُوا. فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ...».

فهذه عاقبة من زعم أن الله قد اتخذ ولدًا.

نسأل الله ﷻ أن يتوفانا يوم يتوفانا على التوحيد الخالص.

واستغفروا ربكم إنه كان غفارًا.

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد ...

أما وقد علمنا أن الله سبحانه وتعالى إلهٌ واحد لا شريك له، وأنه ربُّنا وخالقنا
ورازقنا ومُحِيننا ومُمِيننا.

وأنه المعز المذل القابض الباسط، له الأسماء الحسنى وله الصفات العُلى.

وقد علمنا أيضًا أن الله له الخلق والأمر، الخلق خلقه والملك ملكه، فلا يسعنا إذن
أن نتجه بالعبادة لغيره، فهو ربُّ الناس وملك الناس وإله الناس، إليه يتوجهون
بعبادتهم، لا يرجون أحدًا سواه، يصلون له ويسجدون، يذبحون له وينسكون، يحلفون
به وإياه يرهيون.

* يسألونه ولا يسألون أحدًا سواه.

* يخشونه ولا يخشون إلا إياه.

* يحلفون به ولا يحلفون بغيره.

* يستغيثون به، وينذرون ابتغاء وجهه.

* يتعوذون به ويلوذون بحماه.

* قد علموا أن الذي يكشف الضرَّ هو الله، وأن الله هو الرزاق ذو القوة المتين.

* لا يتعلقون بتميمة ولا بحجر.

* ولا يسجدون لصنم أو شجر.

* لا يركعون لعجلٍ ولا وثن.

* لا يتطيرون، بل على ربهم يتوكلون.



- * لا يؤمنون بجبتٍ ولا بطاغوت.
- * ولا يعتقدون في نجم، ولا يصدقون مُنجماً.
- * لا يجعلون لله أنداداً، ولا يتخذون من دون الله آوثاناً.
- * توكلهم على الله وملجؤهم إليه، هو حسبهم ونعم الوكيل.
- * لا يأمنون مكر الله، ولا يقنطون من رحمته.
- * الحلال عندهم ما أحله الله، والشرع ما شرع والتحاكم إنما يكون إلى وحيه.
- * لا يسبون الدهر ولا يتسخطون على قدر.
- * لا يُلحدون في أسماء الله، ولا يتسمون ولا يسمون بملك الأملاك ^(١).
- * يعلمون أن الأمور مقدره، وأن الأجال مكتوبة مسطرة.
- * لا يقولون: لو أنا فعلنا كذا لكان كذا، ولكن يقولون قدر الله وما شاء فعل.
- * لا يضاھون بخلق الله، ولا يتألى واحدٌ منهم على الله ^(٢).
- * لا يسألون غير الله المدد، ولا يطلبون منه النظرات ولا يزفون إلى غير الله النذور.

* ولا يتخذون القبور مساجد ولا يطوفون بغير البيت العتيق.

* لا يعوذون بإنس ولا بجن.

فإن الله قال: (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) ^(٦) [الجن: ٦].

إنهم لم يتخذوا أولياء يقربونهم إلى الله زلفى.

قد علموا أن الغيب لله لا يعلمه إلا هو، ليس عندهم غلو في الصالحين.

لا يقولون: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن يقولون: ما شاء الله ثم شاء فلان.

عملهم كله له، حياتهم كلها له، وكذا مماتهم.

(قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ^(١٣٢) لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ^(١٣٣))

[الأنعام: الآيتان ١٦٢، ١٦٣].

(١) في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أُخْنَعَ اسْمٌ عِنْدَ اللَّهِ رَجُلٌ تَسْمَى بِمَلِكِ الْأَمَلِ، لَمْ يَكُنْ»

= مَالِكُ ابْنِ اللَّهِ». رواه البخاري (٦٢٠٥)، ومسلم (٢١٤٣).

(٢) أخرج مسلم في صحيحه من حديث جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَّ رَجُلًا قَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ. وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أُغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ وَأَخْبَطْتُ عَمَلَكَ» أَوْ كَمَا قَالَ. رواه مسلم (حديث ٢٦٢١).

(فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْسِرْ ﴿٢﴾) [الكوثر: ٢].

(بَلْإِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾) [الأنعام: ٤١].

* الحكم حكمه (إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ) [الأنعام: ٥٧].

* والأمر أمره (قُلْ إِنَّمَا أَمْرُهُ لِلَّهِ) [آل عمران: ١٥٤].

* القضاء قضاؤه (وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ) [غافر: الآية ٢٠].

* هو الذي يسمع الداعي، ويجيب السائل، ويفك العاني، ويشفي المريض.

هو الذي يُغيث المستغيثين، ويقضي الدين عن المدينين.

هو الذي يكشف الضر ويجيب المضطر: (وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن

يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾) [الأنعام: ١٧].

(أَمَّنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا

تَذَكَّرُونَ ﴿٢٢﴾) [النمل: ٢٢].

هو الذي يُخشى هو الذي يُرهب قال تعالى: (فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَخَشَوُا اللَّهَ وَخَشَوُا) [المائدة:

٤٤].

وقال سبحانه: (إِنَّمَا ذِكْرُ الشَّيْطَانِ يُخَوِّفُ أُولَئِكَ هُمُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) [آل عمران: ١٧٥].

وقال عز وجل: (وَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ ﴿٤٠﴾) [البقرة: ٤٠].

* التوكل عليه وحده: (رَبِّ الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿١٠١﴾) [المزمل: ٩].

هو الذي يُدعى، وهو الذي يُرجى قال تعالى: (هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ

الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾) [غافر: ٦٥].

لقد انتظمت الآيات الكريمة (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾

أمر التوحيد خير انتظام؛ فهو رب الناس وملكهم.

وكذا فهو إلههم الذي يتوجهون إليه بعبادتهم، فللعباداة خلقهم: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ

إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥١﴾) [الذاريات: ٥٦].

وبهذا أمرهم (أَمَّا أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) [يوسف: ٤٠].

وهذا حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً. (٢)

(١) العاني: الأسير.

(٢) أخرج البخاري (حديث ٢٨٥٦) ومسلم (٣٠) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: «يَا مُعَاذُ! هَلْ

تُدْرِي مَا حَقَّ لِلَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَمَا حَقَّ الْعِبَادَةُ عَلَى اللَّهِ؟» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى

الْعِبَادِ: أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ الْعِبَادَةُ عَلَى اللَّهِ: أَنْ لَا يُعَذَّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا».



ولهذا ورد عن رسول الله ﷺ جملة أحاديث بها يُحمى جناب التوحيد:
 قال رسول الله ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ دَبِحَ لِغَيْرِ اللَّهِ»^(١).
 وورد في الحديث عن رسول الله ﷺ: «مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ»^(٢).
 وفي حديث آخر يشهد له: «إِنَّ الرُّقَى وَالْتَّمَائِمَ وَالْتَّوَلَةَ شِرْكٌ»^(٣).
 وقال رسول الله ﷺ: «لَا تُظْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ؛ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ
 فَفُؤَلُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»^(٤).
 وقال ﷺ: «لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» يُحَدِّرُ مَا
 صَنَعُوا»^(٥).
 وقال ﷺ: «أَنَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَنَا
 فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنهَاكُمُ عَنْ ذَلِكَ»^(٦).
 وقال أيضاً ﷺ: «إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ وَمَنْ يَتَّخِذُ الْقُبُورَ
 مَسَاجِدَ»^(٧).
 وقال ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا قُبُورِي عِيدًا»^(٨).
 وقال ﷺ: «مَنْ أَتَى عَرَافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ؛ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»^(٩).
 وقال ﷺ: «لَا عَدْوَى وَلَا طَيْرَةَ وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفْرَ»^(١٠).
 وقال ﷺ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُؤَبَقَاتِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكَ بِاللَّهِ
 وَالسَّحْرُ»^(١١).
 ونهى رسول الله ﷺ عن الحلف بغير الله فقال: «أَلَا إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمُ أَنْ تَخْلِفُوا بِأَبَانِكُمْ؛

(١) صحيح: رواه مسلم (١٩٧٨).

(٢) رواه أحمد (١٥٦/٤) وسنده حسن.

(٣) رواه أحمد (٣٨١/١).

(٤) البخاري (٣٤٤٥).

(٥) البخاري (٤٣٥) ومسلم (٥٣١).

(٦) مسلم (٥٣٢).

(٧) صحيح لغيره: رواه أحمد (٤٠٥/١).

(٨) إسناده حسن: رواه أبو داود (٢٠٤٢) وغيره.

(٩) مسلم (٢٢٣٠).

(١٠) البخاري (٥٧٥٧) ومسلم (٢٢٢٠).

(١١) البخاري (٢٧٦٦) ومسلم (حديث ٨٩).

فَمَنْ كَانَ حَالِقًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ وَإِلَّا فَلْيَصْمُتْ»^(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: «لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، وَلَا بِأُمَّهَاتِكُمْ، وَلَا بِالْأَنْدَادِ، وَلَا تَحْلِفُوا إِلَّا بِاللَّهِ»^(٢).

وقد أتى يهودي النبي ﷺ فقال: إِنَّكُمْ تُنَدِّدُونَ وَإِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُمْ، وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ، فَأَمْرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وَيَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتُمْ^(٣).

وقد حسن عدد من العلماء حديث: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ»^(٤).

وفي الحديث: «مَنْ حَلَفَ بِالْأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنْهَا»^(٥).

فنسأل الله أن يحفظ علينا ديننا، وأن يرزقنا التوحيد والإيمان ويثبتنا عليهما، وأن يجنبنا الشرك والكفران.

الدعاء.....

(١) البخاري (٦٦٤٦) ومسلم (١٦٤٦).

(٢) أبو داود بسند صحيح (حديث ٣٢٤٨).

(٣) النسائي (٣٧٧٣) وسنده صحيح.

(٤) أخرجه أبو داود (٣٢٥١) وغيره.

(٥) صحيح: أخرجه أبو داود (٣٢٥٣).



m

الإخلاص وفضله

أما بعد: فإن أعمال العباد المقبولة التي يرجى من ورائها الثواب يجب أن تكون صوابًا. خالصةً يبتغى بها وجه الله تبارك وتعالى، صوابًا موافقةً للكتاب والسنة.

قال تعالى: (فَمَنْ كَانَ رِجَالُهُ يَأْتِيهِ فَليَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) [الكهف: ١١٠].

وهذا الذي تضمنته الآية الكريمة تضمنته آيات أخر كقوله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [النساء: ١٢٥].

وكقوله تعالى: (بَلْ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾) [البقرة: ١١٢].

وكقوله تعالى: (﴿ وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾) فكلها آيات دالة على أن العمل المتقبل يجب أن يكون خالصًا صوابًا يبتغى به وجه الله، ويوافق الكتاب والسنة ولذا أيها الإخوة فقد أمر الله ﷻ بإخلاص العمل له وكذا إخلاص العبادة والدعاء وحثَّ على ذلك في عدة آيات من أي الكتاب العزيز.

قال الله تعالى: (قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾) [الزمر: ١٤].

وقال سبحانه: (فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾) [غافر: ٤٠].

وقال ﷻ: (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ) [الزمر: ٢].

كما أنه ﷻ قد قال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ

مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۗ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦﴾﴾ [النساء: ١٤٦].

لقد جاء رجل ^(١) إلى رسول الله ﷺ فقال: «أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر

ما له؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا شيء له» فأعادها ثلاث مرات يقول رسول الله ﷺ: «لا

شيء له» ثم قال: «إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا وابتغى به وجهه».

إن إخلاص العمل لله ﷻ يرفع صاحبه يوم القيامة درجات.

(١) النسائي (٢٥/٦) بإسناد حسن.

إن الأجر والثواب يثبت لأقوام لا لكبير عملٍ يعملوه ولكن لحسن نواياهم. وإن تقاصرت بهم السبل وانقطعت بهم الحبال وحبستهم الأعذار عن أعمال البر.

قال □ : «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَايًّا إِلَّا شَارَكُوكُمُ الْأَجْرَ حَبَسَهُمُ الْعُدْرُ»^(١).

لقد فرج الله ﷻ هموم الثلاثة أصحاب الغار الذين انطبقت على فم غارهم صخرة، فأظلم عليهم الغار، وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه، ثم توسلوا بصالح الأعمال التي عملوها يبتغون بها وجه ربهم ففرج الله عنهم.

إن الله ﷻ لا ينظر إلى الصور والأموال ولكن ينظر إلى القلوب والأعمال^(٢) إن قومًا يبلغهم الله منازل الشهداء، وإن ماتوا على فرشهم وذلك لحسن نواياهم وصدق دعائهم.

كما قال رسول الله □ : «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ؛ بَلَغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ»^(٣).

وفي الحديث الآخر: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ»^(٤).

وإن قومًا آخرين يحشرون مع نبيهم محمد □ لا لكبير عملٍ عملوه، ولا لكثير صلاة ولا صدقة، ولكن لمحبتهم الله ورسوله، كما في الحديث الذي أخرجه البخاري^(٥) ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه قال: بَيَّنَّمَا أَنَا وَرَسُولُ اللَّهِ □ خَارَجِينَ مِنَ الْمَسْجِدِ فَلَقِينَا رَجُلًا عِنْدَ سُدَّةِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ □ : «مَا أَعَدَدْتُ لَهَا؟» قَالَ: فَكَأَنَّ الرَّجُلَ اسْتَكَانَ ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَعَدَدْتُ لَهَا كَبِيرَ صَلَاةٍ وَلَا صِيَامٍ وَلَا صَدَقَةٍ وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَالَ: «فَأَنْتَ مَعَ مَنْ أُحِبُّتُ».

أيها الإخوة: إن أسعد الناس بشفاعة رسول الله □ من قال: لا إله إلا الله خالصًا من

(١) انظر البخاري (٢٢١٥) ومسلم (٢٧٤٣).

(٢) ذكر نحوه رسولنا محمد □ انظر صحيح مسلم (حديث ٢٥٦٤).

(٣) أخرجه مسلم (حديث ١٩٠٩) وفي رواية أخرى عنده «من طلب الشهادة صادقًا أعطها ولو لم تصبه».

(٤) مسلم (حديث ١٩١٠).

(٥) البخاري (حديث ٦١٧١) ومسلم (حديث ٢٦٣٩ ص ٢٠٣٣).



إن الناس يوم القيامة يُبعثون على نياتهم، كما قد صح ذلك عن رسول الله ﷺ من وجوه عدة (١).

وأيضاً فقد قال رسول الله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى» (٢). وقد قال عدد من أهل العلم في هذا الحديث الشريف المبارك: إنه ثلث العلم، وأحد القواعد التي ترد إليها الأحكام ووجه قولهم: إنه ثلث العلم، وبعضهم قال ثلث الإسلام؛ لأن الإسلام قول وعمل ونية فلا بد لقبول العلم من سلامة النية وحسنها واتقاء الرياء المحبط للأعمال.

فعلى كل مسلم يتبغي مرضات الله ويرجو لقاءه ويرغب في ثوابه أن يخلص في جميع أعماله وأقواله لله ﷻ يطلب بذلك رضاه ويرجو لقاءه في فسيح جناته. فإذا أعطيت أحداً عطاءً فليكن عطاؤك لله، وإذا منعت فليكن منعك أيضاً لله. وإذا أحببت أيها المسلم أحببت الله وإذا أبغضت أبغضت في الله. وإذا خاصمت تخاصم الله، وإذا حاكمت تحاكم الله! وإذا صبرت تصبر لله، وإذا غضبت تغضب لله! وهكذا في شئونك كلها معهم، وبهذا جاءت الأدلة من كتاب الله تبارك وتعالى ومن سنة رسول الله ﷺ، فضلاً عن كون ذلك من البديهيات التي يعرفها كل مؤمن.

ففي الإنفاق والطعام والعطاء:

قال الله تعالى: (وَيُطْعَمُونَ الْطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُزِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا (٩) [الإنسان: ٨، ٩].

وقال سبحانه: (الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ) (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ (٢٠) [سوف يرضىٰ] (٢١) [الليل: ١٨-٢١].

وقال تعالى: (وَمَا تَنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ) [البقرة: ٢٧٢]. وقال سبحانه: (وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبِّ لَيْزِيًّا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرِيئُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضَعِفُونَ) [البقرة: ٢٣٩].

(١) انظر البخاري (حديث ٩٩).

(٢) انظر البخاري (حديث ٢١١٨) ومسلم (حديث ٢٨٨٢) وغير ذلك.

(٣) البخاري في عدة مواطن من صحيحه (ومنها حديث ١، ٥٤) ومسلم (١٩٠٧).

وفي الإصلاح كذلك بين الناس:

لا تصلح بينهم ليقال عنك مصلح، بل أصلح بينهم ابتغاء رضوان الله وابتغاء ما عند الله.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ١١٤).

* فعليك أن تتناجى بالخير ابتغاء مرضات الله.

* وعليك أن تأمر بالصدقة والمعروف ابتغاء مرضات الله.

* وعليك أن تصلح بين الناس ابتغاء مرضات الله.

ذلك كله حتى تؤتى الأجر العظيم.

وكذلك في الصبر على أذى الناس:

* إذا صبرت فلا تصبر ليقال عنك صابر!

* لا تصبر خوفاً على صحتك!

* لا تصبر لكون الطرق مغلقة إلا طريق الصبر!

* ولكن اصبر ابتغاء وجه ربك، وابتغاء ثواب ربك!

* إذا تكلمت فأخلص فيها لله وإذا سكنت فيكن سكوتك ابتغاء مرضات الله.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدْرُسُونَ بِالْحَسَنَةِ أُولَٰئِكَ لَمْ نُغَيِّبْ لَهُمُ الدَّارَ﴾ (الرعد: ٢٢).

وإذا شهدت فاشهد لله:

قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ (الطلاق: ٢).

فلا تشهد ليقال عنك قوال بالحق.

ولكن اجعل شهادتك وكلمتك لله سبحانه: طلباً لثوابه وابتغاء رضوانه.

إذا تعلمت فتعلم لله، وإذا جاهدت فجاهد لله، وإذا أنفقت فأنفق لله.

اجعل صلاتك لله، ونسكك لله، وحياتك لله، ومماتك لله:

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١١٣) لَا شَرِيكَ لَّهُ. وَيَذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١١٣)

[الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

وجاءت نصوص السنة بذلك أيضاً:

قال النبي ﷺ في بيان السبعة الذين يُظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «رَجُلَانِ



(١)

تَحَابًا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ»

وقال النبي □ : «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَدَّفَ فِي النَّارِ» (٢)

(٣)

وقال □ : «مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ وَأَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ»

وكما قال □ : «إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجَهَ اللَّهُ إِلَّا أَجْرَتْ عَلَيْهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ» (٤)

وفي الحديث كذلك: «إِذَا أَنْفَقَ الْمُسْلِمُ نَفَقَةً عَلَى أَهْلِهِ وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً» (٥)

(٦)

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله □ : «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِيَوْمِ الْيَوْمِ أَظْلَهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا لِي».

(٧)

وفيه أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي □ : «أَنْ رَجُلًا زَارَ أَخَاهُ فِي فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى فَارْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا فَلَمَّا آتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تَرِيدُ؟ قَالَ: أَرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرِيئُهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، قَالَ: فَأَيُّ رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكَ بَانَ اللَّهُ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ».

(٨)

وفي «مسند الإمام أحمد» من طريق أبي مسلم الخولاني رحمه الله قال: أُتِيْتُ أَنِّيْتُ مَسْجِدَ أَهْلِ دِمَشْقَ فَإِذَا حَلَقَةٌ فِيهَا كُهُولٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ □ ، وَإِذَا شَابٌّ فِيهِمْ أَكْحَلُ الْعَيْنِ بَرَّاقُ الثَّنَائِيَا كُلَّمَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ رَدُّوهُ إِلَى الْفَقِيِّ، فَتَى شَابٌّ، قَالَ: قُلْتُ لِجَلِيسٍ لِي: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، قَالَ: فَجِئْتُ مِنَ الْعَشِيِّ فَلَمْ يَحْضُرُوا،

(١) البخاري (حديث ٦٦٠)، ومسلم (حديث ١٠٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.(٢) البخاري (حديث ١٦) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً، ومسلم (حديث ٤٣).(٣) أخرجه أبو داود (٣٦٨١) بإسناد حسن من حديث أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً وله شاهد عند أحمد (٤٤٠/٣)من حديث معاذ الجهني رضي الله عنه مرفوعاً بزيادة: «وَأَنْكَحَ اللَّهُ».(٤) البخاري (حديث ٥٦)، ومسلم (ص ١٢٥١) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه مرفوعاً.

(٥) البخاري (حديث ٥٣٥١)، ومسلم (حديث ١٠٠٢).

(٦) مسلم (حديث ٢٥٦٦).

(٧) مسلم (حديث ٢٥٦٧).

(٨) أحمد (٢٣٦/٥) وهو صحيح بمجموع طرقه.

قَالَ: فَعَدَوْتُ مِنَ الْعَدَاةِ قَالًا فَلَمْ يَجِئُوا فَرُحْتُ فَإِذَا أَنَا بِالشَّابِّ يُصَلِّي إِلَى سَارِيَةٍ فَرَكَعْتُ، ثُمَّ تَحَوَّلْتُ إِلَيْهِ، قَالَ: فَسَلِّمْ فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَقُلْتُ: إِنِّي لَأُحِبُّكَ فِي اللَّهِ، قَالَ: فَمَدَّنِي إِلَيْهِ قَالَ: كَيْفَ قُلْتُ؟ قُلْتُ: إِنِّي لَأُحِبُّكَ فِي اللَّهِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَحْكِي عَنِ رَبِّهِ يَقُولُ: «الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ» قَالَ: فَخَرَجْتُ حَتَّى لَقِيتُ عِبَادَةَ بَنِ الصَّامِتِ فَذَكَرْتُ لَهُ حَدِيثَ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَحْكِي عَنِ رَبِّهِ ﷺ يَقُولُ: «حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ».

وفي رواية للترمذي (١) لهذا الحديث مختصرة: «قال الله ﷻ: الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلَالِي لَهُمْ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ يَعْطِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشَّهَدَاءُ».

وإذا أحببت القوم لله وفي الله حشرت معهم يوم القيامة:

ففي «الصحيحين» من حديث أبي موسى رضي الله عنه قيل للنبي ﷺ: الرجل يحب القوم ولما يخلق بهم قال: «المرء مع من أحب». راقب الله في تصرفاتك مع الناس فأعمالك يراها الله:

قال النبي ﷺ: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» (٣).

وقال تعالى: (يَعْلَمُ السِّرَّ وَالْخَفَى) (٧) [طه: ٧].

وقال سبحانه: (الَّذِي يَرِيكَ حِينَ تَقُومُ) (١٨) وَتَقُوبُكَ فِي السُّجُودِ (١٩) [الشعراء: ٢١٨، ٢١٩].

وقال سبحانه: (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ

(٦) [المجادلة: ٦].

رزقنا الله وإياكم الإخلاص في القول والعمل وجنبنا الله وإياكم مسالك الشيطان وطرائقه، استغفروا ربكم إنه كان غفارًا.

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد ...

أما وقد بينا أن الأعمال يجب أن يسودها الإخلاص ويصاحبها ويكسوها، فلا حياة

(١) الترمذي (٢٣٩٠) من حديث معاذ وإسناده حسن.

(٢) البخاري (٦١٧٠) ومسلم (ص ٢٠٣٤) وقد وقع لأبي وائل شيخان في هذا الحديث فرواه أبو وائل عن أبي موسى ومرة عن ابن مسعود، وكلا الطريقين صحيح وانظر «علل ابن أبي حاتم» (٣٧٢/٢).

(٣) أخرجه مسلم (حديث ١) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعًا.



للقلوب ولا سلامة لها إلا بالإخلاص، وكذا لا استقرار ولا طمأنينة إلا بالإخلاص. عليك أيها المسلم أن تحرص غاية الحرص على أن يكون عطاؤك لله، ومنعك الله، وأخذك الله، وحبك الله، وبغضك في الله، وشئونك كلها لله، وذلك حتى لا تندم على خير صنعته، فسجاياء الناس تختلف، وطبائعهم تتنوع، فقد تحسن إلى شخص غاية الإحسان ويقابل ذلك بمنتهى الجحود والكفران.

فحتى لا تُصدم بمعاملة الناس السيئة وبجحودهم وكفرانهم عليك أن تخلص الأعمال كلها لله.

وأذكرك أخي الكريم بقصة ذلك الرجل الذي تصدق فوَّقت صدقته في يد سارق ثم تصدق فوَّقت صدقته في يد زانية، ثم تصدق فوَّقت صدقته في يد غني، وهو لا يعلم، ومع ذلك كله فإن صدقته تقبلها الله **عَزَّوَجَلَّ** لما علمه الله من نيته وحرصه على مرضاة ربه وها هي قصته وهذا هو حديثه:

أخرج البخاري ^(١) من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أن رسول الله ﷺ قال: «قال رجلٌ لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ فُخِرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصَدِّقَ عَلَى سَارِقٍ فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ. لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ. فُخِرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِي زَانِيَةٍ فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصَدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ، لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ. فُخِرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِي غَنِيٍّ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصَدِّقَ عَلَى غَنِيٍّ فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى سَارِقٍ، وَعَلَى زَانِيَةٍ، وَعَلَى غَنِيٍّ فَأَتَى فَقِيلَ لَهُ: أَمَا صَدَقْتَكُ عَلَى سَارِقٍ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعِفَّ عَنْ سَرَقَتِهِ، وَأَمَا الزَّانِيَةَ فَلَعَلَّهَا أَنْ تَسْتَعِفَّ عَنْ زَنَاهَا، وَأَمَا الْغَنِيُّ فَلَعَلَّهُ يَعْتَبِرُ فَيُنْفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ».

ونحوه ما أخرجه البخاري ^(٢) من حديث معن بن يزيد **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَأَبِي وَجَدِّي وَخَطْبَ عَلِيِّ فَأَتَكْحَنِي وَخَاصَمْتُ إِلَيْهِ. وَكَانَ أَبِي يَزِيدُ أَخْرَجَ دَنَانِيرَ يَتَصَدَّقُ بِهَا، فَوَضَعَهَا عِنْدَ رَجُلٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَجِئْتُ فَأَخَذْتُهَا فَأَتَيْتُهُ بِهَا فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا إِلَيْكَ أَرَدْتُ، فَخَاصَمْتُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «لَكَ مَا تَوَيْتَ يَا يَزِيدُ وَلَكَ مَا أَخَذْتَ يَا مَعْنُ».

فاحرص على أن يرضى عنك الله سبحانه وتعالى ولا ترض الناس بسخط الله

(١) البخاري (حديث ١٤٢١).

(٢) البخاري (١٤٢٤).

عليك بل أطع الله فيهم واتق الله فيهم فإن النبي ﷺ قد قال: «من أرضى الله بسخط الناس كفاه الله الناس، ومن أسخط الله برضا الناس وكله الله إلى الناس»^(١).

وإذا تركت شيئاً فاتركه لله:

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا اتَّقَى اللَّهُ ﷻ إِلَّا أَعْطَاكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ»^(٢).
الدعاء...

* * *

MOSTAFAALADWIY.COM

(١) أخرجه عبد بن حميد في «المنتخب» (حديث ١٥٢٢ بتحقيقي) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٧٩٧٨/٥) من حديث رجل بدوي عن رسول الله، وإسناده صحيح.

m

خطر الشرك وبيان لبعض صورته

أما بعد: إن معرفة الخير كي يفعل، ومعرفة الشر كي يتقى ويجتنب أمرٌ لازم للمسلم الذي يريد أن يلقي ربه يوم يلقاه بقلب سليم. ولذا فإن الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه كان يقول: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني.

ألا وإن أعظم الشرور التي يجب أن تُتقى على الإطلاق ... الشرك بالله عز وجل؛ فلا أضرب على الإنسان من الشرك بالله.

- * إن خطر الشرك عظيم.
- * إنه الذنب الذي لا يغفر.
- * إنه ظلم عظيم وضلال بعيد.
- * إنه يحبط الأعمال جميعها، ويذهب بثوابها ويجعلها هباءً منثوراً.
- * إنه افتراء على الله عز وجل.
- * إن الجنة حرام على المشرك.
- * وانظروا ببارك الله فيكم إلى هذه النصوص المحذرة من الشرك واستمعوا إليها.
- * قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) [النساء: الآية ٤٨].
- * وقال تعالى: (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) [القصص: الآية ١٣].
- * وقال تعالى: (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا) [النساء: الآية ١١٦].
- * وقال سبحانه: (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ

[الزمر: الآية ٦٥] ﴿٦٥﴾

وقال تعالى في شأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعد أن ذكر طائفة منهم: (وَلَوْ

أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [الأنعام: الآية ٨٨].

وقال تعالى في المشركين وأعمالهم: (وَقَدْ مَنَّآ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِذْ مَنَعْنَا كَفْرَهُمْ وَقَدَّمْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ ثُمَّ لَمَّا جَاءَهُمُ الْبُرْهَانُ كَرِهُوا الْبُرْهَانَ وَكَانُوا كَافِرِينَ) [الأنعام: الآية ١١٠].

[الفرقان: الآية ٢٣].

وقال تعالى: (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا) (٤٨) [الفرقان: الآية ٢٣].
وقال تعالى: (إِنَّهُ، مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ

(٧٢) [المائدة: الآية ٧٢].

واستمع إلى هذه العقوبة العظيمة والمثل الخطير المضروب للمشرك!!!
قال تعالى: (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَظَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَىٰ بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ

(٣١) [الحج: الآية ٣١].

إن الطير تتخطفه قبل أن يصل إلى الأرض فتمزقه إربًا إربًا وهو في جو السماء.
وإن قدر ولم تصل إليه الطير فتهدى به الريح في مكان سحيق. عميق وأي عميق،
عميق غاية العمق. فهذا مثله وما يفعل به.

إن الرعب يُقذف في القلوب بسبب الشرك:

قال تعالى: (سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا
وَمَا أَوْهِنُهُمُ النَّارُ وَيَسَّ مَتَوَى الظَّالِمِينَ) (١٥١) [ال عمران: الآية ١٥١].
فالمشرك دائمًا خائف، خائف من كل شيء. خائف من ساحر، خائف من كاهن،
خائف من جن، خائف من إنس، بل خائف من الشجر والحجر.
إن الرعب يعتريه، والكرب يحتويه، والشياطين تستهويه تجعله في الأرض
حيران.

توزره إلى المعاصي أزرًا. وتدفعه إلى المعاصي دفعًا!
تتسلط عليه تسلطًا، قال تعالى: (إِنَّمَا سُلْطَنُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ
[النحل: الآية: ١٠٠].

ولقد نزه الله سبحانه وتعالى نفسه عن الشرك في عدة آيات:

قال تعالى: (فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَلَّىٰ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (١١٦) [الأعراف:

الآية ١٩٠].

وقال تعالى: (سُبْحٰنَهُ، وَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (١٨) [يونس: الآية ١٨].

وقال تعالى: (خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (٣) [النحل: الآية ٣].

وقال سبحانه: (عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ) [المؤمنون: الآية ٩٢].

وقال تعالى: (أَمْ هُمْ إِلٰهٌ عِندَ اللَّهِ سُبْحٰنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (٤٣) [الطور: الآية ٤٣].



الجزء الثاني: بيان لبعض صورته



وقال **عز وجل**: (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذَ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مِنَ الدَّلِيلِ وَكِبْرُهُ تَكْبِيرًا

[الإسراء: الآية ١١١].

والآيات في هذه الصدد كثيرة جداً.

ولقد نهى الله عن الشرك أشد النهي، وكما سمعتم فقد توعد عليه أشد الوعيد وقال

تعالى: (**وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**) [النساء: الآية ٣٦].

وقال تعالى: (**قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ عَنِ كَيْفٍ لَكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا...**) [الأنعام: الآية

١٥١].

وقال تعالى: (**قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**) لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا

أول المسلمين [الأنعام: الآيات ١٦٢، ١٦٣].

وقال تعالى: (**مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِقًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**) [الكهف: الآية

١١٠].

لقد عهد الله إلى خليله إبراهيم عليه السلام ألا يشرك بالله فقال تعالى: (**وَإِذْ بَوَّأْنَا**

لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتِ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا) [الحج: الآية ٢٦].

وأعلن مؤمنو يوم الجن بصراحة ووضوح عن وجهتهم إذ قالوا: (**وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا**

[الجن: الآية ٢].

وصدّر لقمان وصيته لولده بقوله: (**يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**) [لقمان: الآية

١٣].

ولذا فإن الشرك أعظم ذنب يرتكب.

قال رسول الله ﷺ ، وقد سئل: أي الذنب أعظم يا رسول الله؟ قال: «**أَنْ تُجْعَلَ اللَّهُ نِدًّا**

وَهُوَ خَلْقَكَ» (١).

ولقد جاء الشرك على رأس الموبقات التي حذر منها رسول الله ﷺ، إذ قال ﷺ :

«**اجتنبوا السبع الموبقات**»، قيل: وما هن يا رسول الله؟ قال: «**الشرك بالله والسحر...**»

فذكر الحديث (٢).

ولقد كان رسول الله ﷺ يأخذ البيعة على أصحابه أن لا يشركوا.

ففي حديث عبادة بن الصامت **رضي الله عنه** أن رسول الله ﷺ قال: «**بايعوني على أن لا**

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٤٧٧) ومسلم (حديث ٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٢٧٦٦) ومسلم (حديث ٨٩).

تشرکوا بالله شيئاً...» (١) فذكر الحديث.

أما عن المشركين فإنهم رجسٌ ونجسٌ إذ الله تبارك وتعالى قد قال: (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ
نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا) [التوبة: الآية ٢٨].

وقد قال تعالى: (مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ أُولَٰئِكَ
حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ) (١٧) [التوبة: الآية ١٧].
لقد تبرأ الله ﷻ منهم، وكذا فقد تبرأ منهم رسول الله ﷺ .

قال تعالى: (وَأَذِّنْ مِنَّا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ)
[التوبة: الآية ٣].

لقد توعدهم الله بالويل فقال تعالى: (وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ) (٦) [فصلت: الآية ٦].
وأمر الله بقتالهم فقال تعالى: (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا وَقَاتَلْتُمُومِنًا كَافَّةً)
[التوبة: الآية ٣٦].

لقد حرم الله نكاحهم وإنكاحهم، قال تعالى: (وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ وَلَا أُمَةٌ مُؤْمِنَةٌ
حَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَا أَعْبَتُكُمْ) [البقرة: ٢٢١].

وقال تعالى: (الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ)
(٢) [النور: الآية ٣].

ولو قدر وأسلم رجل وعنده مشركة فلا يحل له البقاء معها، قال تعالى: (وَلَا تُنكِحُوا
بَعْضَ الْكُوفِرِ) [الممتحنة: الآية ١٠].

إن أهل الشرك لا يرثون ولا يورثون، ولا يصلي عليهم ولا يدفنون في مقابر
المسلمين، ولا تؤكل ذبائحهم، ولا يكونون أولياء في النكاح.
عافانا الله وإياكم من الشرك الخبيث، وأعاذنا الله من أهله.

أما عن أقسام الشرك أيها الإخوة فإنه ينقسم إلى شرك أكبر وشرك أصغر.

*** أما الشرك الأكبر:** فمنه شرك في الربوبية، وشرك في الألوهية، وشرك في
الأسماء والصفات.

*** أما شرك الربوبية:** فمنه اعتقاد أن مدبراً يدبر أمر الخلق مع الله ﷻ وكذا
يسيره ويحركه. وكمن يتخذ أرباباً يحلون له الحرام، ويحرمون عليه الحلال فيتبعهم
في ذلك. وأيضاً كمن يتخذ المسيح رباً، وكذا بعض الأبحار والرهبان.

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٨) ومسلم (١٧٠٩).



قال تعالى: (اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهَيْبَتْهُمْ أَزْكَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾) **التوبة: الآية ٣١.**

*** وأما شرك الألوهية:** فمنه دعاء غير الله **عَزَّ وَجَلَّ** ، وذلك نوع من الضلال البعيد، إذ الدعاء عبادة، والعبادة لا تصرف لغير الله تعالى.

قال تعالى: (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا حُيِّرُوا كَانَ لَهُمْ أَعْدَاءٌ وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٥١﴾) **الأحقاف: الآيتان ٥٠، ٥١.**

وقال تعالى: (وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾) **مريم: ٨١، ٨٢.**

وقال تعالى: (وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِن الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾) **يونس: الآية ١٠٦.**

فالذي يجعل الله ندأ في العبادة يتضرع إليه ويرجوه من شمس أو قمر أو نجم أو كوكب، أو ملك أو شجر أو حجر أو ميت، أو غائب، ويتقرب إليه بقربة من القربات كصلاة وذبح واستغاثة في أوقات الشدائد لجلب المصالح ودفع المضار وتحقيق مطلبه، أو نحو ذلك مما لا يطلب إلا من الله تبارك وتعالى فكل هذا عبادة لغير الله **عَزَّ وَجَلَّ** ، واتخاذ للشريك إلها مع الله.

فالذين يستغيثون بالأموات وغيرهم، أو الغائبين من الملائكة والجن وغيرهم أو الأشجار والأحجار ونحوها مرتكبون شركًا أكبر وواقعون فيه. وكذا عموم الذين يتوجهون بالعبادات لغير الله فيذبحون لغير الله، وعلى اسم غير الله، ويطوفون بغير بيته الحرام متعبدين بذلك. وكذا يندرون لغير الله لتفريج كربته ودفع غربته، وكذا الذين يسجدون لغير الله، ويطلبون المدد والعون من الأموات والجمادات.

وكذلك الذين يذهبون إلى السحرة ويعتقدون فيهم القدرة على كشف الضر وتحويله.

*** أما ما يتعلق بالشرك في الأسماء والصفات** فقد قال تعالى: (وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾) **الأعراف: الآية ١٨٠.**

ومن الإلحاد في أسماء الله تعالى: تسمية غير الله باسم من أسماء الله **عَزَّ وَجَلَّ** التي

اختص الله نفسه بها كاسم الرحمن وغيره. كما سمي أهل الشرك أصنامهم بنحو ذلك، فسموا اللات من الإله، والعزى من العزيز. ومن ذلك وصف الله سبحانه وتعالى بصفة ليست هي صفته.

ثم هناك صور من الشرك كالرقى والشعوذات التي لا تستند إلى دليل ولا يُرد الأمر فيها إلى الله تبارك وتعالى، وكذا التولية، وهي ما تصنعه السحرة للنساء، ويزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها، والزوج إلى امرأته.

وكذلك التمانم التي تُعلق على الأولاد لحفظهم من العين، وتحمل بين طياتها شعوذات وكلمات مكتوبة لا معنى لها ولا مدلول صحيح، بل تحمل إن حملت مدلولات باطلة، ومعاني شركية وبدعية.

وقد قال رسول الله ﷺ: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك»^(١).

ومن البدع والضلالات والخرافات: التبرك بالأحجار والأشجار ونحوها، وإن صحب ذلك اعتقاد فيها أنها تنفع وتضر فهذا شرك بالله ﷻ. وقد قال رسول الله ﷺ: «لا يذهب الله الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى»^(٢).

وقد أخرج الترمذي^(٣) بسند صحيح من حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: إن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا خَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ يُعَلِّفُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: (اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ) [الأعراف: الآية ١٣٨] «وَأَلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرَكُبَنَّ سِنَّةً مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ».

ومن الشرك السجود لغير الله، والذبح لغير الله:

وقد قال تعالى: (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٤﴾) [الأنعام: الآيتان ١٦٢، ١٦٣].

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ دَبِحَ لِغَيْرِ اللَّهِ»^(٤).

(١) حسن بمجموع طرقه، وقد أخرجه أحمد (٣٨١/١) وأبو داود (٣٨٨٣) وغيرهما.

أما إذا كان المعلق من القرآن فلا يدخل في الشرك، وإن كان غير وارد عن رسول الله ﷺ وقد ورد عن بعض السلف.

(٢) رواه مسلم (حديث ٢٩٠٧).

(٣) الترمذي (حديث ٢١٨٠).

(٤) مسلم (حديث ١٩٧٨).

**وكذلك التطير فإنه شرك:**

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «الطيرة شرك»^(١).

وفي الحديث: «لا عدوى ولا طيرة»^(٢).

وللتطير صور ذكر منها بعض العلماء: أن أهل الشرك إذا أراد أحدهم سفراً أو عملاً أخذ طائراً فطيره، فإن طار يميناً سافر أو عمل العمل الذي يريد عمله، وإذا طار شمالاً لم يسافر ولم يعمل العمل.

وكذلك من صنوف التطير، ما كان من أهل الشرك يقولونه لرسولهم: (إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ) [يس: الآية ١٨].

وقد قال تعالى: (وَإِنْ تُصِيبِهِمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ) [الأعراف: الآية ١٣١].

أي يتشاءمون بموسى ومن معه، ويقولون: ما حل بنا البلاء إلا بسببك وسبب تواجدك معنا وبالذي جئت به.

وكذلك ضروب التنجيم، والاعتماد على حركة النجوم لبيان معرفة ما سيكون من أمر الناس، وأن هذه ستلد، وأن هذا سيموت. كل هذا باطل فهذا من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله.

وقد قال رسول الله ﷺ: «أربع في أممي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة»^(٣).
والنجوم إنما يستفاد منها ثلاثة أمور ذكرها الله في كتابه، وهي: زينة السماء، ورجوم للشياطين، وعلامات يهتدى بها.

وقال تعالى: (وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ) [المك: الآية ٥].

وقال تعالى: (وَعَلَّمَدَّتْ وَيَالْتَجِمُ هُمْ يَهْتَدُونَ) [النحل: الآية ١٦].

فمن زاد غير ذلك فقد أخطأ وأضاع نصيبه.

واحذروا الذهاب إلى العرافين والدجالين والمشعوذين وفي الحديث: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَقَهُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا»^(٤).

(١) رواه أبو دواد (٣٩١٠) والترمذي (١٦١٤) وسنده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٥٧) ومسلم (٢٢٢٢).

(٣) أخرجه مسلم (٩٣٤).

(٤) أخرجه أحمد (٦٨/٤) (٣٨٠/٥) ونحوه عند مسلم (٢٢٣٠)، وليس عنده «فصدقه» وعنده: «أربعين»

نسأل الله أن يعيدنا والمسلمين من مضلات الفتن. واستغفروا ربكم إنه كان غفاراً.

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

ثم أما بعد، فقد تقدم بارك الله فيكم النهي عن الشرك وبيان خطره وما ورد فيه من الوعيد. وكذا تقدمت صور متعددة للشرك عافانا الله وإياكم منها.

ويبقى شيء من الحديث عن الشرك الأصغر، أعاذنا الله وإياكم منه.

أما عن الشرك الأصغر فمنه الرياء:

وقد قال تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِقًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) ﴿١١٠﴾ [الكهف: الآية ١١٠].

وفي الحديث القدسي: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ» (١).

وورد بسند حسن (٢) عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِن أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشَّرْكَ الْأَصْغَرَ». قَالُوا: وَمَا الشَّرْكَ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الرِّيَاءُ. يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جَزَى النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ: أَذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاعُونَ فِي الدُّنْيَا فَاَنْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً».

ويدخل في الرياء من يطيل الصلاة كي يراه الناس ويحمده عليها.

ومن يرفع الصوت بالذكر ليقال عنه: ذاكر.

ومن يحج ليقال عنه: حاج، ومن يتصدق أمام الملاك كي يثنوا عليه خيراً.

والشرك الأصغر عموماً قال فيه بعض العلماء: إنه كل ما نهى عنه الشرع مما هو ذريعة إلى الشرك الأكبر ووسيلة للوقوع فيه.

وذكر من ذلك الحلف بغير الله، وكذا قول القائل: ما شاء الله وشئت، وقول الآخر:

لولا الله وأنت. وقول الآخر: لولا البطل لسرق البيت. ولولا الكلب لأتانا اللصوص.

وهذا الشرك لا يخرج صاحبه من دائرة المسلمين، ولكنه كبيرة من الكبائر، وقد

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «لئن أحلف بالله كاذباً أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقاً».

ليلة».

(١) صحيح رواه مسلم (٢٩٨٥).

(٢) أحمد في «المسند» (٤٢٨/٥) وإسناده صحيح.



المزاور الأثر الشرك وبيان لبعض صورته



وختامًا بارك الله فيكم نسأل الله أن يعصمنا وإياكم من الشرك صغيره وكبيره، وأن يخلص أعمالنا وأعمالكم لوجهه الكريم.
الدعاء...

* * *

MOSTAFAALADWY.COM



m

خطر الرياء

أما بعد: فيجب على من ينتظر لقاء الله ويرجو ثوابه أن يتقي الرياء، ذلكم الداء المحبب للأعمال، المضيع للثواب.

فكم من عامل يعمل، وكم من قائم يقوم، وكم من متصدق يتصدق وكم من تالٍ يتلو، وعملهم حابطٌ وسعيهم في ضلال، ألا وهم الذين يريدون وجوه الناس ولا يريدون وجه الله.

إنما يريدون الثناء من الناس ولا يلتفتون إلى ثواب الله **عَزَّوَجَلَّ** غاية مراد أحدهم أن يُقال عنه أو محسنٌ متصدق ومنتهى أمل أحدهم أن يُقال عنه مصلحٌ بين الناس أو يُلقَى عليه لقبٌ من الألقاب الحاج ... والدكتور الأستاذ والشيخ المهندس اللواء الوزير ولا يلوي بعد ذلك على أحدٍ ولا ينظر ثواباً ولا يخشى عقاباً.

بل وبعضهم يحب أن يُحمد بما لم يفعل، وينسى أو يتناسى قوله تعالى: (لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾) **إل عمران: ١٨٨**.

وكذا قول النبي □ : «**الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطِ كَلَابِسُ ثَوْبِي زُورٌ**» (١)

* أما الرياء فقال بعض أهل العلم الرياء: إظهار العبادة لقصده رؤية الناس لها فيحمدوا صاحبها وفرق بعض أهل العلم بين الرياء والسمعة فقال: الرياء يكون في الفعل، والسمعة تكون في القول، وقال بعض أهل العلم: الرياء العمل لغير الله، والسمعة أن يخفى العمل ثم يحدث به الناس.

إن كثيراً من طلبة العلم والدارسين ليس لهم كبير مقصد إلى تحصيل الواجهات والرياسات والمال والشهادات، ألا فليوقن هؤلاء أن لكل امرئ ما نوى.

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥٢١٩) ومسلم (حديث ٢١٣٠) وفيه جاءت امرأة إلى النبي □ فقالت إن لي ضرةً فهل علي جناح أن أتشبع من مال زوجي بما لم يعطني؟ فقال رسول الله □ : «**الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطِ كَلَابِسُ ثَوْبِي زُورٌ**».



ولذا فإن هذا الصنف تجده دائماً متعالياً متكبراً مغروراً ذاكراً مآثره ومناقبه وشهادته مفتخراً بها على الخلق.

إن المرائي يظن أن الناس يحمدونه ويشكرون له صنائع المعروف ولكنه لا يدري أن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، وأن الذي يورث المحبة في قلوب عباد لعبادٍ هو الله ﷻ .

إن قوماً خرجوا من ديارهم يوم بدر بطراً ورناء الناس كي يصدون عن سبيل الله فسأهم الله سوء العذاب وأحلهم دار البوار.

إن الذي يقوم مقام رياء وسمعة ويطعن في الأعراض كي يشتهر في الناس ويرقى على حساب غيره، وعلى أعراض الآخرين له الويل في الدنيا قبل الآخرة.

أخرج البخاري (١) من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: «شكنا أهل الكوفة سعداً إلى عمر رضي الله عنه فعزله واستعمل عليهم عمارة فذكر الحديث وفيه أن عمر رضي الله عنه أرسل يسأل أهل الكوفة عن سعد فقام رجل منهم يقال له أسامة بن قنادة يكتني أبا سعد قال أما إذ نشدتنا فإن سعداً كان لا يسير بالسرية ولا يقسم بالسوية ولا يعدل في القضيّة قال سعد: أما والله لأدعون بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذباً قام رياءً وسمعة فأطل عمره، وأطل فقره، وعرضه بالفتن، وكان بعد إذا سئل يقول: شيخ كبير مقنون أصابني دعوة سعد قال عبد الملك (٢): فأنا رأيت بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر وإنه ليتعرض للجوّاري في الطرق يعمزهن».

وقد أحسن من قال:

وما شرف أن يمدح المرء نفسه ولكن أعمالاً تزدّم وتمدح
وما كل حين يصدق المرء ظنه ولا كل أصحاب التجارة يربح
ولا كل من ترجو لغيبك حافظاً ولا كل من ضمّ الوديعة يصلح

لقد توعده الله ﷻ المرائين بالويل.

فقال سبحانه: (فويل للمصليين) (٤) الذين هم عن صلاتهم ساهون (٥) الذين هم بآراءهم

ويمنعون الماعون (٧) (الماعون: ٤-٧).

(١) البخاري (حديث ٧٥٥).

(٢) هو راوي الحديث عن جابر بن سمرة.

قال الإمام الطبري رحمه الله: الذين هم يراءون، يقول: الذين هم يراءون الناس بصلاتهم إذا صلوا لأنهم لا يصلون رغبة في ثواب ولا رهبة من عقاب، وإنما يصلونها ليراهم المؤمنون فيظنونهم.

منهم فيكفون عن سفك دمانهم وسبي ذراريهم، وهم المنافقون الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ يستنبطون الكفر ويظهرون الإسلام.

وقال القرطبي رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ أي يُري الناس أنه يصلي طاعة، وهو يصلي تقية كالفاسق يُرى أنه يصلي عبادة وهو يصلي ليُقَال إنه يصلي.

أما الوارد في ذم الرياء فمنه ما يلي:

قوله تعالى: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾) [هود: ١٥، ١٦].
وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾) [النساء: ١٤٢]. فأفادت الآية الكريمة أن الرياء من صفات المنافقين.

وقال تعالى: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾) [الأنفال: ٤٧].

وقوله تعالى: (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾) [الكهف: ١١٠].
فنهى الله فيها عن الشرك بعمومه، ويدخل فيه الرياء.
قوله تعالى في الحديث القدسي: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»^(١).

(١) أخرج مسلم (حديث ٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تبارك وتعالى: «أنا أغنى الشركاء» الحديث.

قال النووي رحمه الله: هكذا وقع في بعض الأصول «وشركه» وفي بعضها «وشريكه» وفي بعضها «وشركته» ومعناه: أنا أغني عن المشاركة وغيرها فمن يعمل شيئاً لي ولغيري لم أقبله بل أتركه لذلك الغير، والمراد أن عمل المرابي باطل لا ثواب فيه، ويأثم به.

قلت: وفي معنى هذا الحديث ما أخرجه الترمذي (٣١٥٤) وحسنه من طريق زياد بن ميناء عن أبي سعد بن أبي فضالة الأنصاري وكان من الصحابة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا جمع الله الناس يوم القيامة ليوم لا ريب فيه نادى مناد: من كان أشرك في عمل عمله لله فليطلب ثوابه من غير الله فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك».



وأخرج الإمام أحمد رحمه الله من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشَّرْكَ الْأَصْغَرَ قَالُوا: وَمَا الشَّرْكَ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللَّهُ ﻋَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَاَنْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً؟» (١)

وفي «الصحيحين» (٢) من حديث جندب رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «مَنْ سَمِعَ سَمِعَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يَرَأِي اللَّهَ بِهِ» (٣)

وزياد بن مينا قال فيه ابن المديني: مجهول، إلا أنه أعني ابن المديني قال عن إسناد الحديث: إسناد صالح يقبله القلب. هذا وقد وردت آيات كثيرة في الكتاب العزيز تحذر من الشرك وتبين أنه يحبط الأعمال.

قال تعالى: (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [الزمر: ٦٥].

وقال تعالى بعد ذكر جملة من الأنبياء في سورة الأنعام: (ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [الأنعام: ٨٨].

(١) أحمد في «المسند» (٤٢٨/٥) وإسناده صحيح.

(٢) البخاري (حديث ٦٤٩٩) ومسلم (حديث ٢٩٨٧).

(٣) قال النووي: قال العلماء: معناه من رآى بعلمه وسمعه الناس ليكرموه ويعظموه ويعتقدوا خيره سمع الله به يوم القيامة الناس وفضحه، وقيل: معناه من سمع بعيوب الناس وأذاعها أظهر الله عيوبه، وقيل: أسمعهم المكروه وقيل: أراه الله ثواب ذلك من غير أن يعطيه إياه ليكون حسرة عليه، وقيل: من أراد بعلمه الناس أسمعهم الله الناس وكان ذلك حظه منه.

والحديث أخرجه البخاري تحت باب «الرياء والسمعة»، وقال الحافظ ابن حجر في شرحه (مع «الفتح» ٣٣٦/١١): الرياء: بكسر الراء وتخفيف التحتانية والمد، وهو مشتق الرؤية، والمراد به إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدوا صاحبها، والسمعة بضم المهملة وسكون الميم مشقة من سمع، والمراد بها نحو ما في الرياء لكنها تتعلق بحاسة السمع والرياء بحاسة البصر.

وقال الغزالي: المعنى: طلب المنزلة في قلوب الناس بأن يريهم الخصال المحمودة، والمرائي هو العامل. وقال ابن عبد السلام: الرياء أن يعمل لغير الله، والسمعة أن يخفي عمله لله ثم يحدث به الناس. ثم نقل الحافظ ابن حجر عن الخطابي قوله في شرح الحديث: معناه من عمل عملاً على غير إخلاص، وإنما يريد أن يراه الناس ويسمعه جوزي على ذلك بأن يشهره الله ويفضحه ويظهر ما كان يبطنه، وقيل: من قصد بعمله الجاه والمنزلة عند الناس ولم يرد به وجه الله فإن الله يجعله حديثاً عند الناس الذين أراد نيل المنزلة عندهم، ولا ثواب له في الآخرة، ومعنى يرائي يطلعهم على أنه فعل ذلك لهم لا لوجهه، ومنه قوله تعالى:

(مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ

الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ) [هود: ١٥] إلى قوله تعالى: (مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [١٦].

* وقيل: المراد: من قصد بعمله أن يسمعه الناس ويروه ليعظموه وتعلو منزلته عندهم حصل له ما قصد

ومن ذلك ما أخرجه مسلم ^(١) في «صحيحه» من طريق سليمان بن يسار قال: تَفَرَّقَ النَّاسُ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَالَ لَهُ نَاتِلُ أَهْلِ النَّسَاءِ: أَيُّهَا الشَّيْخُ حَدِّثْنَا حَدِيثًا حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: نَعَمْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُفْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ فَأَتَى بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَيَّ وَجْهِي حَتَّى أَلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأَتَى بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَيَّ وَجْهِي حَتَّى أَلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأَتَى بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِنَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَيَّ وَجْهِي ثُمَّ أَلْقِيَ فِي النَّارِ» ^(٢).

وكان ذلك جزاؤه على عمله ولا يثبت عليه في الآخرة، وقيل: المعنى: من سمع يعيوب الناس وأذاعها أظهر الله عيوبه وسمعه المكروه، وقيل: المعنى: من نسب إلى نفسه عملاً صالحاً لم يفعله وادعى خيراً لم يصنعهُ فـ _____ إن الله سبحانه = يفضحه ويظهر كذبه، وقيل: المعنى: من يراني الناس بعمله أراه الله ثواب ذلك العمل وحرمه إياه، وقيل: معنى «سمع الله به»: شهره أو ملأ أسماع الناس بسوء الثناء عليه في الدنيا أو في القيامة بما ينطوي عليه من خبث السريرة. (قلت) «الحافظ»: ورد في عدة أحاديث التصريح بوقوع ذلك في الآخرة، فهو المعتد.

* وقال عطية سالم في «تتمة لأضواء البيان»: والتسميع هو العمل ليسمع الناس به كما في حديث «الوليمة في اليوم الأول، والثاني والثالث سمعة، ومن سمع سمع به» فالرياء مرجعه إلى الرؤية، والتسمية مرجعه إلى السماع.

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٩٠٥).

(٢) وقوله ﷺ في الغازي والعالم والجواب وعقابهم على فعلهم ذلك لغير الله، وإدخالهم النار دليل على تغليب تحريم الرياء وشدة عقوبته وعلى الحث على وجوب الإخلاص في الأعمال كما قال الله تعالى: (وَمَا أُرِيدُ إِلَّا لِيُعْبَدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُفَاءً) [البينة: ١٥] وفيه أن العمومات الواردة في فضل الجهاد إنما هي لمن أراد الله تعالى بذلك مخلصاً، وكذلك الثناء على العلماء وعلى المنفقين في جوه الخيرات كله محمول على من فعل ذلك لله تعالى مخلصاً.

قلت: وقد أخرج البخاري (٢٨٩٨) تحت باب لا يقول فلان شهيد، في كتاب الجهاد ومسلم (١١٢) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون فاقتتلوا فلما مال رسول الله ﷺ إلى عسكره، ومال الآخرون إلى عسكرهم وفي أصحاب رسول الله ﷺ رجل لا يدع لهم شاذة ولا فاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه، فقالوا: ما أجزأ اليوم منا أحد كما أجزأ فلان، فقال رسول الله ﷺ: «أما إنه من أهل



وهذا سياق آخر لهذا الحديث:

أخرج الترمذي ^(١) بإسناد صحيح لغيره ^(٢) من طريق عقبة بن مسلم أن شفيًا الأصبحي حدثه أنه دخل المدينة فإذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس فقال: من هذا؟ فقالوا أبو هريرة، فدنوت منه حتى فعدت بين يديه وهو يحدث الناس، فلما سكوت وخلا قلت له: أنشدك بحق وبحق لما حدثتني حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ وعلمته وعلمته، فقال أبو هريرة: أفعل لأحدثتك حديثًا حدثني رسول الله ﷺ وعلمته، ثم نشغ ^(٣) أبو هريرة نشغًا فمكث قليلًا ثم أفاق، فقال: لأحدثتك حديثًا حدثني رسول الله ﷺ في هذا البيت ما معنا أحد غيري وغيره ثم نشغ أبو هريرة نشغًا أخرى ثم أفاق فمسح وجهه فقال لأحدثتك حديثًا حدثني رسول الله ﷺ وأنا وهو في هذا البيت ما معنا أحد غيري وغيره، ثم نشغ أبو هريرة نشغًا أخرى ثم أفاق ومسح وجهه فقال: أفعل، لأحدثتك حديثًا حدثني رسول الله ﷺ وأنا معه في هذا البيت ما معه أحد غيري وغيره، ثم نشغ أبو هريرة نشغًا شديدة، ثم مال خارًا على وجهه فأسندته علي طويلاً، ثم أفاق فقال: حدثني رسول الله ﷺ أن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقتضي بينهم وكل أمة جاتيته، فأول من يدعو به رجل جمع القرآن، ورجل يقتل في سبيل الله، ورجل كثير المال، فيقول الله للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلت علي رسولي؟ قال: بلى يا رب. قال فماذا عملت فيما علمت؟ قال: كنت أفوم به أثناء الليل وأثناء النهار. فيقول الله له: كذبت وتقول له الملائكة: كذبت. ويقول الله: بل أردت أن يقال إن فلانًا قارئ فقد قيل

النار» فقال رجل من القوم: أنا صاحبه قال: فخرج معه وكلما وقف معه، وإذا أسرع أسرع معه قال: فخرج الرجل جرحًا شديدًا فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه وذبابه بين ثديه ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه فخرج الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أشهد أنك رسول الله قال: «وما ذلك؟» قال: الرجل الذي ذكرت أنك من أهل النار فأعظم الناس ذلك فقلت أنا لكم به فخرجت في طلبه ثم جرح جرحًا شديدًا فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه وذبابه بين ثديه ثم تحامل عليه فقتل نفسه، فقال رسول الله ﷺ: عند ذلك: «إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة».

(١) الترمذي (٢٣٨٢)، وانظر «سنن النسائي» (٢٣/٦).

(٢) فيشهد له حديث أبي هريرة المتقدم.

(٣) نشغ نشغًا: أي شهق حتى كاد يغمى عليه.

ذَٰكَ. وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ الْمَالِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَمْ أَوْسَعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدْعَكَ تَحْتَا جُ إِلَى أَحَدٍ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: بَلْ أَرَدْتُ أَنْ يُقَالَ فُلَانٌ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ذَٰكَ. وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: فِي مَاذَا قُتِلْتَ فَيَقُولُ أَمَرْتُ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ فَفَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ. فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ وَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: بَلْ أَرَدْتُ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ ذَٰكَ، ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى رُكْبَتِي فَقَالَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ الْوَلِيدُ أَبُو الْوَلِيدِ أَبُو عُمَانَ: فَأَخْبَرَنِي عُبَيْدُ بْنُ مُسْلِمٍ أَنَّ شَقِيًّا هُوَ الَّذِي دَخَلَ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَأَخْبَرَهُ بِهَذَا: قَالَ أَبُو عُمَانَ: وَحَدَّثَنِي الْعَلَاءُ بْنُ أَبِي حَكِيمٍ أَنَّهُ كَانَ سَيِّفًا لِمُعَاوِيَةَ فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ فَأَخْبَرَهُ بِهَذَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: قَدْ فَعَلَ بِهَذَا هَذَا فَكَيْفَ يَمُنُّ بَقِي مِنَ النَّاسِ؟ ثُمَّ بَكَى مُعَاوِيَةُ بُكَاءً شَدِيدًا حَتَّى ظَنَّ أَنَّ هَالِكًا، وَقَلْنَا قَدْ جَاءَنَا هَذَا الرَّجُلُ بِشَرٍّ، ثُمَّ أَفَاقَ مُعَاوِيَةَ وَمَسَحَ عَن وَجْهِهِ وَقَالَ: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّكَارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾) [هود: ١٥، ١٦].

قَالَ أَبُو عَيْسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

ثم أيها الإخوة بارك الله فيكم، هذه طائفة من الأحكام والتنبيهات المتعلقة بموضوع الرياء نوردها لمزيد من الإيضاح ولدفع الاشتباه الذي قد يقع ويحدث لكثير من الناس.

فمن ذلك ما يلي:

دخول الوسواس على العاملين المصلين والصائمين والدعاة إلى الخير والمصلحين بين الناس.

فأحياناً يهّم الشخص بعمل البر والسعي في الخير وتبليغ الناس أمر الله ورسوله ﷺ فَيَأْتِيهِ الشَّيْطَانُ وَيُنْبِئُهُ عَن ذَلِكَ وَيُنْبِطُهُ وَيُدْخِلُ عَلَيْهِ مِنْ بَابِ أَلَا وَهُوَ أَنْ مَا تَصْنَعُهُ يُعَدُّ رِيَاءً فَيَتَقَاعَسُ عَنِ الْخَيْرِ وَيُرْكِنُ إِلَى السُّكُونِ وَالِدَّاعَةِ وَالْكَسَلِ فليحذر ذلك المسلم وليقبل على فعل الخير. وصنائع المعروف.

*** وهذه مسألة أخرى:** إذا بدأ الشخص عملاً لله سبحانه وتعالى فراه الناس على

هذا العمل ففرج برويتهم له على هذه الحال فهل يدخل هذا في باب الرياء؟

*** وجواب ذلك:** أن هذا لا يدخل في الرياء، فهل هو من عاجل بشرى المؤمن، ذلك



لما أخرجه مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه؟ قال: **«تلك عاجل بشرى المؤمن»** ^(١).
وهذه صور من العمل الصالح جائز إظهارها، وليس فقط مجرد إظهارها وإعلانها بل تعمد الإظهار والإعلان لمصلحة شرعية تُرجى، فمن ذلك صدقة العلق لحث الناس على التصدق وترغيبهم في ذلك ^(٢).

ومن ذلك التبخر في الحرب وأمام الأعداء لفضف الرعب في قلوب أعداء الله ﷻ.

ومن ذلك الحرص على صلاة الجماعة وتكثير سواد المسلمين في الخير.
وقد قال عدد كبير من أهل العلم بوجوب الصلاة في جماعة. ومن ذلك انتقاء مقالات الناس والتهم التي قد يقذفون بها، وقد قال النبي ﷺ: **«إنها صفة»** ^(٣) لما رآه رجلاً من الأنصار مع زوجته أم المؤمنين صفية بنت حيي رضي الله عنها فأسرعا المسير.
ومن ذلك امتناع النبي ﷺ من قتل عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين، وكذا سائر المنافقين، وتعليل النبي ﷺ ذلك قوله: **«لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه»** ^(٤).
ومن ذلك أمر النبي ﷺ أصحابه بالرمل ^(٥) في الحج، لما قال المشركون إن

(١) مسلم (حديث ٢٦٤٢).

(٢) وقد ورد في ذلك حديث أخرجه مسلم (١٠١٧) من حديث جرير رضي الله عنه قال: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ قَالَ فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاءُ غُرَاهُ مُجْتَابِي النَّمَارِ (أي: لابسِي ثياب مخططة تشبه جلود النمر) أَوْ الْعَبَاءِ (جمع عباء) مُنْقَلِدِي السُّيُوفِ عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ بَلْ كُتُّهُمُ مِنْ مُضَرَ فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ، فَدَخَلَ، ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِلَالًا فَأَذَّنَ وَأَقَامَ، فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ) [النساء: ١] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَبًّا) وَالآيَةُ الَّتِي فِي الْحَشْرِ (اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ) [الحشر: ١٨] تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِيَّانَرِهِ مِنْ دَرَاهِمِهِ مِنْ ثَوْبِهِ مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ ثَمَرِهِ (حَتَّى قَالَ): وَلَوْ بِشِقِّ ثَمْرَةٍ قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كُفَّهُ تُعْجِزُ عَنْهَا، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ، قَالَ ثُمَّ تَتَابَعُ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَبْهَلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ (أي كأنه فضة مذهبة) فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وَزْرُهَا وَوَزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ.

(٣) أخرج ذلك البخاري (مع الفتح ٢٧٨/٤) ومسلم (١٥٦/١٤).

(٤) البخاري (٣٥/٨).

(٥) وهو المشي السريع أثناء الطواف في الأشواط الثلاثة الأولى.

محمدًا وأصحابه قد وهنتهم حمى يثرب.

وظلم الظالمين وإنكار المنكرين كما فعل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه مع الذين حاصروه، فقد ذكّرهم ببعض مآثره كحفر بئر رومة، وتجهيز جيش العسرة. ومن ذلك تزكية النفس لغرض شرعي محمود كما قال يوسف الصديق عليه السلام (اجعلني على خزائن الأرض) [يوسف: ٥٥].

فهذه وغيرها صور من الأعمال والأقوال يجوز إظهارها لغرض شرعي ولمصلحة دينية ولدفع خبتها أو دفع شر عن المسلمين، ومحل التجويز عند سلامة القلوب وأمن الفتنة، وبالله التوفيق.

قال القرطبي رحمه الله: ولا يكون الرجل مرائيًا بإظهار العمل الصالح إن كان فريضة فمن حق الفرائض الإعلان بها وتشهيرها. كذا قال رحمه الله.

هذا، وإذا أظهر العمل الصالح بقصد التآسي بالعامل فلا بأس بذلك، قد قال تعالى: (إِنْ تَبُدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) (البقرة: ٢٧١).

ثم أيها الإخوة فهذه بعض الفوارق التي ذكرها العلماء بين الشرك الأصغر والأكبر أن الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال، والأصغر يحبط العمل الذي صاحبه الرياء فحسب، وكذا أن الشرك الأكبر إذا مات صاحبه ولم يتب منه فإنه يُخَد في النار أما الأصغر فكغيره من الذنوب.

وكذا فالشرك الأكبر مخرجٌ عن ملة الإسلام أما الأصغر فلا وأيضًا فالرياء قد يُغفر أما الشرك الأكبر فلا.

هذا وكتقوية للنفس للبعد عن الرياء وهجران مسالكه يلزمنا أن نعوذ بالله منه، وفي الحديث، وإن كان في إسناده ضعف يسير: «اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئًا نعلمه ونستغفرك لما لا نعلم».

وأيضًا فليعمد أحدنا إلى الصلاة بالليل والناس نيام كما كان رسول الله ﷺ يفعل. وليعمد أيضًا إلى إخفاء الصدقة وكذا فليذكر الله خاليًا حتى يفضي منه الدمع. الدعاء...



خطر الرياء

الجزء الأول



* * *

MOSTAFAALADWY.COM



m

قل إن الأمر كله لله

أما بعد: إن الأمور كلها يدبرها **عَلَّمَ كَلِمَاتٍ** فمبتدؤها منه ومردّها ومنتهاها إليه. يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: (قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ) [آل عمران: ١٥٤]. وصدق الله فيما قال ونحن على ذلك من الشاهدين صدق الله إذ قال: (وَلِيَّتِهِ رُجِعَ الْأَمْرُ كُلُّهُ) [هود: ١٢٣]. صدق الله إذ قال: (بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا) [الرعد: ٣١]. صدق الله إذ قال: (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ) [الأعراف: ٥٤]. فالأمر كله لله.

يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، يعز ويذل، يهين ويكرم، قال الله تعالى: (وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ) [الحج: ١٨] يعطي ويمنع، يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر.

* المعافى في بدنه عافيته من الله.

* والمبتلى ابتلاؤه من الله.

* والنصر من عند الله.

* وكذا الأسعار وغلاؤها وانخفاضها، والأمراض والأوبئة وتفشيها وانعدامها، والصدور وانسراحها وضيقها، والحروب واشتعالها وانطفأؤها، والقلوب وزيقها وثباتها.

كل ذلك مرده إلى الله ومرجعه إليه سبحانه ويجري بإذنه ومشينته **عَزَّ وَجَلَّ** قال تعالى: (وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِذَا يُرِيدُكَ بِيُخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) [يونس: ١٠٧].

وقال تعالى: (وَمَا تَنْصُرُوا إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) [آل عمران: ١٢٦].

وقال تعالى: (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرْمًا كَأَنَّمَا يُصْعَقُ فِي السَّمَاءِ) [الأنعام: ١٢٥].

وكذا فالإيمان والهداية من الله، قال تعالى: (وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى) [السجدة:

١٣].

وقال تعالى: (وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) [يونس: ١٠٠].



وكذا الإضلال والغواية، قال تعالى: ﴿فِيضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [إبراهيم:

٤٤].

وقال نوح عليه السلام: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود:

٣٤].

وها هو نبي الله نوح عليه السلام لم يستطع هداية ولده ولا يزال يقول: (يَبُجِّي

أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾) [هود: ٤٢].

ولكن هيهات هيهات أن يجدي نداءً مع من طبع الله على قلبه فيموت الولد على

الكفر عياداً بالله.

وكذا لم يستطع نوح عليه السلام هداية زوجته، بل قيل لها ولا امرأة لوط عليه

السلام: (أَدْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾) [التحريم: ١٠].

وكذا الخليل إبراهيم عليه السلام لا يزال ينادي يا أبت، يا أبت، يا أبت ولكن لم يجد

النداء، ولم ينفع التذكير، وإذا بأبيه يقول له: (لَيْنَ لَمْ تَنْتَهَ لِأَرْحَمَتِكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾) [مريم:

٤٦].

ورسولنا □ يبذل قصارى جهده مع عمه أبي طالب ويقول له: «يا عم قل: لا إله إلا

الله. كلمة أحاج لك بها عند الله سبحانه وتعالى»، ويكررهما عليه رسول الله □ (١)

ويأبى عمه إلا الكفر عياداً بالله.

ورسول الله □ عاقل حكيم رشيد سديد في قوله وفعله؛ لكن مع ذلك أمر الهداية

ليس له، إنما هو إلى الله سبحانه وتعالى.

والله هو الذي يهدي لأحسن الأخلاق:

قال النبي □ (٢): «واهدني لأحسن الأخلاق لئلا يهدي لأحسبها إنا أتيت، وأصرف عني

(١) أخرج البخاري (٤٧٧٢)، ومسلم (حديث ٢٤)، من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا

طالب الوفاة جاءه رسول الله □ فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة فقال: «أي عم، قل: لا

إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله»، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب؟

فلم يزل رسول الله □ يعرضها عليه، ويعيدانه بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: على ملة عبد

المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله. قال: قال رسول الله □: «لأستغفرنَّ لك ما لم أُنه عنك»، فأنزل الله:

(مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ إِذْ يُبَيِّنُ لِقَوْمِهِ آيَاتِ اللَّهِ أَنْ يَقُولَ رَبُّي أَعْتَبَكُمْ) [التوبة: ١١٣]. وأنزل الله في أبي طالب، قائلًا لرسوله

□: (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ) [الفصص: ٥٦].

(٢) أخرجه مسلم (حديث رقم ٧٧١) من حديث علي رضي الله عنه مرفوعاً.

سَيِّئَهَا لَأَيَصْرَفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ».

وهو سبحانه الذي يصرف السوء:

* قال إبراهيم عليه السلام (وَأَجْتَبَيْتَنِي وَبَعَيْتَنِي أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٢﴾) [إبراهيم: ٣٥].

* وقال يوسف □: (وَلَا تَصْرَفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْعَاهِلِينَ) [يوسف: ٣٣].

وقال تعالى: (كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ الشُّوْءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾) [يوسف:

٢٤].

وقال تعالى: (فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [يوسف: ٣٤].

وهو الذي يكف يد قوم عن قوم آخرين ويُسَلِّطُ أَقْوَامًا عَلَى أَقْوَامٍ:

قال الله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا

تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾) [الفتح: ٢٤]. وقال سبحانه: (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَنْتُمُوهُمْ) [النساء: ٩٠].

وقد حثَّ الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين على تذكر نعمة أنعم بها عليهم

ونسيها الكثيرون فقال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ

يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾) [المائدة:

١١]. وقال تعالى: (كَلِمًا أَوْفَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ) [المائدة: ٦٤].

والإنجاب والعقم من الله سبحانه وتعالى:

قال الله تعالى: (لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِشَاءً وَإِنِ شَاءَ لَمَنْ يَشَاءُ

الذَّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُرْجِيهِمْ ذَكَرًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾) [الشورى: ٤٩، ٥٠].

فليس الإنجاب باجتهد شخص، ولا مهارته، ولا ذكائه، ولا قوته ولا فحولته؛ فكم

من قوي لم يرزقه الله ذرية! وكم من ذكي حرمها كذلك.

فأزواج نبينا محمد □، و عليه السلام لم يرزقهن الله الولد من رسول الله □، إلا خديجة

ومارية.

وها هو سليمان عليه السلام كان له ستون امرأة (وفي رواية سبعون، وفي رواية

تسعون امرأة)، فيقول: «... لأطوفن الليلة على نساءي، فلتحملن كل امرأة وتلدن فارساً

يفاتل في سبيل الله. فطاف على نساته، فما ولدت منهن إلا امرأة ولدت شقَّ غلام»، (وفي

رواية: نصف إنسان) ^(١).

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٤٦٩)، ومسلم (حديث ١٦٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال □: «كان

لسليمان ستون امرأة، فقال: لأطوفن عليهن الليلة، فتحمل كل واحدة منهن فتلد كل واحدة منهن غلاماً



وربُّ العزة سبحانه يرزق زكريا عليه السلام الولد رغم كبره، وبعد أن وهن العظم منه واشتعل رأسه شيبًا، وكانت امرأته عاقرا (١)!!!
 وإبراهيم الخليل عليه السلام يرزقه الله الولد في شيخوخته، وكانت امرأته عاقرا (٢) كذلك، ومريم يرزقها الله الولد بدون نكاح ولا سفاح.
 والله هو الذي يُعزُّ ويذلُّ، ويهب الملك لمن يشاء، وينزعه ممن يشاء، والترقية التي ينزقها الموظف في عمله مقدره، وهي من عند الله.

قال الله تعالى: (قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ أَمْلَاكٍ تُثَوِّبُ أَمْلَاكَ مِنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ أَمْلَاكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَدُوكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (آل عمران: ٢٦).

وقال تعالى: (وَمَنْ يُؤْمِنِ بِاللَّهِ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ) (الحج: ١٨).
 وقال □ : «إِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ وَلَا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ»

وقال تعالى: (تَرَفُّعَ دَرَجَاتٍ مِّنْ شَاءُ) (يوسف: ٧٦).

والله تعالى هو الذي يعطي ويمنع:

قال رسول الله □ : «اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ» (٤).
 والذكاء والفهم وتعلم الصنائع والمهن من الله:

فارسًا يقاتل في سبيل الله فلم تحمل منهن إلا واحدة، فولدت نصف إنسان...»

(١) قال تعالى: (وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ، رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ) (٨٨) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَىٰ وَأَمْرًا حَنَّا لَهُ، رُوحًا) (الأنبياء: ٨٩، ٩٠).

وقال تعالى: (كَهَيْعَصَ ①) وَكُرِّمَتْ رَبُّكَ عَبْدَهُ، زَكَرِيَّا ②) إِذْ نَادَى رَبَّهُ، يَدَاهُ خَفِيئَا ③) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ④) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ⑤) بَرِّئِي وَبَرِّئِ مِنْ عَالِ بَعْقَابٍ ⑥) وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ⑦) يٰزَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ⑧) قَالَ رَبِّ إِنِّي نَكُوتُ لِي غَلْمٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ⑨) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ⑩) (مريم: ٩١).

(٢) قال تعالى: (وَلَقَدْ جَاءَتْ مُرْسَلًا إِزْهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ) ... إلى قوله تعالى: (وَأَمْرًا لَهُ، قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ⑦) قَالَتْ يَتُوبَلَىٰ أَيْلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ⑧) قَالُوا أَنْعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ⑨) (هود: ٦٩-٧٣).

(٣) أخرجه أحمد (١٩٩/١)، والبيهقي (٢/٢٠٩، ٤٩٧، ٤٩٨)، والحاكم (١٧٢/٣)، وأبو داود (١٤٢٥) وابن ماجه (١١٧٨)، والطبراني (٧٥/٣)، وغيرهم من حديث الحسن بن علي رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم (مع النووي ٤/١٩٤)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا، وكذلك البخاري (٣٢٥/٢) مع الفتح، ومسلم (مع النووي ٥/٩٠)، من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه مرفوعًا.

قال الله سبحانه: (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا) [البقرة: ٢٦٩].
 وقال تعالى: (وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا) (١٥) [الكهف: ٦٥].
 وقال تعالى: (وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ) [النساء: ١١٣].
 * وقال الخضر لموسى: «يا موسى إني علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله علمه الله لا أعلمه» (١).
 وقال النبي ﷺ في دعائه لابن عباس: «اللهم عَلِّمْنَا الْكِتَابَ» (٢)، وفي رواية: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» (٣).
 وفي رواية: «اللهم عَلِّمْنَا الْحِكْمَةَ» (٤).
 وقال تعالى في شأن داود عليه السلام: (وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ [الأنبياء: ٨٠].
والآجال والأعمار مقدره مكتوبة عنده:

قال تعالى: (وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ إِلَّا وَهِيَ كِتَابٌ مَعْلُومٌ) (٤) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَجِرُّونَ [الحجر: ٤، ٥].

وقال تعالى: (لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ) [الرعد: ٣٨].
 وقال سبحانه: (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ) [الأعراف: ٣٤].
 وقال ﷺ: (إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ) [الأنعام: ٦١].
 والملك يكتب عُمر العبد وهو في بطن أمه (٥).
 وقال تعالى: (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُوَجَّهًا) [ال عمران: ١٤٥].

وارتفاع الأسعار وانخفاضها مقدر:

فأخرج أبو داود بإسناد حسن (٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً جاء فقال: يا رسول الله، سَعَرَ، فقال: «بَلِ ادْعُوا»، ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، سَعَرَ، فَقَالَ: «بَلِ اللَّهُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَلَيْسَ لِأَحَدٍ عِنْدِي مَظْلَمَةٌ».

(١) أخرجه البخاري (٣٤٠١)، ومسلم (حديث ٢٣٨٠)، من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٧٥، ٧٢٧٠).

(٣) أخرجه أحمد (٣٢٨/١)، بإسناد حسن من حديث ابن عباس رضي الله عنه مرفوعاً.

(٤) أخرجه البخاري (٣٧٥٦).

(٥) كما تقدم في حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٦) أخرجه أبو داود (حديث ٣٤٥٠).



وأخرج بإسناد صحيح ^(١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال الناس: يا رسول الله! غلا السعر فسعر لنا. فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّازِقُ، وَإِنِّي لأرجو أن ألقى الله وليس أحد منكم يطالبني بمظلمة في دمٍ ولنا مال». **والشافى هو الله:**

قال الخليل إبراهيم عليه السلام: (وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ) ^(٨) **[الشعراء: ٨٠]**.
وقال النبي ﷺ: «اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ» ^(٢).
وقال النبي ﷺ: «لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ، بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» ^(٣).
وهو سبحانه الذي شفى أيوب عليه السلام بعد مرض طال زمانه وعجز عن شفائه الأطباء.

والمصاب مكتوبة عند الله:

قال تعالى: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) ^(٢٢) **[الحديد: ٢٢]**.
وقال تعالى: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) **[التغابن: ١١]**.

والله عز وجل هو الذي يولف بين القلوب:

قال الله عز وجل: (وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) ^(٦٣) **[الأنفال: ٦٣]**.
وقال تعالى: (فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا) **[آل عمران: ١٠٣]**.

والمحبة في القلوب مكتوبة وهي من عند الله:

قال رسول الله ﷺ في شأن خديجة أم المؤمنين: «إِنِّي رَزَقْتُ حُبَّهَا» ^(٤).
وقال ﷺ: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فَلَنَا فَأَجِبْهُ، فَيُجِبُّهُ» ^(٥).

(١) أخرجه أبو داود (حديث ٣٤٥١).

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح ١١٣/١٠)، ومسلم (مع النووي ١٨٠/١٤) وأحمد (٦/٤٥ و ١٠٩ و...) من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ إذا أتى مريضاً أو أتى به إليه قال ﷺ: «أذهب البأس رب الناس اشف وأنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً».

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٠٤) من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعاً.

(٤) أخرجه مسلم (ص ١٨٨٨) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً.

(٥) أخرجه البخاري (حديث ٦٠٤٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

جَبْرِيْلُ، فَيُنَادِي جَبْرِيْلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَجِبُوهُ فَيُجِيبُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوَضِّعُ لَهُ الْقُبُورَ فِي الْأَرْضِ».

فدائماً الذي يدبر الأمور جميعها هو الله:

قال الله تعالى: (يُدَبِّرُ الْأُمُورَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ) [السجدة: ٥].

فالأمر كله إليه (وَالِيهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ) [هود: ١٢٣] والرزق كله عليه (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا) [هود: ٦]. وخزائن كل شيء بيديه (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِإِقْدَارٍ مَعْلُومٍ) [الحجر: ٢١].

والمنتهى في كل شيء إليه (وَأَنَّ إِلَيْنَا الْمُنْتَهَى) [النجم: ٤٢].

فنسأل الله أن يهدينا للخير في كل شيء، وأن يختار لنا الأفضل من كل شيء، وأن يجعل لنا في الآخرة زلفى وحسن مآب.

الخطبة الثانية

الحمد لله الخالق البارئ الرازق ذي القوة المتين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين.

وبعد ...

أما وقد علمنا أن الأمر كله لله، وأن المنتهى إليه، وخزائن كل شيء بيديه، ومرد الأمور جميعها إليه فلا يسعنا أن ننفك من رفع أكف الضراعة إليه نسأله جميع الحاجات ونتعوذ به من البليات والملمات، نرجوه ونرغب إليه، نستغفره ونتوب إليه، نحذره ونهابه، نرجو ثوابه ونخشى عقابه.

الدعاء...

* * *

m

كل شيء بقدر

أما بعد: اعلّموا ببارك الله فيكم، وعلّمكم الله من علمه أن ما يجري حولنا من الأمور والأحداث كل ذلك مقدرٌ مكتوب.

وكذا الأجل مُقدّرٌ مكتوبة، وكذا ما يحلّ بالعباد من بلاءٍ وعافيةٍ، وصحةٍ وسقمٍ، وسعة رزقٍ وخسارة مالٍ، وهدايةٍ وغوايةٍ، وكفرٍ وإيمانٍ وانسراحٍ في الصدور وضيقٍ فيها، وضحكٍ وبكاءٍ، وحياةٍ وموتٍ، وسلمٍ وحربٍ وقتلٍ وتشريدٍ، وسقوط الأجنة من الأرحام واستقرارها فيها، وغلاء الأسعار وانخفاضها.

وغير ذلك من الأمور، كل ذلك مقدرٌ مكتوب ...

والإيمان بذلك كله واجب على كل مسلم ومسلمة، فلا يتم للشخص إيمان إلّا إذا آمن بالقدر خيره وشره، واعتقد أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه، وأيقن أن كل شيء مقدرٌ مكتوب.

والأدلة على ذلك كثيرة جداً من كتاب الله، ومن سنة رسوله ﷺ: قال الله سبحانه وتعالى: (إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ) (القمر: ٤٩).

وقال رسول الله ﷺ: «لما سأله جبريل عن الإيمان: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» (١).

وورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ وَلَوْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَدَخَلْتَ النَّارَ» (٢).

وقد قال الله تبارك وتعالى: (إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ) (القمر: ٤٩).

وقال رسول الله ﷺ: «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس» والعجز، هو عدم القدرة، والتسويف والتأخير، والكيس هو النشاط والفهم ومعرفة الأمور، كل ذلك مقدرٌ،

(١) أخرجه مسلم (حديث رقم ٨)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) أخرجه أبو داود (حديث ٤٦٩٩) بإسناد حسن عن أبي بن كعب رضي الله عنه مرفوعاً.

فالعاجز قد قدر عليه عجزه، والكيس قد قدر عليه كيسه.

وقد بين رسول الله ﷺ أن المقادير مكتوبة، إذ قال: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»^(١). وقال رسول الله ﷺ في كلماته النافعة المباركة التي علمها عبد الله بن عباس رضي الله عنه: «وَأَعْلَمَ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»^(٢).

وقال النبي ﷺ: «... فَوَاللَّهِ إِنْ أَحَدَكُمْ أَوْ الرَّجُلُ يَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ بَاعٍ أَوْ ذِرَاعٍ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا. وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ ذِرَاعٍ أَوْ ذِرَاعَيْنِ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا»^(٣).

وفي الحديث الذي أخرجه مسلم^(٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير. احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان».

وقد وردت عدة آيات تدل على هذا المعنى:

منها قوله تعالى: (قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَيْنَا مَضَاجِعِهِمْ) [آل عمران: ١٥٤] فالمقتول في مكان ما إنما كتب عليه أنه سيقتل في هذا المكان، ولزاماً أن يخرج إليه حتى يقتل فيه.

قال تعالى في شأن أهل الإيمان لما قبلوا الفدية من أسارى بدر: (لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [الأنفال: ٦٨].

أي لولا أن الله كتب في كتاب سبق أنه لا يعذبكم يا أصحاب محمد في الدنيا لمسكم

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٦٥٣) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) أخرجه الترمذي (حديث ٢٥١٦) بإسناد يصح لشواهده.

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٩٤) ومسلم (٣ ٢٦٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ، وهو الصادق المصدوق قال: «إن أحدكم يجمع في بطن أمه (وفي رواية: يجمع خلقه) أربعين يوماً، ثم يكون علة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع: برزقه وأجله وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فوالله إن أحدكم...» الحديث.

(٤) مسلم (حديث ٢٦٦٤).



عذاب عظيم بسبب قبولكم الفدية. فدل ذلك على أن الأمور مكتوبة.
ودل على ذلك أيضاً قول النبي ﷺ : «كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر...» الحديث.

فقوله ﷻ : «مدرك ذلك لا محالة» يفيد أن الشخص لا بد، وأن يفعل ما كتب عليه.
وقال الله تبارك وتعالى في شأن اليهود: (وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا) [الحشر: ٣] فأفادت الآية أن الإجماع كان مكتوباً على اليهود (يهود بني النضير).
وقال تعالى في شأن أهل الإيمان: (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ) [الأنبياء: ١٠١] أي أن الذين سبق في علم الله أنهم من أهل الجنة أولئك عن النار مبعدون. فأفادت الآية أيضاً أن الحسنى سبقت لأقوام. فهذه كلها نصوص دالة على أن الأمور مقدره ومكتوبة!!!

وصدق الله إذ قال: (وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا) [الأحزاب: ٣٨] وتلك كلمة قالها أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه لما طعن، وقد كان رأى رؤيا من قبل أن ديكا نقره ثلاث نقرات، فلما طعنه أبو لؤلؤة المجوسي ثلاث طعنات ذكر رؤياه التي كان يحترز من ذكرها فقال: وكان أمر الله قدراً مقدوراً. أي قضاء نافذاً لا بد وأن ينفذ.

وليس العلم بأن الأمور مقدره بمانع لنا من العمل، بل لزاماً أن نعمل؛ إذ الله تبارك وتعالى قال: (وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) [التوبة: ١٠٥].

وفي عدة آيات في كتاب الله عز وجل: (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) [البقرة: ٢٧٧] فعطف عمل الصالحات على الإيمان بالله عز وجل.

ومع أن النصر من عند الله كما قدمنا لكن يقول الله عز وجل: (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ) [الحج: ٧٨].

ويقول سبحانه: (وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَعْطَمْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ) [الأنفال: ٦٠].

ويقول سبحانه: (يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُدُوءًا حَذْرًا فَانْفِرُوا نِفْرَتًا أَوْ انْفِرُوا جَمِيعًا) [النساء: ٧١] وشرع الله صلاة الخوف على صورتها من التخفيف بالمسلمين لما فيه من أخذ الحذر من الكفار.

وهذا هو نبينا محمد ﷺ يعلم تمام العلم، ويوقن غاية اليقين أن النصر من عند الله عز وجل، ومع ذلك كان يرتب الجيوش، ويؤمّر الأمراء ويحفر الخندق، ويرسل رسله

لتحري أحوال عدوه واستقصائها، ويدعو الله **عَزَّ وَجَلَّ** بالنصر.

ومع أن الشفاء من الله كما قدمنا إلا أن النبي **ﷺ** قال: «لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرئَ يَإِذْنَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ» ^(١). وحث عليه السلام على التداوي في جملة مواطن.

ومع أن الأمور التي تجري بين الناس تجري بمقادير إلا أن النبي **ﷺ** حث على الشفاعة في الخير، قال رسول الله **ﷺ**: «اشْفَعُوا فلتُؤْجَرُوا وَيَقْضَى اللهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا شَاءَ» ^(٢).

وقال الله **عَزَّ وَجَلَّ**: (مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِمَّا) **[النساء: ٨٥]**. ومع أن النبي **ﷺ** قال: «لَا عُدْوَى» ^(٣)؛ إلا أنه قال أيضاً: «فِرَّ مِنَ المَجْذُومِ فَرَارَكَ مِنَ الأَسَدِ» ^(٤).

فالمؤمن يعتقد اعتقاداً جازماً أنه لا توجد عدوى، وأن أمر المرض والشفاء كله من عند الله، وأنه لا عدوى مؤثرة بذاتها، ومع ذلك يفر من المجذوم كما أمر رسول الله **ﷺ**.

ولا تضاد ولا تعارض بين الحديثين، فهو اعتقاد وعمل، إيمان وعمل صالح: ﴿ءَامِنُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ **[البقرة: ٢٧٧]**.

والذرية مقدره، ومع ذلك لا بد من الأخذ بالأسباب الموصلة إليها، فإذا تزوج امرأة وبقي شهوراً لم يجمعها وقال لها ذات يوم: قومي ندعو الله أن يرزقنا الولد في الثلث الأخير من الليل، ترى ماذا يكون جواب زوجته؟! وهو لم يجمعها ويسأل الله الولد من غير جماع! أظنه سيكون أضحوكة عندها!!! ونحن نعلم أن الرزق مقدر، ومع ذلك أمرنا ربنا أن نمشي في الأرض، ونسعى لنأكل من رزقه جل وعلا.

قال تعالى: (فَأَمْسُوا فِي مَنَاجِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ. وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) **[الملك: ١٥]**.

وقال تعالى: (وَأَخْرَجُوا مِنْ بَنَاتِهِ فِي الْأَرْضِ يُبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) **[المزمل: ٢٠]**.

(١) أخرجه مسلم (٢٢٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (حديث ١٤٣٢)، ومسلم (حديث ٢٦٢٧) من حديث أبي موسى الأشعري **رضي الله عنه** قال: كان رسول الله إذا جاءه السائل أو طلبت إليه حاجة قال: «اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا وَيَقْضَى اللهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا شَاءَ».

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٥٧٧٣)، ومسلم (٢٢٢٠) من حديث أبي هريرة **رضي الله عنه** مرفوعاً.

(٤) البخاري (حديث ٥٧٠٧) من حديث أبي هريرة **رضي الله عنه** مرفوعاً.

وقال تعالى: (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ) [البقرة: ١٩٨].

ونحن نعلم أن إنبات النمر مقدر، ومع ذلك لا بد من رعاية الزرع والاهتمام به وفعل ما يصلحه حتى يثمر، وقصة تأبير النخيل مشهورة، فقد أخرج مسلم (١) من طريق موسى بن طلحة عن أبيه قال: مررت مع رسول الله ﷺ بقوم على رؤوس النخل فقال: «ما يصنع هؤلاء؟» فقالوا: يلقحونه يجعلون الذكر في الأنثى فتلقح فقال رسول الله ﷺ: «ما أظنُّ يُعني ذلك شيئاً» قال: فأخبروا بذلك فتركوه فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: «إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه، فإني إنما ظننت ظناً فلما تؤخذوني بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به، فإني لن أكذب على الله ﷻ».

نسأل الله أن يصحح لنا معتقدنا، وأن يصلح لنا أعمالنا ويغفر لنا ذنوبنا، واستغفروا ربكم إنه كان غفراً.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً، والصلاة والسلام على رسول الله الذي أرسله للناس بشيراً ونذيراً.

وبعد ...

أيها الإخوة أما وقد علمنا أن الأمور مقدره فما المستفاد من ذلك العلم؟ يستفاد من ذلك إتمام العمل بأركان الإيمان، فالإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان لا يتم الإيمان إلا به، ومن ثم مفارقة أهل البدع وأهل الكفر والضلال، كما يستفاد أيضاً من الإيمان بالقدر طمأنينة القلب وهدوء البال وراحة الأعصاب، إذ الله تبارك وتعالى قد قال: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ) [التغابن: ١١].

وكما قال سبحانه: (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ) [١٦] أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا) [الحديد: ٢٢، ٢٣].

فالرجل يكون في أهله يحبهم ويحبونه ويأنس بهم ويأنسون به، ويدخل كل يوم على أولاده بالابتسامات ويتلقونه بالترحيب، ويحمل إليهم ما لذ وطاب من الطعام والشراب، وذات يوم وهم ينتظرونه يتأخر ولا يأتيهم، بل يأتيهم خبره، وأنه قد مات في حادث، فماذا عساهم أن يصنعوا؟!

(١) مسلم (حديث ٢٣٦١).

لا شك أنهم إذا كانوا مؤمنين بالله، بقضائه وقدره فإنهم يسترجعون ويقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرنا في مصيبتنا، واخلف لنا خيراً منها، فيبدلهم الله خيراً منها، ويرزقهم إيماناً يجدون حلاوته في قلوبهم، وطمانينة وسكينة تباشر قلوبهم أيضاً. وفضلاً عن ذلك فعليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون.

أما إذا لم يكونوا مؤمنين فماذا عساهم أن يفعلوا؟ امرأته تشق الجيب، وتطم الخد، وتحلق الرأس، وتعترض على الأقدار، وتسب الأيام والشهور والليالي، وتصيح صياح المجانين، بل ويكون المجنون أفضل منها في حالتها تلك، فالمجنون مرفوع عنه التكليف، أما هي فتقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب، كما جاء عن رسول الله ﷺ في شأن النائحة (١)، وقد تبرأ رسول الله ﷺ من الصالقة والحالقة والشاققة (٢).

وماذا عساهما أن تجني بعد ذلك، إنها تجني ثمار اعتراضها على القدر: حسرات إلى حسرات، وخساراً إلى خسار، يتسرب إليها الندم الذي لا ينفع بشيء فتقول: يا ليتني ما خرج من بيتي. فتقع فيما يقع فيه الكفار الذين نهانا الله عن التشبه بهم، حيث قال سبحانه: (يَتَأَيَّمُوا لِيَآمِنُوا وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قَتَلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾) آل عمران: ١٥٦.

فهؤلاء الكفار إذا خرج إخوانهم مسافرين، أو خرجوا في غزوة من الغزوات فماتوا في أسفارهم، أو قتلوا في مغازيهم، تسرب الندم إلى إخوانهم الجالسين الذين لم يخرجوا، وقالوا: يا ليتهم ما سافروا وما خرجوا؛ فلو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا، وهذا الندم الذي تسرب إليهم إنما قذفه الله في قلوبهم عقوبة لهم على كفرهم، وعلى اعتراضهم على أقداره. ثم بين الله لأهل الإيمان أنه سبحانه هو الذي يحيي وهو الذي يميت، وهو عليم بما نقول، بصير بما نعمل.

والطالب يكون في دراسته مجتهداً في غاية الاجتهاد، ذكياً في غاية الذكاء، وكل

(١) أخرجه مسلم (٩٣٤)، من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٢٩٦)، ومسلم (حديث ١٠٤)، من حديث أبي موسى رضي الله عنه مرفوعاً أن النبي ﷺ قال: «أربع في أمي من أمر الجاهلية لا يتركوهن: الفخر في الأَسَابِ، والطعن في الناسِ، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة» وقال: «النائحة إذا لم تثب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب».



عام ينجح، وينجح بتفوق على أقرانه، ويأتي في امتحان الثانوية مثلًا التي بعدها يتجه إلى جامعة من الجامعات، يخرج من بيته صباحًا للامتحان؛ فيسقط من على الدرج فتكسر رجله، أو يهشم رأسه، أو تصدمه سيارة فيذهب إلى المستشفى، والآلام تحيط به من كل جانب، والدم ينزف من كل مكان منه، يعالج ويتألم، وزملاؤه في الامتحان يؤدونه بهدوء أعصاب وراحة بال، فماذا عساه أن يفعل إذا لم يكن مؤمنًا بأقدار الله؟! لا شك أنه إذا كان مؤمنًا بالله وبأقداره رضي وحمد الله على كل حال، وعلم أن هذا ابتلاء من الله، وأن الله **عَزَّوَجَلَّ** يوفي الصابرين أجرهم بغير حساب، فكان أمله ورجاؤه فيما عند الله، واحتسب كل ما أصابه في نفسه وبدنه ودنياه، فحينئذٍ يبذل الله إيمانًا يجد حلاوته في قلبه.

والمرأة أو الفتاة تكون جميلة حسناء، يتحدث أهل البلدة عن حسناتها وجمالها وبهائنها، فما تلبث إلا قليلًا حتى تُبئلى، تذهب لطهي الطعام فيتناثر زيت حارٌّ على وجهها وجسمها فيشووها، ويفر الناس منها عند رؤيتها، فكيف تصنع مثل هذه إذا لم تكن تؤمن بالله وبأقداره وترضى بقضائه؟! الدعاء...

* * *

m

فضائل القرآن وحملة القرآن

أما بعد: فقد وصف الله القرآن الكريم بأشرف الأوصاف وأحسنها وأجملها فوصف الله هذا الكتاب بأنه كريمٌ وعظيمٌ ومجيدٌ وحكيمٌ، وكذا فإنه مباركٌ وعزيزٌ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيمٍ مجيد.

وصفه الله بأنه كريم إذ قال: (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ [الواقعة: ٧٧، ٧٨].

ووصفه بأنه عظيم إذ قال: (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾) [الحجر: الآية

[٨٧]

ووصفه بأنه مجيد إذ أقسم به فقال: (قَبِّ وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدِ ﴿١﴾) [ق: ١].

وقال في وصفه بالحكيم: (يَسَّ ﴿١﴾ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾) [يس: الآيتان ١، ٢].

أما كونه مباركًا فرب العزة يقول: (كُنْتُ أَنزَلْتُهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ

﴿٢٩﴾) [ص: الآية ٢٩]

ووصفه بأنه عزيز إذ قال: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِنْتُ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾) [فصلت: الآية

[٤١].

وصدق الله فيما قال فمن أصدق من الله قبيلاً؟! ومن أصدق من الله حديثاً؟!

فحقاً قد اجتمعت خصال الخير كلها في هذا القرآن الكريم!!

حقاً إنه مبارك!!

*** مبارك عند تعلمه وقراءته.**

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قرأ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ

فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الْم حَرْفًا، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَنَامٌ حَرْفٌ،

وَمِيمٌ حَرْفٌ»^(١).

*** نافع لحامله في دنياه، وفي أخراه.**

*** نافع في دنياه إذ الله يرفع أهل القرآن.**

(١) إسناده حسن، ولكنه قد روي مرفوعاً والحديث أخرجه الترمذي (مع تحفة الأحوذى ٢٢٦/٨).



عن عامر بن واثلة: أن نافع بن الحارث لقي عمر بعسفان، وكان عمر يستعمله على مكة، فقال: من استعملت على أهل البوادي؟ فقال: ابن أبنى.

قال: ومن ابن أبنى؟

قال: مولى من موالينا.

قال: فاستخلفت عليهم مولى؟!

قال: إنه قارئ لكتاب الله **عَزَّ وَجَلَّ** ، وإنه عالم بالفرائض.

قال عمر: أما إن نبيكم □ قد قال: «إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ

آخِرِينَ» (١)

* وقد زوج النبي □ رجلًا بما معه من القرآن (٢)

أما علو المنازل وارتفاع الدرجات في الآخرة؛ فإن الله تبارك وتعالى قد قال: (يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) [المجادلة: الآية ١١].

وقال رسول الله □ : «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَقْرَأَ وَارْتَقَى وَرَتَّلَ كَمَا كُنْتَ

تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا؛ فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرُؤُهَا» (٣)

* إنه لحامله شفيع يوم القيامة!!

قال رسول الله □ : «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ» (٤)

* إنه يدافع عن صاحبه يوم القيامة ويحاجج!!

* تنزل عند تلاوته السكينة. وتحفُّ الملائكة من قرأه.

قال رسول الله □ : «وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ

وَيَنَادِرُ سَوِيَّهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَعَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَقَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ» (٥)

* تنفر عند تلاوته الشياطين، وتبطل عندها أعمال السحرة والمشعوذين:

(١) أخرجه مسلم (٨١٧).

(٢) أخرج ذلك البخاري (مع الفتح ١٣١/٩) ومسلم (٢١١/٩).

(٣) حسن، أخرجه أبو داود (١٥٣/٢) والترمذي (٢٣٢/٨) مع التحفة.

(٤) أخرجه مسلم (مع النووي ٨٩/٦).

(٥) أخرجه مسلم (مع النووي ٢١/١٧).

قال رسول الله ﷺ : «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرَ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ»^(١) .

* أهله وحملته يقدمون في الصلوات!!

قال رسول الله ﷺ : «يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرَبُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ»^(٢) .

* وكذا يقدمون في القبور عند الدفن^(٣) !!

أهله وحملته هم المستشارون في الأمور فهم للشورى أهل. وقد كان القراء هم أصحاب مجالس عمر رضي الله عنه ومشاورته كهولاً أو شباناً^(٤) .

فهم الذين يطلب منهم النصح والتوجيه.

وأفضل من ذلك كله: أن أهله وحملته والعاملين به هم أهل الله وخاصته.

فقد قال رسول الله ﷺ : «إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ» قيل: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ»^(٥) .

المهرة به مع السفارة الكرام البررة، والذين يقرؤونه يتعتعون فيه وهو عليهم شاق لهم أجران.

قال رسول الله ﷺ : «الْمَاهِرُ^(٦) بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ^(٧) الْكِرَامِ الْبَرَّةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ^(٨) وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ»^(٩) .

حاملوه ومُتعلّموه ومُعلّموه هم الربانيون، وهم خير الناس وأفضلهم.

قال تعالى: (وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٨﴾) [آل عمران: الآية ٧٩].

وفي الحديث الثابت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خيركم من تعلم القرآن

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ٦/٦٨٠).

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٦٧٣).

(٣) انظر البخاري (حديث ١٣٤٧) ففيه أن النبي ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول: «أيهم أكثر أخذاً للقرآن؟» فإذا أشير إلى أحدهما قدمه في اللحد.

(٤) أخرجه البخاري (حديث ٤٦٤٢).

(٥) إسناده حسن، وقد أخرجه أحمد (١٢٧/٣).

(٦) الماهر: هو الحاذق الكامل الحفظ الذي لا يتوقف ولا تشق عليه القراءة لجودة حفظه وشدة إتقانه.

(٧) السفارة: هم الملائكة.

(٨) يتتعتع فيه: يتردد في القرآن لضعف حفظه فله أجران: أجر للقراءة وأجر للمشقة التي يجدها في التتعتة.

(٩) أخرجه مسلم (مع النووي ٦/٨٤) والبخاري (حديث ٨٠).



وفي رواية: «إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه». ثم إن الأمة التي ورثت هذا القرآن هي الأمة المصطفاة، والمجتباة. قال تعالى: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا) [فاطر: الآية ٣٢]. يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم.

إنه شفاء لما في الصدور:

قال تعالى: (تَنبَأُهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ) [يونس: الآية ٥٧]. وقال تعالى: (وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا) [الإسراء: الآية ٨٢].

به تطمئن القلوب:

إذ قال الله: (الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) [الرعد: الآية ٢٨].

وقد قال عدد من العلماء: إن المراد بذكر الله هاهنا القرآن واستدلوا لقولهم بقوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاطِقُونَ) [الحجر: الآية ٩]. وإن كانت هناك أقوال آخر في تفسير الذكر في هذا المقام.

قصصه أجمل القصص وأحسن القصص:

قال تعالى: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْعَافِينَ) [يوسف: الآية ٣]. * أخباره أصدق الأخبار، فمن أصدق من الله قبيلاً؟! ومن أصدق من الله حديثاً!؟

قال تعالى: (إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يُقْرَأُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) [النمل: ٧٦، ٧٧].

فأي خبر يخالف ما أخبر به ربنا فهو خبر كاذب؛ فالقول ما قاله ربنا، والخبر

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٧٤/٩).

الصحيح ما أخبر به ربنا، وما جاء على لسان نبينا محمد □ .

تتأثر به الجمادات:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَةٌ بِهِ الْمَوْتُ بَل لَّئِنَّ الْأُمَّرَ جَمِيعًا﴾

[الرعد: الآية ٣١].

أي: لو كان هناك قرآن تسير به الجبال لكان هذا القرآن تخشع له الجبال:

قال تعالى: (لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) [الحشر: الآية

٢١].

إذا بحثت عن صحيح المعتقد وجدته في كتاب الله: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ

﴿٢﴾ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ يَوْلَدٌ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾) [سورة الإخلاص].

إذا بحثت عن مكارم الأخلاق وجدتها في هذا الكتاب المبارك:

فإذا بحثت عن الصدق وجدت قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾

[التوبة: الآية ١١٩].

إذا بحثت عن العدل وجدته: (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ آلَا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ

لِلتَّقْوَىٰ) [المائدة: الآية ٨].

إذا بحثت عن الشجاعة وجدتها: (فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَآخِشَوْنَ) [المائدة: الآية ٤٤].

إذا بحثت عن الكرم والبذل وجدت: (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ) [سبأ: الآية ٣٩].

وهكذا كل خلق كريم يأمرنا الله به في هذا الكتاب الكريم.

تري التواضع في قول يوسف الصديق الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم:

(أَنَا يُوسُفُ) [يوسف: الآية ٩٠].

تراه في قول سليمان عليه السلام الذي سخرت له الجن والإنس؛ ومع ذلك يقول

في رسالته: (إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾) [النمل: الآية ٣٠].

فهكذا يكون التواضع، وهكذا كل خلق كريم يأمرنا به رب العالمين.

وينهانا ربنا عن كل خلق ذميم:

﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: الآية ١٢] (وَلَا يَجَسَّسُوا) [الحجرات: الآية ١٢].

* (لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ) [النساء: الآية ٢٩].

* (لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّكَ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾) [القصص: الآية ١٣].

* (وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ) [الأنعام: الآية ١٥١].



* (وَلَا تَقْرُبُوا الزُّبْحَ) [الإسراء: الآية ٣٢].

* (لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ أَسْفَعًا مُضَاعَفَةً) [آل عمران: الآية ١٣٠].

* (إِنَّمَا الْحَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [المائدة: الآية ٩٠].

* (وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ) [الأعراف: الآية ١٥٧].

فحَقًّا إنه لقرآن كريم!!!

فحَقًّا إنه (تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ) [الواقعة: الآية ٨٠]!!

وصدق الله إذ قال: (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ

كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) [الإسراء: الآية ٨٨].

صدقت الجن إذ قالت:

(إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا) [يهدى إلى الرشد فقامنا به] (وَلَنْ نُشْرَكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا) [الجن: الآيتان ١، ٢].

صدق مؤمنو الجن إذ قالوا: (يَقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ

يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ) [يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ، يَعْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجْرِكُمْ مِنْ عَذَابٍ

أَلِيمٍ] [الأحقاف: الآيتان ٣٠، ٣١].

* فعليكم أيها المسلمون بالقرآن خير كتاب أنزل على خير رسول، بخير اللغات،

في خير أمة أخرجت للناس، وفي خير البقاع، بجوار خير المساجد.

سلوا ربكم **بِحَقِّهِ** أن يجعلكم مستمسكين به راضين بما فيه، واستغفروا ربكم إنه

كان غفارًا.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد الأمين وعلى آله

وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين ... وبعد:

فلما كان هذا القرآن كما علمتم وسمعتم يهدي إلى كل خير، ويقود إلى كل جميل،

ويورث جنات النعيم. وينهى عن كل شر، وينقذ من كل قبيح ويحذر من سبل الجحيم.

ولكن مع ذلك كله فإن الله غالب على أمره، وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله،

وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين.

فقد أبى الظالمون إلا كفورًا. وانصرفوا عن هذا القرآن واجتهدوا لصرف الناس

عنه.

فَجَنَدَ إبليس جنده، وحرص إبليس أتباعه على التشويش على هذا القرآن واللغو فيه، فحمل أتباعه هذا اللواء وسعوا في الأرض بالفساد.

قال تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا سَمْعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾) [فصلت: الآية ٢٦] فأجلبت شياطين الإنسان والجن بخيلاها ورجلها، وضجها وضجيجها للتشويش على هذا القرآن، لقد أقبلوا من كل صوب وحذب، وكل سبيل وطريق للتدليس والتلبيس على متبعيه، ووصفوه بكل ما لا يليق به. فمرة قالوا عن هذا القرآن: إنه تعليم رجل أعجمي لنبينا محمد ﷺ. وكذب الله مقالتهم، فقال ربنا: (وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٣٣﴾) [النحل: الآية ١٠٣].

ومرة قالوا: (وَقَالُوا أَسْطِطِرُّونَ الْوَالِدِينَ كَمَا كَتَبَتْهَا فِيهِ تُمَلِّئْ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾) [الفرقان: الآية ٥] فكذبهم الله بقوله: (قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا رَحِيمًا ﴿٦﴾) [الفرقان: الآية ٦].

ومرة قالوا: (نَقُولُهُ) [الطور: الآية ٣٣]. فقال تعالى: (بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ) [الطور: الآية ٣٣].

ومرة قالوا (أَفْتَرَيْنَاهُ) [يونس: الآية ٣٨].

فقال تعالى: (بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ) [السجدة: الآية ٣].

فهيهات هيهات لما يتمنون، وهيهات هيهات أن يتحقق لهم مراد، فرب العزة لا يخفى عليه صنيعهم، ولا يغيب عنه مكرهم، بل قال سبحانه: (إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا) [فصلت: الآية ٤٠].

وربنا لكل من حارب كتابه بالمرصاد.

وقد دافع ربنا خير دفاع عن نبينا صلوات الله وسلامه عليه.

فثبت الله نبينا، وقال عن هذا الكتاب العزيز: (إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ) [هود: الآية ١٧].

وقال: (وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ) [الإسراء: الآية ١٠٥].

وقال: (وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾) [الحاقة: الآية ٤٤-٤٦].

فتذهب حينئذ مقالات الكفار سدى ويطيش سهمهم ويخيب ظنهم.

وصدق الله إذ قال: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾) [الحجر: الآية ٩].

وصدق الله إذ قال: (وَإِنَّهُ لَكِنْدٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَتْرَبِلُ مَنْ حَكِيمٌ

حَمِيدٌ ﴿٤٢﴾) [فصلت: الآية ٤٢].



فضائل القرآن وحملة القرآن

الجزء الأول



ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.
فعلَيْكُمْ أهل الإسلام بالقرآن.
كتاب ربكم تعلموه وعلّموه أبناءكم. اعملوا بما فيه، تدبروه وتفقهوا فيه، تدارسوه
وادرسوه.
الدعاء...

* * *



MOSTAFAALADWIY.COM

m

رسولنا □ وبيان بعض ماله علينا من الحق

أما بعد: فنذكر في مقامنا هذا إن شاء الله تعالى بشيء من مناقب نبينا محمد □ وما يجب علينا نحوه سائلين الله تبارك وتعالى أن يجعلنا وإياكم من المنتفعين بالذكرى، ومن الموقرين لنبیهم محمد □، وأن يحشرنا وإياكم معه □ في الفردوس مع المنعم عليهم والصدیقین والشهداء والصالحین وحسن أولئك رفيقاً.

وبين يَدَيَّ هذه التذكرة نرجو أن تغنموا صلاة وسلاماً على نبیکم محمد □ امتثالاً لأمر ربکم إذ أمرکم بهذا الأمر الذي بدأ فيه بنفسه وثنى فيه بملائكته فقال: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) ﴿٥٦﴾ [الأحزاب: الآية ٥٦].
ثم طلباً للأجر والثواب إذ قال رسول الله □: «من صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا»^(١).

ثم هاهنا حقيقة يجب أن تدرك، وإقرار يتحتم الإقرار به. إننا مهما كتبنا من كتب ومهما سطرنا من سطور، ومهما تكلمنا من كلمات فلن نفي بحق هذا الرسول علينا □.

إن المداد لينفد، وإن الأوراق لتنتهي وما أتينا على جزء من مائة جزء من فضائل هذا النبي الكريم وجميل خصاله وكريم فعالة وحسن سجايه!!
إن العقل ليعجز عن وصف هذا النبي الكريم، ووصف بعض محاسنه فضلاً عن جُلِّها فضلاً عن كلها!!

إن اللسان يكل وإن العمر لينقضي وما وفيا رسولنا الكريم جزءاً من حقه علينا. فاعفو يا ربنا والمعذرة يا ربنا فقد خلقتنا ضعفاء.
لا علم لنا إلا ما علمتنا ولا قوة لنا إلا بك، ولا حول لنا إلا بك.
فنسألك اللهم أن تغفر لنا تقصيرنا في امتثال أمرك بتوقير هذا النبي وتعزيره وتسيحك بكرة وأصيلاً.

ثم نقول وبالله التوفيق:

(١) صحيح مسلم (٤٠٨).



رسولنا □ وبيان بعض ما له علينا من الحق



إن نبينا محمد □ هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي القرشي صلوات الله وسلامه عليه وصحبه وسلم.

* أمه آمنة بنت وهب.

أرسله الله ﷻ بشيراً ونذيراً على فترة من الرسل (١) كما قال تعالى: ﴿يَأْهَلْ أَلِكَنْبٍ فَدَجَاءَكُمْ رَسُولُنَا يَبِينُ لَكُمْ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ [المائدة: الآية ١٩].

* لقد أرسله الله رحمة للعالمين.

* ولقد اصطفى الله سبحانه وتعالى هذا النبي الكريم وفضله على سائر الأنبياء والمرسلين.

قال رسول الله □: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى فريثاً من كنانة، واصطفى من فريث بني هاشم واصطفاني من بني هاشم» (٢). وأخرج الإمام أحمد بسند حسن عن ابن مسعود رضي الله عنه (٣) قال: «إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد □ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعته برسالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه فما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسناً وما رأوا سيئاً فهو عند الله سيئاً».

إنه □ سيد ولد آدم فقد قال □: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة» (٤)، وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع» (٥). لقد كان النبي □ أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس (٦). * لقد كان أحسن الناس خلقاً (٧).

(١) فقد كانت هناك فترة زمنية لم يرسل فيها رسول ولم يبعث فيها نبي، تلك الفترة التي بين عيسى وبين محمد □ ويسميتها العلماء «زمن الفترة».

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٢٧٦).

(٣) أحمد في «المسند» (٣٧٩/١).

(٤) أخرجه مسلم (حديث ٢٢٧٨).

(٥) البخاري (حديث ٤٧١٢) ومسلم «أنا سيد الناس يوم القيامة».

(٦) أخرج ذلك البخاري (حديث ٢٩٠٨) ومسلم (٣٢٠٧) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً.

(٧) مسلم (حديث ٢٣١٠)، وكذا فانظر البخاري (حديث ٣٥٤٩) ومسلم عقيب حديث (٢٣٣٧).

* إنه صاحب الشفاعة العظمى.

لقد قال □: «لكل نبي دعوة فأريد إن شاء الله أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة»^(١)

وقال □: «أعطيت خمسا لم يُعْطهنَّ أحدٌ قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فإيما رَجُلٌ من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأجنت لي المعامم ولم تحل لأحدٍ قبلي وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»^(٢)

* إنه أول من يدخل الجنة وأول من تفتح له.

أخرج مسلم في «صحيحه» من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله □: «أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً»^(٣)

وفي رواية عن أنس أيضاً قال: قال رسول الله □: «أتي باب الجنة يوم القيامة فاستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحدٍ قبلك»^(٤)

* إنه شاهد ومبشر ونذير.

وقال تعالى: (يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً) ^(٥) وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً

أخرج البخاري ^(٥) من طريق عطاء بن يسار رحمه الله، قال: «لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قلت: أخبرني عن صفة رسول الله □ في التوراة، قال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفة في القرآن: (يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً) [الأحزاب: الآية ٤٥] وحرراً للأمينين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكلاً، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسينة السيئة، ولكن يعفو ويعفور، ولن يفضه الله حتى يُقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله ويفتح بها

(١) أخرج البخاري (حديث ٧٤٧٤) ومسلم (حديث ١٩٨).

(٢) البخاري (حديث ٣٣٥) ومسلم (حديث ٥٢١) وهذه الشفاعة المذكورة في الحديث يفسرها ما ورد في

الحديث المتفق عليه البخاري (٤٧١٢) ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) مسلم (حديث ١٩٦).

(٤) مسلم (حديث ١٩٧).

(٥) البخاري (حديث ٢١٢٥).



أَعْيَبًا عُمِيًّا وَآدَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلَقًا».

□ إن الوسيلة منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبدٍ من عباد الله يرجوها رسولنا محمد لنفسه.

أخرج مسلم ^(١) في «صحيحه» من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه سمع النبي □ يقول: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَدِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا. ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَتَّبَعِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ».

* لقد شرح الله صدره ^(٢)، ووضع عنه وزره، ورفع له ذكره وقد شرح صدر رسول الله □ مرتين ^(٣).

(١) مسلم (حديث ٣٨٤).

(٢) أما المراد بشرح الصدر؛ فمن العلماء من قال: إنه شق صدره □ الذي تم على ما سيأتي بيانه إن شاء الله وهو صغير، وأيضًا ليلة الإسراء، ومن العلماء من قال: إن المراد بشرح الصدر توسيعه وجعله رحيبًا فسيحًا يسع التكاليف التي يكلف بها صلوات الله وسلامه عليه، ويقبلها بارتياح واطمئنان وهدوء، ويتحمل في سبيلها ما يصيبه من أذى وبلاء بصدر رحب وصفح وعفو ومقابلة الإساءة بالإحسان؛ ومن المعلوم أن الصدر إذا كان منشرحًا لشخص مثلًا فإن كل أقواله تدخل فيه، وإذا كان الصدر متبرمًا متضيقًا من شخص فلا يكاد يصل أي قول من قوله إلى الصدر، بل يرد الصدر كل ما يصدر من هذا الشخص فعليه إن كان الله سبحانه وتعالى قد شرح صدر شخص للإسلام فتدخل كل التكاليف وكل الأوامر والنواهي إلى صدر هذا الشخص وهو مرتاح لها متسع لقبولها، كما قال (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَهْدِهِ يُشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ) [الأنعام: الآية ١٢٥]. وبدء طريق الهداية يكون بشرح الصدر، من ثم دعاء موسى لما كلفه الله بالذهاب إلى فرعون - ربه (قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ^(٤) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ^(٥)). (إطه: ٢٥، ٢٦).

(٣) الأولى منهما: وهو صغير مع الغلمان كما في «صحيح مسلم» ^(١) من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله □ أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه علة فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم لأمه ^(٢) ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه «يعني: ظنره» ^(٣) فقالوا: إن محمدًا قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون ^(٤).

قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره.

والثانية: ليلة المعراج كما في «صحيح البخاري» و«صحيح مسلم» من حديث أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله □ قال: «فُرِجَ عَن سَقْفِ» ^(٥).

أما قوله تعالى: (وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ ﴿٢﴾) [الشرح: الآية ٢] فهي كقوله تعالى: (لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) [الفتح: الآية ٢].

أما رفع ذكر النبي ﷺ فذلك للأمن من وجوه، منها ما يلي:
ابتاؤه القرآن وإنزاله عليه وبعثه لخير أمة أخرجت للناس، فقد قال تعالى عن القرآن: (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ) [الزخرف: الآية ٤٤] أي: شرف لك ولقومك.
ولا يتعد لأحد إسلام إلا بالاعتراف برسالته ﷺ والإقرار بها بقوله: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فجاء ذكر النبي ﷺ برسالته من أركان الإسلام.

- (١) أخرجه مسلم (ص ١٤٧).
 - (٢) لأمه: ضمه وجمع بعضه إلى بعض.
 - (٣) ظنره: أي مرضعته.
 - (٤) منتقع اللون: أي متغير اللون.
 - (٥) أخرجه البخاري (حديث ٣٤٩)، ومسلم (حديث ١٦٣).
- =* ويدوي هذا الاسم الكريم اسم محمد ﷺ خمس مرات في اليوم والليلة في الأذان، وكذلك عند إقامة الصلاة.

* ورب العزة سبحانه وملائكته يصلون على هذا النبي الكريم محمد ﷺ قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾) [الأحزاب: الآية ٥٦].
* وكرر اسمه في القرآن في عدة مواطن ﷺ، بل وجعلت في القرآن سورة باسمه ﷺ، وكما أسلفنا فالقرآن كله نزل عليه، وقال تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَتَابِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾) [الحجر: الآية ٨٧].
* وبشرت به الكتب المنزلة على الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم.
* واسمه يذكر في كل خطبة وفي خطبة النكاح والتشهد في الصلاة كذلك.
وفي الجملة فقد ملاً ذكره الجميل السماوات والأرضين، وجعل الله له لسان صدق في الأولين والآخرين وجعلت أمته كما أسلفنا خير الأمم وأكثر أهل الجنة فصلوات ربي وسلامه عليه أثناء الليل وأطراف النهار في الدنيا وفي الآخرة عليه أفضل صلاة وأتم تسليم وأزكاه، وما أجمل وأحسن هذه الأبيات المنسوبة إلى حسان رضي الله عنها حيث قال في وصف النبي ﷺ والثناء عليه:

أغر عليه للنبوة خاتم **من الله مشهود يسبح ويشهد**
وضم إليه اسم النبي مع اسمه **إذ قال في الخمس المونن أشهد**
وشق له من اسمه ليجله **فدو العرش محمود وهذا محمد**

لقد وجده الله يتيمًا فأواه، وضالًا فهداه، وعائلاً فأغناه.
أما كونه يتيمًا فأواه فوجه ذلك: أن الله سبحانه وتعالى قيد له عمه أبا طالب يحوطه ويرعاه ويمنعه ممن أراد بسوء، ويحنو عليه ويدافع عنه. وكذلك قيد الله له غير أبي طالب أيضًا، فقيد الله له المطعم بن عدي فنزل النبي ﷺ في جواره. وقيد الله له العموم من حفظه بإذن الله صلوات الله وسلامه عليه.
وأما كونه ضالًا فهداه الله فوجه ذلك: فلأهل العلم في ذلك جملة أقوال، ذكر الرازي منها عشرين وأشهر هذه الأقوال ما يلي:



* لقد أعطاه الله الكوثر ومنّ عليه بالحوض المورود.

أما الكوثر فقد ذهب أكثر أهل العلم إلى أن المراد بالكوثر: نهر في الجنة أعطاه الله لنبيه □ ، وستأتي الأحاديث صريحة في ذلك.

ومن العلماء من قال: إن الكوثر هو حوض رسول الله □ ، وهذا القول قوي أيضاً ويجمع بينه وبين الأول أن النهر حوض ^(١) كما في «صحيح مسلم» من حديث أنس رضي الله عنه ... وفيه أن النبي □ قال: «أتدرون ما الكوثر؟» فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه نهر وعدنيه ربي ﷺ عليه خير كثير وهو حوض ترد عليه أمّتي يوم القيامة آتيته عدد النجوم» الحديث.

وقد صحح القرطبي رحمه الله القول القائل بأن الكوثر هو النهر أو الحوض، قال: لأنه ثابت عن النبي ﷺ نص في الكوثر.

وقال الطبري في «تفسيره» بعد أن ذكر جملة من أقوال للعلماء في الكوثر: وأولى هذه الأقوال بالصواب عندي قول من قال: هو اسم للنهر الذي أعطيه رسول الله □ في الجنة، وصفه الله بالكثرة لعظم قدره، وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في ذلك لتتابع الأخبار عن رسول الله □ بأن ذلك كذلك.

القول الأول: أنه □ كان ضالاً عن معالم النبوة وأحكام الشريعة لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان، كما قال

تعالى: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ) [التَّوْرَةُ: الآية ٥٢]، وكما قال تعالى: (نَحْنُ نَعُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ) [يُوسُف: ٣].

القول الثاني: أنه □ كان قد ضل في شعاب مكة وهو صغير فرده الله سالماً.

القول الثالث: أنه سبحانه وجده في قوم ضلال فهداهم الله به - والله تعالى أعلم.

أما كونه كان عائلاً فأغناه: فمن العلماء من قال: إن هذا الغنى يتمثل فيما فتحه الله عليه من الفتوحات والكنوز، وما من الله به عليه من الغنائم وتحليلها له، لكن هذا القول قد رده بعض العلماء متعللين بأن السورة مكية والفتوحات إنما كانت بعد الهجرة.

ومن العلماء من قال: إن المراد بالغنى هنا غنى النفس والقناعة، فقد قنعه الله بما آتاه.

ومن أهل العلم من قال: إن الله عز وجل أغناه بما وهبته له خديجة بنت خويلد وأعطته من مالها - والله أعلم.

(١) وقد جمع الرازي بأن قال: ووجه التوفيق بين هذا القول وبين القول الأول أن يقال: لعل النهر ينصب في الحوض، أو لعل الأنهار إنما تسيل من ذلك الحوض فيكون ذلك الحوض كالمنبع.

(٢) أخرجه مسلم (حديث رقم ٤٠٠).

قلت: وقد ذكر بعض العلماء أقوالاً آخر في الكوثر ^(١)، فمنهم من قال: إن الكوثر هو الخير الكثير الذي أعطاه الله لنبيه □ فيدخل فيه النهر والحوض والنبوة والقرآن وكثرة الأتباع والأصحاب والأمة وتخفيف الشرائع و... إلى غير ذلك، والأولى هو ما قدمناه وهو الذي عليه جماهير العلماء أن الكوثر هو النهر وهو الذي فسره به رسول الله □ .

قال صديق حسن خان في «فتح البيان» بعد أن أورد جملة أحاديث تبين أن الكوثر نهر أعطيه النبي □ في الجنة: فهذه الأحاديث تدل على أن الكوثر هو النهر الذي في الجنة فيتعين المصير إليها وعدم التعويل على غيرها، وإن كان معنى الكوثر هو الخير الكثير في لغة العرب، فمن فسره بما هو أعم مما ثبت عن النبي □ فهو تفسير ناظر إلى المعنى اللغوي.

*** لقد أنزل الله عليه خير كتاب كتاب مهيمن على سائر الكتب من قبله.**

قال تعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ) **[المائدة: الآية ٤٨]** .

كتاب يهدي للتي هي أقوم، قال تعالى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) **[الإسراء: ٩]** وبعثه في خير قرن.

قال رسول الله □ : «خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» ^(٢) .

وفي «الصحيحين» أيضاً من حديث ابن مسعود أن النبي □ قال: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم...» ^(٣) .

وفي رواية عند مسلم ^(٤) : «خير أمتي الذين يبعث فيهم ثم الذين يلونهم...» .

ذلك في خير البلاد، ألا وهي مكة المكرمة فقد قال □ بمكة: «والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إليّ، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت» ^(٥) .

*** إن هذا النبي دعوة إبراهيم عليه السلام وبشارة عيسى □ ورأت أمه نوراً خرج**

(١) ذكر القرطبي منها ستة عشر قولاً.

(٢) البخاري (حديث ٣٦٥٠) ومسلم (حديث ٢٥٣٥) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعاً.

(٣) البخاري (حديث ٣٦٥١) ومسلم (حديث ٢٥٣٣).

(٤) مسلم (حديث ٢٥٣٤).

(٥) أخرجه أحمد (٣٠٥/٤) وعبد بن حميد في «المنتخب» (حديث ٤٩٠).



منها أضاعت له قصور الشام ^(١).

إنه دعوة إبراهيم عليه السلام إذ قال: (رَبَّنَا وَأَعْمَتْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٩﴾) [البقرة: الآية ١٢٩].

إنه بشارة عيسى □ إذ قال: (وَمُبَشِّرًا رَسُولًا يُأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ) [الصف: الآية ٦].

* أن أمته خير الأمم وأصحابه خير الأصحاب.

قال تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) [آل عمران: الآية ١١٠].

قال أبو هريرة ^(٢) في تفسير الآية: «خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم يدخلون الإسلام».

وقال □: «إِنَّكُمْ تَوْفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ آخِرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ ﷻ» ^(٣).

وقال □: «نحن الآخرون، ونحن السابقون يوم القيامة» ^(٤) وفي رواية: «نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلق» ^(٥).

لقد زكى الله لهذا النبي الكريم فواده:

فقال سبحانه: (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴿١١﴾) [النجم: الآية ١١].

وزكى عقله:

فقال: (فَدَكَّرَ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾) [الطور: الآية ٢٩].

وزكى الله له لسانه:

فقال سبحانه: (وَمَا يَطِّقُ مِنَ الْمَوْعَى ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَجْهُ يُوحَى ﴿٤﴾) [النجم: ٣، ٤].

وزكى له بصره:

فقال سبحانه: (مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴿١٧﴾) [النجم: الآية ١٧].

وزكى له سمعه:

فقال: (قُلْ أَدُنُّ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ) [التوبة: الآية ٦١].

وزكى الله خلقه:

(١) انظر «مسند أحمد» (٢٦٢/٥) فقد ورد ذلك بإسناد يُحسن لشواهد.

(٢) البخاري (٤٥٥٧).

(٣) صحيح، وأخرجه عبد بن حميد في «المنتخب» (حديث ٤٠٩) وأحمد (٥، ٣/٥).

(٤) البخاري (حديث ٣٤٦٨) ومسلم (حديث ٨٥٥).

(٥) مسلم (حديث ٨٥٦).

فقال سبحانه: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾) [القلم: الآية ٤].

لقد نفى الله عنه كل شيء قبيح، وأثبت له كل جميل وكريم وأقسم ربنا على ذلك إذ قال سبحانه: ﴿ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنتَ بِعَمُورٍ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾) [القلم: الآيات ١-٤].

أخرج مسلم في «صحيحه»^(١) من طريق هشام بن عامر قال: يا أم المؤمنين، أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ؟ قالت: ألسنت تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قالت: فإن خلق نبي الله كان القرآن.

*** إنه منة وتفضل من أعظم ممن الله علينا.**

قال تعالى: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾) [آل عمران: الآية ١٦٤].

*** لقد أرسله الله لتزكيتنا وتطهيرنا!!**

لقد أرسله الله لتعليمنا الكتاب والحكمة وإيقادنا من الجهالات والضلالات؛ قال الله تعالى: (كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ

(١) مسلم (حديث ٧٤٦).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: ومعنى هذا أنه عليه السلام صار امتثال القرآن أمرًا ونهيًا سجية وخلقًا تطبعه وترك طبعه الجبلي، فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه، هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم، من الحياء والكرم، والشجاعة والصفح والحلم، وكل خلق جميل، كما أثبت في «الصحيحين»^(١) عن أنس قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي أف قط، ولا قال لشيء فعلته: لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلته؟ وكان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا، ولا مسست خزا ولا حريزًا ولا شيئًا كان ألين من كف رسول الله ﷺ ولا شممت مسكًا ولا عطرًا كان أطيب من عرق رسول الله ﷺ. وقال البخاري^(٢): حدثنا أحمد بن سعيد أبو عبد الله، حدثنا إسحاق بن منصور، حدثنا إبراهيم بن يوسف، عن أبيه، عن أبي إسحاق؛ قال: سمعت البراء يقول: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهًا وأحسن الناس خلقًا، ليس بالطويل البائن ولا بالقصير. والأحاديث في هذا كثيرة، ولأبي عيسى الترمذي في هذا كتاب «الشمائل» عن عروة^(٣) عن عائشة؛ قالت: ما =

(١) انظر البخاري (٦٠٣٨، ٦٩١١)، ومسلم (٢٣٠٩).

(٢) البخاري (حديث ٣٥٤٩).

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (٢٣٢/٦).

=ضرب رسول الله ﷺ بيده خادمًا له قط، ولا امرأة، ولا ضرب بيده شيئًا قط، إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولا خير بين شئنين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما حتى يكون إثمًا، فإذا كان أبعد الناس من الإثم، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه إلا أن تنتهك حرمت الله، فيكون هو ينتقم لله ﷻ.



وَيَعْلَمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ ﴿البقرة: الآية ١٥١﴾.

وكذلك فانظر إلى توقير صحابة رسول الله □ لرسولهم الكريم، يصف هذا التوقير رجل كان عند وصفه كافرًا ألا وهو عروة بن مسعود الثقفي الذي أرسل من قبل قومه ناصحًا لهم ومشيرًا عليهم، فانظر إلى كلماته بعد أن رجع من عند رسول الله □ ، وهو ينقل لقومه خبير ما رأى، ففي «الصحیح»^(١) أنه (رأى عروة بن مسعود الثقفي)، قال لأصحابه: أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت مليكًا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدًا، والله إن تتخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيمًا له».

ومن صور الإكرام والإجلال والتقدير النهي عن التقدم بين يديه ورفع الصوت فوق صوته فالتقدم بين يديه ورفع الصوت فوق صوته صلوات الله وسلامه عليه بإحباط الأعمال وذهاب ثوابها.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَانفُوا لِلَّهِ سَمِعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾ [الحجرات: الآيتان ١، ٢].

لقد أرشدت هذه الآيات إلى أدب نتأدب به مع نبيينا □.

أدب مع رسول الله □: فلا نتقدم بين يديه بأمر، ولا نرفع شيئًا فوق سنننه، ولا نرفع صوتًا فوق صوته، ولا نقدم شرعًا على شرعه صلوات الله وسلامه عليه.

أدب مع رسول الله □ في ندائه كما قال ربنا: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ [الحجرات: الآية ٢].

أدب مع رسول الله □ استفيد من قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ [الحجرات: الآية ٧] فيلزمنا ذلك بأن ننتهم آراءنا دائمًا، ونقدم قول رسولنا محمد □ في كل وقت وحين فهو صلوات الله وسلامه عليه بالمؤمنين رءوف رحيم.

أدب مع رسول الله □ في ترك المن عليه بإسلامنا، بل يجب علينا أن ننثني عليه

(١) البخاري (حديث ٢٧٣١، ٢٧٣٢).

ونصلي عليه ونسأل ربنا له أعلى الدرجات وأفضل المقامات؛ إذ جعله الله سبباً في هدايتنا صلوات الله وسلامه عليه.

أما عن معنى الآية الكريمة: (لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) **[الْخُجَرَات: الآية ١]** فلآية الكريمة جملة معان:

الأول: لا تعجلوا بقضاء أمر من الأمور قبل أن يقضي الله لكم فيه ورسوله.

الثاني: لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة.

الثالث: لا تتقدموا بقول أو فعل ولا تعجلوا به حتى تعلموا قول الله وقول رسول الله

.□

الرابع: لا تقدموا رأياً حتى تطلعوا على الكتاب والسنة وتعلموا هل فيهما شيء بخصوص الأمر الذي تريدونه أم لا؟

لقد نزلت هذه الآية الكريمة في الشيخين الكريمين الجليلين المبشرين بالجنة صاحبي رسول الله □ أبي بكر وعمر **رضي الله عنهما**، وليس في سبب النزول أنهما خالفا رسول الله □ ولا أنهما عصيا أمره، وإنما تناقشا فيما بينهما بأمرٍ وأشار كل واحد منهما بأمرٍ واختلفا وارتفعت أصواتهما في حضور النبي □ والنبي □ لم يتكلم ففيهما نزل ما نزل.

أخرج البخاري ^(١) من حديث عبد الله بن الزبير **رضي الله عنه** قال: «قَدِمَ رَكْبٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ عَلَى النَّبِيِّ □ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَمْرُ الْقَعْقَاعِ بْنِ مَعْبُدِ بْنِ زُرَّارَةَ، فَقَالَ عُمَرُ بَلْ أَمْرُ الْأَفْرَعِ بْنِ حَابِسٍ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا أَرَدْتُ إِلَّا خِلَافِي قَالَ عُمَرُ: مَا أَرَدْتُ خِلَافَكَ فَتَمَارِي حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا، فَنَزَلَ فِي ذَلِكَ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) **[الْخُجَرَات: الآية ١]** حَتَّى انْقَضَتْ».

وأخرج البخاري ^(٢) أيضاً من طريق ابن أبي مليكة ^(٣) قال: «كَادَ الْخَيْرَانُ أَنْ

يَهْلِكَا

(١) البخاري (حديث ٤٣٦٧).

(٢) البخاري (٧٣٠٢).

(٣) وهذا صورته المرسل، وقد ورد عند الترمذي (٣٢٦٦) من طريق مؤمل بن إسماعيل: حدثنا نافع بن عمر ابن جميل الجمحي، حدثني ابن أبي مليكة، حدثني عبد الله بن الزبير.. فصرح ابن أبي مليكة بتحديث ابن الزبير له فاتصل السند بذلك، لكن مؤمل في حفظه شيء إلا أن الحديث تشهد له الرواية الأولى التي قدمناها - والله أعلم.



رسولنا □ وبين بعض ما له علينا من الحق



أَبُو بَكْرٍ وَعَمْرٌ ^{رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا} لَمَّا قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ □ وَقَدْ بَنَى تَمِيمٌ أَسَارَ أَحَدَهُمَا بِالْأَفْرَعِ بْنِ حَابِسِ النَّمِيمِيِّ الْحَنْظَلِيِّ أَخِي بَنِي مُجَاشِعٍ، وَأَسَارَ الْآخَرَ بَعِيرَهُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعَمْرٍ: إِنَّمَا أَرَدْتُ خِلاَفِي، فَقَالَ عَمْرٌ: مَا أَرَدْتُ خِلاَفَكَ فَارْتَقَعْتَ أَصْوَاتَهُمَا عِنْدَ النَّبِيِّ □ فَنَزَلَتْ: (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ) **[الحجرات: الآية ٢]** إِلَى قَوْلِهِ (عَظِيمٌ) **[الحجرات: الآية ٣]**.

قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: فَكَانَ عَمْرٌ بَعْدُ وَلَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ عَنْ أَبِيهِ يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ إِذَا حَدَّثَ النَّبِيُّ □ بِحَدِيثِ حَدَّثَهُ كَأَخِي السَّرَّارِ، لَمْ يُسْمِعْهُ حَتَّى يَسْتَفْهَمَهُ». وكما أن الرسل أرسلت لتطاع كما قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ) **[النساء: الآية ٦٤]** فكذلك أمرنا بطاعة هذا النبي الكريم صلوات ربي وسلامه عليه. قال الله تبارك وتعالى: (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ) **[الأنفال: ٢٠، ٢١]**.

ومن شأن أهل الإيمان إذا دعوا إلى الله ورسوله أن يقولوا سمعنا وأطعنا. قال تعالى: (إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾) **[التور: الآية ٥١]**.

قال تعالى: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ) **[الأحزاب: الآية ٣٦]**.

ثم فليعلم أن طاعة هذا النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه من طاعة الله عز وجل. قال تعالى: (مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا) **[النساء: الآية ٨٠]**.

وطاعته سبب الهداية والفلاح:

قال تعالى: (وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا) **[التور: الآية ٥٤]**.

وفي طاعته حياة القلوب.

قال تعالى: (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) **[الأنفال: ٢٤]**.

وطاعته سبب للرحمة.

قال تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ) **[التوبة: الآية ٧١]**.

وطاعته سبب لدخول الجنة:

قال تعالى: (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾) [النساء: الآية ١٣].
وفي «الصحيح» أن النبي ﷺ قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي» قالوا:
يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى».

إن طاعته سبب الفوز العظيم:

قال تعالى: (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾) [الأحزاب: الآية ٧١].
أما اتباعه ﷺ ففيه كل خير، وكل فضل وكل بركة فنحظى بمحبة ربنا باتباعنا
رسوله ﷺ، وتغفر لنا ذنوبنا.

قال تعالى: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) [آل عمران: الآية ٣١].
وصدق أهل العلم الذين قالوا: إن هذه الآية حكمة على من ادعى محبة الله ﷻ
فلا يتصور أن شخصاً يحب الله ﷻ ثم هو يعصي النبي ﷺ ويخالف أمره.
إن الذين يؤذون هذا النبي الكريم ويطعنون فيه مرتكبون كبيرة من أعظم الكبائر
بل هم كفار ملعونون.

قال تعالى: (وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ
كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾) [الأحزاب: الآية ٥٣].
ولقد قال الله تبارك وتعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ
عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٧﴾) [الأحزاب: الآية ٥٧].

وقال تعالى: (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ
وَتُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾) [النساء: الآية ١١٥].

إن الذلة والصغار يلازمان من خالف أمر رسول الله ﷺ.

قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾) [المجادلة: الآية ٢٠].
وقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كَثُرُوا كَمَا كَثُرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) [المجادلة: الآية ٥].
إن عصيان هذا النبي الكريم ومخالفة أمره مؤذن بالعذاب الأليم.
قال تعالى: (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [النور: ٦٣].
جنبنا الله وإياكم العذاب ووقانا وإياكم الجحيم.
ألا فاستغفروا ربكم إنه كان غفاراً.



الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فهذا رسولنا قد تقدمت بعض مناقبه وبعض فضائله، وبيان بعض ماله علينا من الحق، وبيان أثر سنته في فهم القرآن وسائر الأحكام، ثم هذا مزيد بيان لحق خير الأنام □ ، فنقول وبالله التوفيق:

* ابتداءً فحق الله علينا أن نشكره على ما امتن علينا به من بعثة النبي □ فينا وإلينا، فله الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، لله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

* وصلوات الله وسلامه على نبي الله إبراهيم إذ دعا لنا فاستجاب الله دعاءه، لقد قال الخليل عليه السلام (رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (البقرة: الآية ١٢٩).

فجزى الله خليل الرحمن خيراً على دعوته، الحمد لله رب العالمين.
أما حق هذا النبي □ فلن نستطيع حصره والإتيان عليه فصلوات ربي وسلامه عليه، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله، فنقول وبالله التوفيق:

* إن من حق هذا النبي الكريم علينا أن نؤمن به ونرضى به نبياً ورسولاً.
* إن من حق هذا النبي علينا أن نتبعه حق الاتباع ونأسي به حق التأسى ونقتدي به حق الاقتداء امتثالاً لأمر الله تبارك وتعالى إذ قد أمرنا بطاعته وحثنا على التأسى به، كما تقدم.

* من حقه علينا أن ندافع عن سنته ونكون أنصاراً له ولدينه وسنته وشريعته فديننا وشرعنا شرعه، رضيينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً.

* من حقه علينا أن نحمل عنه ما علمناه ونبلغه للناس إذ النبي □ قد قال: «بلغوا عني ولو آية»^(١).

وقال: «نضر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها ثم أداها كما سمعها»^(٢).

* من حق الرسول □ علينا أن نقدم محبته على محبة أهلينا وأبنائنا وبناتنا وآبائنا وأمهاتنا، بل على محبة أنفسنا.

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٤٦١).

(٢) صحيح متواتر.

أخرج البخاري من حديث عبد الله بن هشام قال: كنا مع النبي ﷺ وهو أخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر: يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ: «لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك» فقال له عمر، فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي فقال النبي ﷺ: «الآن يا عمر»^(١).

* ومن حق سنته علينا أن نحبيها بعد أن أماتها أقوام وازرعها بعد أن وضعها أقوام، ونجلها ونوقرها ونزلها منزلتها اللائقة بها.

إننا أيها الأخوة نفخر بكوننا من أمة محمد ﷺ ونفخر بأننا -والله الحمد- من حملة سنته.

إن آراءنا وأقوالنا إذا اختلفت مع قول رسول الله ﷺ لا يسعنا إلا أن نقدم قول الرسول على أقوالنا ورأي الرسول على آراءنا، فاختياره لنا خير من اختيارنا لأنفسنا، ويكفي ما تقدم ذكره من كتاب الله ﷻ: «إذ قال في نبيه ﷺ: (حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) (التوبة: الآية ١٢٨)».

ولنعلم أن اختياره لنا خير من اختيارنا لأنفسنا.

قال تعالى: (وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ) (الحجرات: الآية ٧).

أي: نزلت به المشقة ولحل بكم العنت.

ومن حق هذا النبي الكريم علينا أن نمثل أمره بعدم الغلو فيه، إذ قد قال ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإما أنا عبده ورسوله»^(٢).

فهو صلوات ربي وسلامه عليه بشر كسائر البشر كما قال الله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ) (الكهف: الآية ١١٠).

وكما قال ﷺ: «إنما أنا بشر مثلكم أعضب كما يغضب البشر». وقال أيضاً: «وأنسى كما ينسى البشر».

فلا يجوز لنا أن ننزله منزلة الرب سبحانه وتعالى، فنديننا محمد ﷺ عبداً مطيعاً له ثم إنه رسول الله ﷺ.

قال تعالى: (فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ) (النجم: الآية ١٠).

وقال تعالى: (وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا) (البقرة: الآية ٢٣).

(١) البخاري (حديث ٦٦٣٢).

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٣٤٤٥).



فرسولنا عبد الله كسائر عبيد الله، إذ الله قال: (إِنْ كُنْ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ

عَبْدًا ﴿١٣﴾ [مريم: الآية ١٣]

إننا كمسلمين والله الحمد، يختلف موقفنا من نبينا □ عن موقف الكفار منه.
إننا نقر لهذا الرسول □ بالرسالة ونفتخر بذلك ونسأل الله الثبات على ذلك.
ومن ثم فنحن نعتقد صحة كل ما فعله نبينا □.

فكل ما فعله صحيح ونتهم آراءنا، وندفع في وجه خصومنا بكل قوة.
فجوابنا الأصيل على كل ما يثار حول هذا الرسول الكريم من شبهات يطرحها
أهل الباطل أن نقول إنه رسول الله ولن يعصي ربه **عَزَّوَجَلَّ** ، كما قال الصديق أبو بكر
الصديق **رضي الله عنه** .

فهذا جوابنا الأصيل وإن كانت ثم أجوبة أخرى تُلمس فرضينا بالله ربًا وبالإسلام
دينًا وبمحمد رسولًا.

ومن حقه علينا صلوات الله وسلامه عليه أن نوقره عند ذكره فلا نذكر باسمه
المجرد بل نذكره بكل جميل، نذكره بقولنا رسول الله □ ، نذكره بنبي الله □ .

نذكره بسيد ولد آدم، نذكره بخاتم النبيين □ إلى غير ذلك من جميل الألفاظ، إذ
الله قال: (لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا) [التور: الآية ٦٣].

ومن حق هذا النبي الكريم علينا أن نكثر من الصلاة والسلام عليه امتثالًا لأمر الله
عَزَّوَجَلَّ: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) [الأحزاب: الآية

[٥٦]

ويتأكد حقه في الصلاة عليه عند ذكره صلوات الله وسلامه عليه.
ومن حقه علينا أن نسأل الله له الوسيلة والفضيلة.
ومن حقه علينا أن نذب عنه وندافع عن سنته فحقه علينا أعظم من حق والدينا،
ومن تمام الإيمان أن نقدم محبتنا له على محبتنا لأنفسنا.
الدعاء...

m

أثر السنة في فهم القرآن الكريم

أما بعد: لقد امتن الله على نبينا محمد ﷺ بهدي هو خير الهدى وأكمله وأجمله وأحسنه وصدق النبي ﷺ فقد كان يقول إذا خطب: «وخير الهدى هدي محمد ﷺ»^(١). وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: «إن أحسن الحديث كتاب الله وأحسن الهدى هدي محمد ﷺ»^(٢) وشر الأمور محدثاتها، وإن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين». حث رسول الله ﷺ على اتباع سنته وبين أنها من أعظم المخارج من الفتن وحذر من محدثات الأمور.

فقال ﷺ في موعظته البليغة التي ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»^(٣). وقال ﷺ في الحديث المتفق عليه: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد»^(٤).

وفي رواية لمسلم^(٥): «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد». ألا فاعلموا - بارك الله فيكم - أن قول رسول الله ﷺ وحي يوحى. قال تعالى: (وَمَا يَطُوقُ عَنِ الْمُؤَيَّاتِ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْوَاحِيُّ يُوحَىٰ ۚ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥) [النجم: الآية ٣-٥]. ولقد قال ﷺ محذراً من الذين يقولون نقتصر على القرآن ونترك سنة خير الأنام ﷺ: «ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه وإن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله».

(١) أخرجه مسلم (حديث ٨٦٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) البخاري (أثر ٧٢٧٧).

(٣) صحيح بشواهده: وقد أخرجه أبو داود (٤٦٠٧).

(٤) البخاري (حديث ٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨).

(٥) مسلم «عقب الحديث السابق».



وقد قال □ : «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه»^(١)
 وعند أبي داود بسند صحيح^(٢) من طريق سفيان عن أبي النضر عن عبيد الله بن
 أبي رافع عن أبيه عن النبي □ قال: «لَا أَلْفِينُ أَحَدَكُمْ مُتَكِنًا عَلَى أُرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ
 أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ لَا تُدْرِي مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعْنَاهُ».
 وقال □ : «من رغب عن سنتي فليس مني»^(٣)

ولقد أمر الله سبحانه وتعالى بالتأسي بهذا النبي الكريم، إذ قال سبحانه: (لَقَدْ كَانَ
 لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) [الأحزاب: الآية ٢١]
فخير أسوة لنا هو نبينا محمد □ .

نتأسى به في أقواله كما نتأسى به في أفعاله.
 نتأسى به في هديه ودله وقصده، كما نتأسى به في عموم سيره وسلوكه!!
 نتأسى به في كلمه كما نتأسى به في سكونه!!
 إن سنة رسول الله □ خير السنة، وهديه أكمل الهدى، وسيرته خير السير!
 إن سنة رسول الله تبيين ما أجمل وتوضح ما أشكل من كتاب الله ﷻ .
 إنها أحياناً تقيد المطلق، وتخصص العام.
 إنها تستثني أموراً، وتضيف أموراً آخر.

ولقد قال الله سبحانه وتعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُونَ

[التحل: الآية ٤٤] (٤٤)

قال القرطبي رحمه الله في تفسير هذه الآية: فالرسول □ مبين عن الله ﷻ مراد
 ما أجمله في كتابه من أحكام الصلاة والزكاة وغير ذلك مما لم يفصله.
 وأسوق ها هنا بعون الله أمثلة دالة على أهمية السنة لفهم كتاب الله ﷻ وكيف
 أنها تضيف أموراً وتستثني أموراً آخر، وتوضح المشكل وتزيل الالتباس.
فنقول وبالله التوفيق: إن سنة رسول الله □ توضح ما أجمل في كل الأبواب.

ففي باب قضاء الحاجة كيف نقضي حاجتنا هل نستقبل القبلة أم لا؟ وكيف
 نستجمر، وكوننا نستتر عند قضائها، والتحذير من ارتداد البول إلى غير ذلك، كله

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٦٠٤) والترمذي (٢٦٦٤) والزيادة عند الترمذي.

(٢) أبو داود (حديث ٤٦٠٥) وإسناده صحيح. وقد رواه سفيان عن ابن المنكر مرسلًا كما عند الترمذي.

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٦٣) ومسلم (حديث ١٠٤١).

بينته سنة رسول الله ﷺ .

وكذا الوضوء الذي أمرنا به عند القيام للصلاة.

هل نتوضأ عن كل قيام لكل صلاة؟ أم نتوضأ إذا قمنا إلى الصلاة ونحن على غير وضوء؟

وهل تسبق الوضوء نية؟ وهل فيه تسمية والمضمضة والاستنشاق ليس لهما ذكر في كتاب الله فهل نمضمض ونستنشق وما الذكر عقب الوضوء؟ وما نواقض هذا الوضوء؟

وكذا توابع الوضوء من المسح على الخفين والمسح على الجورب وتوقيت ذلك المسح فكل ذلك مفصل في سنة رسول الله ﷺ .

وكذا الغسل الذي أمرنا به في مواطن كيف تغتسل؟

ومن أي شيء تغتسل؟ جل ذلك مبين بسنة رسول الله ﷺ .

وكذا الأذان الذي ينادى به للصلوات كيف الأذان؟

وما وقته؟ وما ألفاظه وأحكامه وفضائله وآدابه؟

كل ذلك مبين بسنة رسول الله ﷺ .

وكذا الصلاة فقد أمرنا الله ﷻ **بِقَوْلِهِ** **أَمْرًا عَامًّا** بالصلاة، إذ قال: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ) (البقرة: الآية ٤٣).

وقال سبحانه: (اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ) **العنكبوت: الآية ٤٥**.

لكن كيف نصلي؟ وبم نفتتح الصلاة وبم نقرأ وكيف نركع؟ وماذا نقول في الركوع؟ وماذا نقول في السجود؟ وكم سجدة في كل ركعة؟ وكيف نتشهد؟ وكيف نخرج من الصلاة.

الظهر كم ركعة والعصر كم ركعة، وكذا المغرب والعشاء والصبح؟!! لقد قال ﷺ: «صلوا كما رأيتموني أصلي».

وكذا قال تعالى: (إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ) **الجمعة: الآية ٩**.

فكيف نصلي الجمعة، وكيف الخطبة، وعلى من تجب، وعلى من لا تجب؟ وكذا كل ما يتعلق بالجمعة.

فصفة صلاة الجمعة بينتها سنة رسول الله ﷺ وعموم ما يتعلق بالجمعة بينته سنة رسول الله ﷺ .



* وصفة صلاة العيدين بينها سنة رسول الله ﷺ .

* وصفة صلاة الاستسقاء بينها سنة رسول الله ﷺ .

* وصفة صلاة الكسوف بينها سنة رسول الله ﷺ .

والجنائز وما ورد فيها من أحكام بينها السنة المباركة فغسل الميت لم يرد صريحاً في كتاب الله ومن ثم كيف يغتسل؟ وكذا كيفية الصلاة على الجنازة وكيفية الكفن وكيفية الدفن، وفضل الدعاء للميت، وكيفية الصفوف في الصلاة على الجنازة.

وكذا النهي عن النياحة ولطم الخدود وشق الجيوب والنهي عن الدعاء بدعوى الجاهلية كل ذلك بينته سنة رسول الله ﷺ .

وكذا أمر الزكاة، كيف نزكي؟ وكم نزكي، وما مقدار النصاب؟

وما وقت الزكاة، وممن تؤخذ، وأين تصرف؟

كل ذلك مجمل في كتاب الله مفصلاً في سنة رسول الله ﷺ .

وكذا الصيام، ما المحفوظ علينا فيه، وما المباح لنا؟

وصوم أيام معلومة غير الفريضة لم يرد ذكر صريح في كتاب الله ﷺ لكن بينت ذلك السنة.

كصوم يوم عاشوراء، وصوم يوم عرفة، كذا صوم الاثنين والخميس والثلاثة البيض من كل شهر.

فضل كل ذلك مبين في السنة.

وكذا النهي عن صوم يوم النحر، وأيام التشريق ويوم الفطر وإفراد الجمعة بالصوم.

وكذا الحج، فقد أجمل ذكره في كتاب الله ﷺ وفصلته سنة رسول الله ﷺ .

تفصيلاً فلم يُبين في كتاب الله مواقيت الحج المكانية ولا الأمانية وبينت في سنة رسول الله ﷺ .

ولم يذكر تفصيلاً أقسام الحج «الإفراد والقرآن والتمتع» وذكر ذلك في السنة.

ولم يذكر في كتاب الله ما يلبسه المحرم وما لا يلبسه، وذكر ذلك في السنة.

وكذا الحائض ماذا تصنع في حجها وعمرتها؟ وبين ذلك في السنة،

وكيف الطواف؟ ومن أين نبدأ؟ وإلى أين ننتهي؟

وكم شوط تطوف، وكم شوط نسعى بين الصفا والمروة.

والجمع بين الصلوات بعرفات ومزدلفة والصلاة بمزدلفة ورمي الجمار وطواف

الوداع وغير ذلك من التفاصيل، كل ذلك مبين بسنة رسول الله ﷺ .
وكذا البيوع ما يحل منها وما يحرم.
وبيع الغرر والملازمة والمنازعة والنجش، وبيع الثمر قبل بدو الصلاح والغرر في
البيوع وبيع التصاوير وتحريم التجارة في الخمر وبيع الميتة والأصنام وثن الكلاب
فأحكام ذلك كله مبينة في سنة رسول الله ﷺ .
وكذا أنواع الربا كربا الفضل وربا النسيئة كل ذلك أوضحته سنة رسول الله ﷺ .
وكذا الوكالة في البيوع وفي غيرها كل ذلك بينته السنة.
والديون وأحكامها والمزارعة والحرث والشرب والمساقاة وأحكام الصلح وأحكام
اللقطة وأحكام الوقف والوصايا.
وكذا الجهاد وأحكامه والغنائم وقسمتها والأسرى وما يتعلق بهم وأنواع التحالفات
والعهود والجزية والموادعة، كل ذلك مبين بسنة رسول الله ﷺ .
وكذا الصحابة وفضائلهم والمغازي والسير كل ذلك مبين في السنة.
وكذا أبواب النكاح والطلاق والخلع والنشوز والخطبة، وما يتعلق بذلك فتفصيلاته
أوضحته سنة رسول الله ﷺ .
والمحرمات من الرضاع من النسب كل ذلك موضح بالسنة والمعاشرة الزوجية
بتفصيلاته وحق الزوجة على زوجها والزوج على زوجته.
والعدد والإحداد والإيلاء والهجران، كل ذلك بينت أحكامه بالسنة المباركة.
والأطعمة والأشربة وما يتعلق بها من أحكام وكذا الذبائح والصيد، والأضاحي
والعقائق كل ذلك وضحت أحكامه بالسنة المباركة الميمونة.
وكذا أحكام المرض والرقى والتعاويذ وأحكام اللباس وأبواب الأدب والسلام
والاستئذان والشفاعات والهدايا والرشوة، كل ذلك مبين بسنة رسول الله ﷺ .
وكذا صنع الأذكار والدعوات، والمستحب والمكروه والمحرم والواجب، وكذا
التعاويذ والحروز كل ذلك مبين بالسنة.
والتفصيلات في أبواب الأيمان والنذور والكفارات، كل ذلك أوضحته السنة.
والمواريث والديات والحدود والقصاص والأحكام والغصب والإكراه والحيل، كل
ذلك أوضحته السنة وبينت المحظور والجائز.
وتم مثال من أبواب الحدود: ألا وهو قول الله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا



أَيَّدِيَهُمَا ﴿ المائدة: الآية ٣٨ ﴾.

فمن أين تقطع اليد؟ وفي كم تقطع اليد
إن اليد تقطع في ربع دينار فصاعداً^(١) كما ورد عن رسول الله ﷺ .
وأبواب الفتن وأشراط الساعة، وأبواب التوحيد وما يتعلق به كل ذلك أوضحته
السنة المباركة الميمونة.

ففي الجملة نقول إن سنة رسول الله ﷺ توضح ما أجمل في الكتاب العزيز وتبينه
بيانياً شافياً وتفصله تفصيلاً.

فصلوات ربي وسلامه على نبيه وآله وصحبه والتابعين بإحسان.
فكيف يتسنى لشخص بعد هذا البيان أن يهجر سنة نبيه ﷺ أو يتخلى عنها أو يزهد
الناس فيها؟! إنه لا يتجاسر على ذلك إلا زنديق يريد الانفصام من الدين والتخلي عنه
والطعن فيه.

وكما أن سنة رسول الله ﷺ تبين ما أجمل من أي الكتاب العزيز فإنها أيضاً أصل
من أعظم الأصول لتفسير آياته.

فكتاب الله يفسر بعضه بعضاً، وكذا تفسره سنة رسول الله ﷺ.

وهاهي آيات فسرها رسول الله ﷺ .

قد ورد عن رسول الله ﷺ في تفسير المغضوب عليهم بأنهم اليهود والضالين بأنهم
النصارى^(٢) .

فقد ورد ذلك في حديث يحسن على أقل الأحوال بمجموع طرقه كما يصح لشواهد
أخرجه أحمد^(٣) والترمذي^(٤) وغيرهما^(٥) .

وكذلك توضيح الفدية التي هي من صيام أو صدقة أو نسك فالصيام هنا لم يبين
قدره، ولكن أوضحت السنة أنه صيام ثلاثة أيام، وكذا الصدقة فهي إطعام ستة

(١) أخرجه البخاري (٦٧٨٩) و(٦٧٩٠)

(٢) مع أن الكفار عموماً مغضوب عليهم وضالون، ولكن اليهود اختصوا بمزيد من الغضب والنصارى
وصفوا بالضلال.

(٣) أحمد في «المسند» (٤/ ٣٧٨-٣٧٩).

(٤) الترمذي (٢٩٥٤).

(٥) انظر سنن سعيد بن منصور (١٧٩) تفسير الطبري وغيرهما.

مساكين، والنسك ذبح شاة. (١) أخرج البخاري ومسلم من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: وقف عليّ رسول الله ﷺ بالحدّ يبيّة ورأسي يتهافتُ فمأ فقال: «يؤذيك هوأمك؟» قلتُ: نعم قال: «فاحلق رأسك» أو قال: «احلق» قال: في نزلت هذه الآية (فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه) [البقرة: الآية ١٩٦] إلى آخرها فقال النبي ﷺ: «صُم ثلاثة أيام أو تصدق بقرق بين سنّة أو انسك بما تيسر».

وكذلك تفسير اعتزال النساء أثناء المحيض هل هو اعتزال كل شيء منها، بل واعتزالها مطلقاً أم أنه قد استثنيت من ذلك أمور.

أوضحت سنة رسول الله ﷺ المراد بالاعتزال فقد أخرج مسلم في «صحيحه» (٢) من حديث أنس رضي الله عنه أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوا وهن في البيوت (٣) فسأل أصحاب النبي ﷺ فأنزل الله تعالى: (وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أذى فَأَعَزُّوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ) [البقرة: الآية ٢٢٢] (٤) إلى آخر الآية فقال رسول الله ﷺ: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح» فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا، فيه فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا: يا رسول الله! إن اليهود تقول كذا وكذا فلما نجما عنهن؟ فتغير وجه رسول الله ﷺ حتى ظننا أن قد وجد عليهما رضي الله عنهما (٥) فخرجا فاستقبلهما هديّة من لبن إلى النبي ﷺ فأرسل في آثارهما فسقاهما فعرقا أن لم يجد عليهما» (٦).

وكذا توضيح مفاتيح الغيب في قوله تعالى: (﴿عِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾) [الأنعام: الآية ٥٩] فقد بين النبي ﷺ المراد بها، وذلك فيما أخرجه البخاري في «صحيحه» (٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «مفاتيح الغيب

(١) البخاري (حديث ١٨١٤) ومسلم (١٢٠١).

(٢) مسلم (حديث ٣٠٢).

(٣) «ولم يجامعوهن في البيوت» أي لم يخالطوهن ولم يساكنوهن في بيت واحد.

(٤) «المحيض» المحيض الأول المراد به الدم. والثاني: قد اختلف فيه: قيل: إنه الحيض ونفس الدم. وقال

بعض العلماء: هو الفرج وقال الآخرون: هو زمن الحيض.

(٥) «قد وجد عليهما» أي غضب عليهما. ولم يجد عليهما أي لم يغضب.

(٦) «قد وجد عليهما» أي غضب عليهما. ولم يجد عليهما أي لم يغضب.

(٧) البخاري (حديث ٤٦٢٧).



خَمْسٌ ثُمَّ قرأَ إِنَّ اللّٰهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ
مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللّٰهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ».

وكذلك الآية التي إذا أنت لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في
إيمانها خيراً أوضحتها سنة رسول الله ﷺ .

أخرج البخاري ومسلم (١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :
«لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورأها الناس آمنوا أجمعون،
وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها» ثم قرأ الآية.

وعند مسلم (٢) من حديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال يوماً: «أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ
هَذِهِ الشَّمْسُ؟» قالوا: اللّٰهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا
تَحْتَ العَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ،
فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي لَّا يَسْتَكْبِرُ النَّاسُ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى
مُسْتَقَرِّهَا ذَاكَ تَحْتَ العَرْشِ فَيُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي اصْبِحِي طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكِ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ
مَغْرِبِهَا» فَقَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ : «أَتَدْرُونَ مَتَى ذَاكُمْ؟ ذَاكَ حِينَ (لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَكُنَّ ءَامَنَتْ مِنْ
قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا) [الأنعام: ١٥٨]».

وكذلك فسر النبي ﷺ الأشهر الحرم المذكورة في قوله تعالى: (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ
اللّٰهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللّٰهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ) [التوبة: الآية ٣٦].
أوضحها النبي ﷺ فيما أخرجه البخاري ومسلم (٣) من حديث أبي بكر رضي الله عنه عن
عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللّٰهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ. السَّنَةُ
اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلَاثٌ مَثَوَالِيَاتٌ ذُو القَعْدَةِ وَذُو الحِجَّةِ وَالْمَحْرَمِ وَرَجَبُ
مُضَرَ؟ (٤) الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ».

وكذا في تفسير التثنية بالقول الثابت في قوله تعالى: (يُثَبِّتُ اللّٰهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ
الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ) [إبراهيم: الآية ٢٧] (٥).

(١) البخاري (حديث ٤٦٣٦) ومسلم (١٥٧) .

(٢) مسلم (حديث ١٥٩) .

(٣) البخاري (حديث ٤٦٦٢) ومسلم (حديث ١٦٧٩) .

(٤) أي شهر رجب المعروف، وقد كانت قبيلة مُضَرَ تعظمه وتعتقد حرمة ولا تؤخره ولا تقدمه.

(٥) وإن كان التثنية بالقول الثابت يدخل فيه أيضاً أكثر من ذلك.

فقد فسر التثبيت هنا بتوفيق المؤمن للنطق بالشهادتين عند سؤال الملكين له في القبر أخرج البخاري ^(١) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «المُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فُذِّكَ قَوْلُهُ: (يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) [إبراهيم: الآية ٢٧]». وكذلك تفسير السبع المثاني بالفاتحة. وذلك فيما أخرجه ^(٢) البخاري في «صحيحه» من حديث أبي سعيد بن المعلى قال رسول الله ﷺ: «الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته».

وأخرج البخاري ^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم».

وكذا أيضاً المراد بقوله تعالى: (إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا) [الإسراء: الآية ٧٨] بأن ملائكة الليل والنهار يشهدونه. ^(٤) وذلك فيما أخرجه الترمذي من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قوله: (إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا) ^(٥) [الإسراء: الآية ٧٨] قال: «تشهده ملائكة الليل والنهار». وهذا سند صحيح.

وكذلك فسر النبي ﷺ مستقر الشمس في قوله تعالى: (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) ^(٦) [يس: الآية ٣٨] بأنها مستقرها تحت العرش.

أخرج البخاري ومسلم ^(٧) في صحيحيهما من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن قول الله: (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا) [يس: الآية ٣٨] قال: «مستقرها تحت العرش».

وقد ورد في الصحيحين ^(٧) بلفظ آخر، فأخرج البخاري ومسلم من طريق إبراهيم

(١) البخاري (حديث ٤٦٩٩).

(٢) البخاري (حديث ٤٧٠٣).

(٣) البخاري (حديث ٤٧٠٤).

(٤) الترمذي (حديث ٣١٣٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٥) وقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «فضل صلاة الجمع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة وتجتمع ملائكة الليل والنهار في صلاة الصبح» يقول أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم قرآن الفجر كان مشهوداً.

(٦) البخاري (٤٨٠٣) ومسلم في طرق حديث (١٥٩).

(٧) البخاري (حديث ٧٤٢٤) ومسلم في طرق حديث (١٥٩).



التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال: «دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ فَلَمَّا غَرَبَتْ الشَّمْسُ قَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ! هَلْ تَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ؟ قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: فَإِنَّهَا تَذْهَبُ تَسْتَأْذِنُ فِي السُّجُودِ، فَيُؤْذَنُ لَهَا، وَكَأَنَّهَا قَدْ قِيلَ لَهَا ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلَعُ مِنْ مَعْرِبِهَا».

ثم قرأ: «ذَلِكَ مُسْتَقَرٌّ لَهَا» في قراءة عبد الله.

وكذلك بيان كيفية شهادة الأركان على الإنسان يوم القيامة وذلك في قوله تعالى: (حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءَهُمْ شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾) [فصلت: الآية ٢٠] قد فسر النبي ﷺ ذلك.

إذ قد أخرج مسلم ^(١) في «صحيحه» من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَضَحِكَ فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟» قَالَ: قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبِّهِ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجْرِنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَأُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي قَالَ: فَيَقُولُ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا، قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَيْهِ فِيهِ فَيُقَالُ لِرُكَّانِهِ ^(٢) انْطِقِي قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ، قَالَ: فَيَقُولُ بَعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أَنَاضِلُ ^(٣)».

كذلك في تفسير الغيبة في قوله تعالى: (وَلَا يَنْبَغُ بِمَعْضُكُم بَعْضًا) [الحجرات: الآية ١٢].

فقد أخرج مسلم في «صحيحه» ^(٤) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أَتَدْرُونَ مَا الْغَيْبَةُ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «ذِكْرُكَ لِحَاكٍ بِمَا يَكْرَهُ» قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اِعْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهْتَهُ» ^(٥).

وكذا السنة في بيان معاني بعض الكلمات كالوارد عن رسول الله ﷺ في تفسير الصور بأنه: «قرن ينفخ فيه».

(١) مسلم (حديث ٢٩٦٩).

(٢) الأركان هي الجوارح «يد رجل... نحو ذلك».

(٣) أناضل أي أذاع وأجادل.

(٤) مسلم (حديث ٢٥٨٩).

(٥) البهتان: الباطل.

أخرج الترمذي ^(١) بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: ما الصور؟ قال: «قرنٌ ينفخ فيه».

وقد فسر النبي ﷺ الكوثر بأنه: «نهر في الجنة أعطاه الله إياه» ^(٢).
ففي الحديث الذي أخرجه مسلم من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما الكوثر؟» فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه نهر وعدنيه ربي ﷺ عليه خير كثير، وهو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة أنيته عدد النجوم» الحديث ^(٣).

إن هناك نصوصاً من كتاب الله ﷻ قد تفهم على غير وجهها فتوضح سنة رسول الله ﷺ المراد منها فالذي أنزل عليه القرآن أعلم بتأويله من غيره بلا شك فعلى سبيل المثال أيضاً قد يفهم قول الله ﷻ: (فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كَيْفَهُ، بِمَيْمِنِهِ، ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾) مع قول النبي ﷺ: «ليس أحدٌ يحاسب إلا هلك».

لقد أوضح رسول الله ﷺ المراد بالحساب اليسير وبين أنه العرض.
فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها ^(٤) قالت: قال رسول الله ﷺ: «ليس أحدٌ يحاسب إلا هلك» قالت: قلت يا رسول الله جعلني الله فداك أليس يقول الله ﷻ: (فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كَيْفَهُ، بِمَيْمِنِهِ، ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾) قال: «ذاك العرض، يُعرضون، ومن نوقش الحساب هلك».

وللعلماء في تفسير العرض أقوال منها: أن المراد بالعرض: عرض الناس على الميزان. ومنها: أن ينظر في أعماله فيغفر له سيئها ويجازى على حسنها.

وأصحها: عرض أعمال العبد عليه بين يدي الله ثم مغفرتها له، ودل على ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم ^(٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: «يُدْنَى الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ ﷻ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ فَيُقَرَّرُهُ بِدُنُوبِهِ فَيَقُولُ هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ أَيْ رَبِّ أَعْرِفُ، قَالَ فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَإِنِّي أَعْرِفُهَا لَكَ الْيَوْمَ فَيُعْطَى صَحِيفَةً

(١) الترمذي (حديث ٢٤٣٠).

(٢) وإن كان من العلماء من فسر الكوثر بالخير الكثير، فالنهر من الخير الكثير الذي أعطاه الله نبيه محمداً ﷺ، وذلك كقوله ﷺ: «الحج عرفة» فالوقوف بعرفات من أعمال الحج بلا شك، بل هو أعظم أعماله، إلا أنه لا ينفي ما عداه من الأعمال.

(٣) أخرجه مسلم (حديث ٤٠٠).

(٤) وأخرجه البخاري (حديث ٤٩٣٩) ومسلم (حديث ٢٨٧٦).

(٥) أخرجه البخاري (حديث ٢٤٤١) ومسلم (حديث ٢٧٦٨).



حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيُنَادِي بِهِمْ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ: هُوَلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ»

وكمثال آخر في هذا الصدد ما فهمه صحابة رسول الله ﷺ من قول الله تعالى: (الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾) [الأنعام: الآية ٨٢] ففهم بعضهم أن الظلم هنا على عمومته ومن ثم سألوا أينما لم يظلم نفسه يا رسول الله فأوضح

لهم رسول الله ﷺ أن المراد بالظلم هنا الشرك (١) من حديث عبد الله (٢) قال: «لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: (الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) [الأنعام: الآية ٨٢] شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَالُوا: أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ هُوَ كَمَا تَظُنُّونَ إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لِقَمَانَ لِابْنِهِ»: (يَبْنَى لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾) [لقمان: الآية ١٣]

وكذا دفع ما قد يرد من اشتباه على البعض من قوله تعالى: (يَتَّخِذَ هَرُونَ) [مريم: الآية ٢٨] وقد كان بين مريم وهارون زمناً طويلاً فقد يقول قائل كيف ومريم ابنة عمران وأخت هارون، وموسى ابن عمران وأخو هارون، وقد كان بينهما مئات السنين فما وجه الجواب؟ فنقول، وبالله التوفيق: إن سنة رسول الله ﷺ دفعت هذا الإشكال وأزالت هذا الغموض.

ففي صحيح مسلم (٣) من حديث المغيرة بن شعبة (رضي الله عنه) قال: «لَمَّا قَدِمْتُ نَجْرَانَ سَأَلُونِي، فَقَالُوا: إِنَّكُمْ تَفْرَعُونَ: يَا أُخْتَ هَارُونَ وَمُوسَى قَبْلَ عَيْسَى بَكْذَا وَكْذَا، فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: «إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْمُونَ بِأَنْبِيَائِهِمْ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ».

وكذلك قوله تعالى: (وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنَّ خَفِيفٌ أَلَيْسَ الَّذِي كَفَرُوا) [النساء: الآية ١٠١].

فظاهر الآية الكريمة يفيد أن القصر فقط يكون عند خوف الفتنة من أهل الكفر. لكن سنة رسول الله ﷺ أوضحت أن القصر لعموم المسافرين.

(١) البخاري (حديث ٣٣٦٠) وفي غير موضع من صحيحه، ومسلم (حديث ١٢٤) واللفظ له.

(٢) عبد الله هو ابن مسعود (رضي الله عنه).

(٣) مسلم (حديث ٢١٣٥).

أخرج مسلم ^(١) في صحيحه من طريق يعلى بن أمية قال: قلت لعمر ابن الخطاب (فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا) [النساء: الآية ١٠١] فقد أمن الناس!!! فقال: عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته».

وعند البخاري ^(٢) من حديث حارثة بن وهب قال: صلى بنا النبي ﷺ آمن ما كان بمنى ركعتين.

كذلك فسنة رسول الله ﷺ تستثنى من الآيات أموراً، وتضيف إليها إضافات فعلى سبيل المثال قول الله تبارك وتعالى: (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) [الأعراف: الآية ٣٢].

بينت سنة رسول الله ﷺ أن هناك ملابس مستثناة وحلياً مستثنى، فقد قال رسول الله ﷺ في شأن الذهب والحريز: «إن هذين حرام على ذكور أمتي حل لإناثها» ^(٣). وكذلك الوارد في نهى المرأة عن لبسة الرجل، ونهى الرجل عن لبسة المرأة، والنهي عن تشبه بعضهم ببعض.

وقوله تعالى: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُ وَحَمُّ الْخَنزِيرِ) [المائدة: الآية ٣]. استثنى من الميتة ميتتان، فهما لنا حلال أو لاهما السمك والجراد، واستثنى من الدماء الكبد والطحال، كما في الأثر عن ابن عمر رضي الله عنهما ^(٤) وكذا أطلت لنا ميتة البحر، لحديث النبي ﷺ: «هو الطهور ماؤه الحل ميتته» ^(٥) وذلك في شأن البحر.

وكذلك قوله تعالى: (قُلْ لَا أَعِدُّ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ) [الأنعام: الآية ١٤٥]. فأضيف إلى هذه المحرمات محرماتٍ آخر وذلك بسنة رسول الله ﷺ فإن النبي ﷺ حرم كل ذي ناب من السباع وكل ذلك مخلب من الطير ^(٦).

(١) مسلم (حديث ٦٨٦).

(٢) البخاري (١٠٨٣).

(٣) صحيح بمجموع طرقه: وقد أخرجه ابن ماجه (٣٥٩٥)، والنسائي ببعض (٥١٤٤) (١٦٠/٨) وأحمد (١١٥/١).

(٤) الطبري بإسناد صحيح موقوفاً على ابن عمر رضي الله عنهما وله حكم المرفوع (أثر ١٢٧٠٠).

(٥) صحيح: أخرجه أبو داود (حديث ٨٣) والترمذي (حديث ٦٩) وغيرهما.

(٦) أخرجه مسلم (١٩٣٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً. وأخرج البخاري (٥٥٣٠) ومسلم (١٩٣٢) من حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه نهى النبي ﷺ عن كل ذي مخلب من السباع.



فحرمت بذلك الكلاب والسباع والصفور والنمور، والعقارب والحيات. وكذا فقد نهى رسول الله ﷺ عن لحوم الحمر الإنسية (١).
وكذا قضى رسول الله ﷺ بالشاهد مع اليمين إضافته إلى قوله تعالى: (وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ) [البقرة: الآية ٢٨٢] ممن ترضون من الشهداء.

ففي صحيح مسلم (٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قضى بيمين وشاهد.
نسأل الله أن يرزقنا وإياكم حب سنة نبي الله ﷺ وحسن اتباعها، ونسأله سبحانه أن يتوب علينا وأن يرحمنا.
ألا فاستغفروا ربكم إنه كان غفاراً.

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وبعد...
فهذه منزلة سنة رسول الله ﷺ مع كتاب الله عز وجل فكيف يزعم شخص أنه قرآني ثم يهجر سنة نبيه ﷺ .
إن هذه الدعوة التي يدعيها أقوام فيزعمون أنهم قرآنيون ثم هم يهجرون سنة نبينا محمد ﷺ أنها دعوة كاذبة في أصلها فالقرآني المتبع للقرآن ملزم بنص القرآن الكريم باتباع هذا النبي الكريم، كما تقدم من قوله تعالى: (وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) [الحشر: ٧].

وكما تقدم من قوله تعالى: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [آل عمران: الآية ٣١].
ثم فضلاً عن أنها دعوة كاذبة فهي أيضاً ستارٌ للإفساد من الدين وغطاءٌ للتحلل من التكاليف الشرعية!!!

ألا (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [التور: الآية ٦٣].
أيها الأخوة:

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٢١٦) ومسلم (حديث ١٤٠٧).

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٧١٢).

* إن من حق سنة رسولنا علينا أن نعمل بها ونلزم أنفسنا بذلك، ونذب عنها ونرفض الأباطيل التي تثار من حولها.

* ومن حق هذه السنة المباركة الميمونة علينا أن نعرف الثابت منها عن رسولنا □ وغير الثابت.

* من حق هذه السنة المباركة الميمونة علينا أن نحفظها قدر استطاعتنا ونبلغها للناس.

ففي الحديث المتواتر: «نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها ثم أداها كما سمعها».

* من حقها علينا أن نقدمها على آرائنا وأهوائنا وأسلافنا وأعرافنا، وما تهواه نفوسنا.

* من حقها علينا أن نُحبيها بعد أن أماتها أقوام، ونرفعها بعد أن وضعها أقوام، ونجلها ونوقرها وننزلها منزلتها اللائقة بها.

إننا أيها الأخوة نفخر بكوننا من أمة محمد □، ونفخر بأننا والله الحمد من حملة سنته.

الدعاء...

* * *

MOSTAFALADUNIA.COM



m

فضل الذكر

أما بعد: فإن من أجل العبادات وأقرب القربات التي نتقرب بها إلى الله ﷻ ذكر الله تبارك وتعالى، ولذا فقد تكرر التذكير به والحث عليه والترغيب فيه في مواطن وبيان فضله في مواطن كثيرة جداً من كتاب الله ﷻ، وكذا في كم هائل من الأحاديث عن رسول الله ﷺ.

وكما هو معلوم فإن الأمر لعظيم فضله وكبير أجره وارتفاع قدره يكثر التذكير به، فنذكر في مقامنا هذا إن شاء الله نفسي وإياكم بشيء من الوارد في فضل الذكر والحث عليه وعظيم أجره لعل غافلاً أن يذكر، وذاكراً أن يكثر، ومستغفراً يواصل الاستغفار!!
 لقد قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسِيحُوا بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ [الأحزاب: الآيات ٤١، ٤٢].

وقال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ [الأحزاب: الآية ٢١].

وقال تعالى: (وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [الأنفال: الآية ٤٥].
 أخرج ابن ماجه (١) من حديث أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَرْضَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعُهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرَقِ، وَمِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ قَالُوا وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ذِكْرُ اللَّهِ».

لقد أعد الله للذاكرين والذاكرات مغفرة وأجرًا عظيمًا.
 قال تعالى: (وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ [الأحزاب: ٣٥].

والذاكرون هم السابقون:

(١) ولا شك أن هذا الفضل له مواطن والجهاد له موطن والحديث عند ابن ماجه (٣٧٩٠).

أخرج مسلم ^(١) في «صحيحه» من حديث أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة، فمر على جبل يقال له جمدان، فقال: «سيروا هذا جمدان، سبق المفردون»، قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «الذاكرون الله كثيراً والذاكرات» .

والذاكرون هم المفلقون:

قال تعالى: (وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾) [الأنفال: ٤٥] .

وقال تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾) .

إن السكينة تنزل على الذاكرين!!! والرحمة تغشاهم والملائكة تحفهم والمغفرة تشمل من جالسهم وإن لم يكن منهم!!

أخرج مسلم ^(٢) في «صحيحه» من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري أنهما شهدا على النبي ﷺ أنه قال: «لا يقعد قوم يذكرون الله ﷻ إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده» .

إن القلوب الفلقة المضطربة وغير المضطربة كذلك تطمن بذكر الله:

قال تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾) [الرعد:

الآية ٢٨] .

إن الألسن ترطب بذكر الله:

أخرج ابن ماجه ^(٣) في «سننه» بسند حسن عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه أن أعرابياً قال لرسول الله ﷺ: إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فأنبئني منها بشيء أتشبث به، قال: «لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله ﷻ» .

إن الأبدان تتقوى بذكر الله ﷻ:

فلما جاءت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تسأله خادماً، وقد اشتكت ما تلقى من الرحي مما تطحنه فأرشدتها رسولنا ﷺ ودلها على ما هو خير لها من خادم ألا وهو التسبيح ثلاثاً وثلاثين، والحمد لله ثلاثاً وثلاثين، والتكبير أربعاً وثلاثين وذلك عند النوم ^(٤) .

(١) مسلم «مع النووي (٤/١٧)» .

(٢) مع النووي (٢٢/١٧) .

(٣) ابن ماجه (حديث ٣٧٩٣) .

(٤) أخرج البخاري (مع الفتح ١٢٥/٦) ومسلم (مع النووي ٤٥/١٧) من حديث علي رضي الله عنه أن فاطمة اشتكت ما تلقى من الرحي مما تطحنه فبلغها أن رسول الله ﷺ أتى بسبي فأتته تسأله خادماً فلم توافقه فذكرت لعائشة فجاء النبي ﷺ فذكرت عائشة له فأتانا وقد أخذنا مضجعنا فذهبنا لنقوم فقال: «على مكانكما» حتى



إن من سيما أهل النفاق وعلاماتهم قلة ذكرهم لله ﷻ :
 قال الله تعالى: (إِنَّ الْمُتَفَقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ
 النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ [النساء: الآية ١٤٢].
 وعلى العكس فأولوا الألباب وأصحاب العقول النيرة الرشيدة يذكرون الله قيامًا
 وقعودًا وعلى جنوبهم.

قال تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ
 يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ) [آل عمران: الآيات ١٩٠، ١٩١].
إن كليم الله موسى عليه السلام: سأل ربه تبارك وتعالى أن يعينه بأخيه هارون،
 ولماذا هذا؟

قال عليه السلام (هرون أخي ﴿٣٠﴾ أشد به أزي ﴿٣١﴾ وأشركه في أمري ﴿٣٢﴾ كي شحك كثيرًا ﴿٣٣﴾ وتذكرك كثيرًا
 ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ [طه: الآيات ٣٠ - ٣٥].

وزكريا عليه السلام: قد منع الكلام إلا من ذكر الله ﷻ .
 فلما سأل ربه أن يجعل له آية كدليل على أن زوجته قد حملت.
 قال الله له: (يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ الَّذِي كَلِمَةُ النَّاسِ لَمُنَّةٌ أَيَّامَ الْإِسْرَاءِ وَأَذْكُرَنَّكَ كَثِيرًا وَسَيَحِبُّكَ الْعَيْشُ وَالْإِبْرَئِيلُ
 ﴿٤١﴾ [آل عمران: الآية ٤١].

ومع أنه منع من الكلام لكنه لم يمنع من الذكر، بل أمر به عليه السلام.
ونبي الله سليمان عليه السلام: طفق مسحًا بالسوق والأعناق لما شغل بالخيل عن
 ذكر ربه، لقد قال: (إِنَّ أَحَبَّ حُبِّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا
 بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ [ص: الآيات ٣٢، ٣٣].

أي أنه ضرب رقابها وقطع أرجلها لما شغل بها عن ذكر الله.
إن من أعظم المقاصد التي شرعت من أجلها العبادات إقامة ذكر الله ﷻ :
 فهي أعظم عبادة وأعظم قربة بعد الشهادتين ها هي الصلاة يقول الله في شأنها:
 (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ [طه: الآية ١٤])

أي لتذكرني فيها. وقيل لتحظى بذكري أي إذا أنت ذكرتني ذكرتك.
والجمعة: إنما تسعى إليها لذكر الله ﷻ .

وجدت برد قدمه على صدري فقال: «ألا أدلكما على خير مما سألتما؟ إذا أخذتما مضاجعكما فكبرا الله
 أربعًا وثلاثين، واحمد الله ثلاثًا وثلاثين وسبحا ثلاثًا وثلاثين، فإن ذلك خير لكما مما سألتما» .

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ) **[الجمعة: الآية ٩].**

والحج: يقول الله في شأنه: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ **[الحج: الآية ٢٧]**

تري لماذا يأتين من كل فج عميق!!؟

قال تعالى: (لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي حَيَاتِهِمْ مَعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ) **[الحج: الآية ٢٨].**

وقال تعالى: (فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوا كَمَا هَدَيْتُكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الطَّاغُوتِ) **[البقرة: الآيتان ١٩٨، ١٩٩].**

وها هي المناسك والأعياد عموماً يقول الله في شأنها: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ **[الحج: الآية ٣٤].**

وكذا الذبائح: قال تعالى: (وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعْتِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ) **[الحج: الآية ٣٦].**

وقال تعالى: (وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ) **[الأنعام: الآية ١٢١].**

وقال تعالى: (وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ) **[الأنعام: الآية ١١٩].**

والصيام: قال الله في شأنه: (وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) **[البقرة: الآية ١٨٥].**

وحتى الجهاد في سبيل الله: قال الله في شأنه: (وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتِنَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا) **[الحج: الآية ٤٠].**

وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاغْلُظُوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) **[الأنفال: الآية ٤٥].**

وكذا الصيد: قال تعالى: (فَكُلُوا مِمَّا امْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ) **[المائدة: الآية ٤].**

إن المساجد تبنى لإقامة ذكر الله تعالى.

قال تعالى: (فِي بُيُوتٍ أُذِّنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ) **[النور: الآيتان ٣٦، ٣٧].**

وقد قال رسول الله ﷺ للأعرابي الذي بال بالمسجد: «إن هذه المساجد لا تصلح



لشيء من هذا البول ولا القدر، إنما هي لذكر الله ﷻ والصلاة وقراءة القرآن» (١) . أو كما قال رسول الله ﷺ .

وحتى بعد انقضاء العبادات يشرع الذكر كذلك.

قال تعالى: (فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ فِيمَا وُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ) [النساء: الآية

. ١٠٣]

والأحاديث الواردة في الذكر بعد الصلاة كثيرة جداً، فمنها:

ما أخرجه البخاري ومسلم (٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت أعرف انقضاء صلاة النبي ﷺ بالتكبير.

وفي رواية (٣): أن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد النبي ﷺ.

قال ابن عباس: كنت أعلم إذا انصرفوا بذلك إذا سمعته.

وفي «الصحيحين» (٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثاً وثلاثين»، وفي رواية عند مسلم «من سبح في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين وحمد الله ثلاثاً وثلاثين وكبر الله ثلاثاً وثلاثين، فتلك تسع وتسعون، وقال تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، غفرت خطاياهم وإن كانت مثل زبد البحر».

وبعد الجمعة كذلك:

(فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (٥)

[الجمعة: الآية ١٠].

وبعد الحج: قال تعالى: (فَإِذَا قُضِيَتْ مِنْكُمْ مَنَسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ

ذِكْرًا) [البقرة: الآية ٢٠٠].

وعند إتمام الصيام: (وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ) [البقرة: الآية

. ١٨٥]

(١) مسلم (حديث ٢٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح ٣٢٥/٢) ومسلم (مع النووي ٨٣/٥).

(٣) البخاري (مع الفتح ٣٢٤/٢) ومسلم (٨٤/٥).

(٤) البخاري (مع الفتح ٣٢٥/٢) ومسلم (٩٣/٥).

فقد كان النبي □ يذكر الله في كل حين: قالت عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله □ يذكر الله على كل أحيانه»^(١).

إن ذكر الله عز وجل يسبب خشية في قلوب أهل الإيمان:

قال تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾) [الأنفال: الآية ٢].

إن ذكر الله سبب للفلاح، وسبب لرفع الدرجات وحط الخطايا والأوزار .

إن من أعظم فوائد ذكر الله أن الله عز وجل يذكر من ذكره قال تعالى: (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) [البقرة: الآية ١٥٢].

وأخرج البخاري ومسلم^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله □: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَىٰ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنِ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنِ ذَكَرَنِي فِي مَلَأِ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنِ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنِ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنِ اتَّانَى يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً» .

وقال تعالى: (أَتْلُ مَا أوحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِابْتِغَاءِ الْوَجْهِ الْوَالِدِيِّ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) [العنكبوت: الآية ٤٥].

قال بعض العلماء: ولذكر الله للعبد أكبر من ذكر العبد لله.

إن الشخص قد يسعد إذا ذكره وزير أو أمير أو رئيس أو ملك!

يسعد الشخص إذا أتى عليه واحدٌ من هلاءٍ خيراً!! مع أنهم سيموتون كما سيموت، ويمرضون كما يمرض ويصابون بالمصائب والحوادث والهموم كما يصاب!! ومع ذلك كله يسعد إذ ذكره بخير.

فكيف بالعبد إذا ذكره ربه في ملاء من الملائكة المقربين.

وأنتى عليه عندهم...

إن الذي يذكر الله في نفسه يذكره الله في نفسه.

والذي يذكر الله في ملاءٍ يذكره الله في ملاءٍ خير منهم.

وهذا أيضاً من فضائل الذكر:

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ٦٨/٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) البخاري (مع الفتح ٣٨٤/١٣) ومسلم (مع النووي ٢/١٧).



أخرج الإمام مسلم ^(١) في «صحيحه» من حديث عن أبي هريرة، عن النبي □ قال: «إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةَ سَيَّارَةَ فُضُلًا يَتَّبِعُونَ مَجَالِسَ الذُّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْبَحَتِهِمْ حَتَّى يَمْلَأُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ ﷻ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادِكَ فِي الْأَرْضِ يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيُهَلِّلُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، وَيَسْأَلُونَكَ قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتِكَ. قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لَا أَيْ رَبِّ. قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَني؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لَا قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ عَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا وَأَجْرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا. قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَاءٌ إِنَّمَا مَرَّ فُجِّلَسَ مَعَهُمْ. قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ عَفَرْتُ هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْفَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ».

إن الشياطين تخنس عند ذكر الله ﷻ وحمرة الغضب تنطفى عند ذكر الله ﷻ.

أخرج البخاري ومسلم ^(٢) من حديث سليمان بن صرد رجل من أصحاب النبي □ قال: استب رجلان عند النبي □ فغضب أحدهما فاشتد غضبه حتى انتفخ وتغير فقال النبي □: «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه الذي يجد» فانطلق إليه الرجل فأخبره بقول النبي □ وقال: تعوذ بالله من الشيطان. فقال: أتري بي بأس، أمجنون أنا؟ اذهب.

إن عقد الشيطان تنحل بذكر الله ﷻ :

أخرج البخاري ومسلم ^(٣) من حديث أبي هريرة أن رسول الله □ قال: «يَعْقُدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ عَلَى مَكَانِ كُلِّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ. فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسَلَانٍ».

إن ذكر الله حرز من الشيطان، والذاكر دومًا في حصن حصين فقد أخرج الإمام أحمد ^(٤) رحمه الله بسند صحيح من حديث الحارث الأشعري رحمته الله أن نبي الله □

(١) مسلم (مع النووي ١٧/١٤).

(٢) البخاري (مع الفتح ١٠/٤٦٥) ومسلم (مع النووي ١٦/١٦٣).

(٣) البخاري (مع الفتح ٣/٢٤)، ومسلم (مع النووي ٦/٦٥).

(٤) أحمد في «المسند» (٤/١٣٠ و ٢٠٢).

قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ بِخُمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ» فذكر الحديث وفيه: «وَأَمَرَكُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ كَثِيرًا، وَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ الْعَدُوُّ سِرَاعًا فِي أَثَرِهِ فَاتَى حِصْنًا حَصِينًا فَتَحَصَّنَ فِيهِ وَإِنَّ الْعَبْدَ أَحْصَنَ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِذَا كَانَ فِي ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ».

وهذا فضل من ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه:

إنه من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله (١).

فهذه الفضائل كان النبي ﷺ يكثر من ذكر الله ﷻ فكان يذكر الله على كل أحيائه.

يذكر الله عند طعامه وشرابه وملبسه ودخوله وخروجه ونومه واستيقاظه وسفره وحضره وقيامه وقعوده ومجالسه ومنازله وزواجه ونكاحه سلمه وحره. لقد كان يذكر الله في شأنه كله.

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

ألا فاستغفروا ربكم إنه كان غفارًا.

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

أيها المسلمون:

قد سمعتم شيئاً من فضل الذكر والحث عليه والترغيب منه ولهذا الفضل العميم والثواب الجزيل والمغفرة والأجر العظيم للذاكرين لله كثيراً والذاكرات.

يحرص الشيطان على صرف الناس عن ذكر ربهم وخالقهم وبارئهم.

قال تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَيْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيُصَدِّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ

الصَّلَاةِ) [المائدة: الآية ٩١].

لقد استحوذ الشيطان على أقوام فأنساهم ذكر الله!!

إن الشيطان يقترن بالغافلين ويتسلط عليهم.

قال تعالى: (وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شِعْرَتَهُ فَهُوَ لَهُمْ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ

وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾) [الزخرف: الآيتان ٣٦، ٣٧].

لقد حذر الله الغافلين عن ذكره فقال ﷻ: (فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِمَّنْ ذَكَرَ اللَّهَ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ

مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾) [الزمر: الآية ٢٢].

(١) البخاري (مع الفتح ١٤٢/٢) ومسلم (١٢٠/٧).



وقال تعالى: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا) [طه: الآية ١٢٤].
إن قوماً غلبت عليهم شقوتهم، شغلوا أنفسهم بالطعن في المؤمنين والمؤمنات
والسخرية فنسوا ذكر الله، فلفحت وجوههم النار.

قال تعالى: (قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٧﴾ قَالَ اخْسَرُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوَكُمُ ذِكْرِي) [المؤمنون: الآيات: ١٠٦-١١٠].
فأكثرُوا بَارِكِ اللهُ فِيكُمْ مِنْ ذِكْرِ اللهِ.
أكثرُوا مِنَ التَّهْلِيلِ وَالتَّسْبِيحِ وَالحَمْدِ وَالتَّكْبِيرِ.

وتلاوة القرآن!!

وأخرج مسلم ^(١) في «صحيحه» من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ :
«لأن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحب إلي مما طلعت عليه
الشمس».

وعنه أيضاً ^(٢) في الصحيحين، أن رسول الله ﷺ قال: «من قال: سبحان الله
وبحمده في يوم مائة مرة حطت عنه خطاياه، وإن كانت مثل زبد البحر».

وأخرج مسلم ^(٣) في صحيحه من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: كنا عند
رسول الله ﷺ فقال: «أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة؟! فسأله سائل من
جلسائه: كيف يكسب ألف حسنة؟ قال يسبح مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة أو
يحط عنه ألف خطيئة».

وعند مسلم ^(٤) أيضاً عن عائشة رضي الله عنها إن رسول الله ﷺ قال: «إنه خلق كل إنسان
من بني آدم على ستين وثلاث مائة مفصل، فمن كبر الله، وحمد الله، وهلل الله، وسبح
الله، واستغفر الله، وعزل حجراً عن طريق الناس، أو شوكة أو عظماً عن طريق الناس،
أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر عدد تلك الستين والثلاث مائة السلمي فإنه يمشي يومئذ
وقد رزح نفسه عن النار». قال أبو توبة: وربما قال يمشي.

(١) مسلم (مع النووي ١٧/٩).

(٢) البخاري (مع الفتح ١١/٢٠٦) ومسلم (١٧/١٧).

(٣) مسلم (مع النووي ١٧/٢٠).

(٤) مسلم (٩٣/٧).

وعند مسلم ^(١) أيضاً من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أحب الكلام إلى الله أربعة: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. لا يضرك بأيهن بدأت».

وهذا أحب الكلام إلى الله

عند مسلم ^(٢) أيضاً من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله؟» قلت: يا رسول الله، أخبرني بأحب الكلام إلى الله. فقال: «إن أحب الكلام إلى الله: سبحان الله وبحمده».

وهاتان كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن

ففي الصحيحين ^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم».

والحمد لله تملأ الميزان

وأخرج مسلم ^(٤) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملأ ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغذو فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها».

وبكل تهليل صدقة وبكل تسبيحة وبكل تكبيرة

وعند مسلم ^(٥) من حديث أبي ذر، عن النبي ﷺ أنه قال: «يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيَجْزِي مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى» .

وها هي كلمة تُعدُّ كنزاً من كنوز الجنة

أخرج البخاري ومسلم ^(٦) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال لي

(١) مسلم (مع النووي ١١٧/١٤).

(٢) مسلم (مع النووي ٤٨/١٧).

(٣) البخاري (مع الفتح ٥٣٧/١٣) ومسلم (مع النووي ١٩/١٧).

(٤) مسلم (مع النووي ٩٩/٣).

(٥) مسلم (مع النووي ٢٣٣/٥).

(٦) البخاري (في المغازي ١٠/٣٩) ومسلم (مع النووي ٢٧/١٧).



رسول الله ﷺ : «ألا أدلك على كلمة من كنوز الجنة؟» أو قال: «على كنز من كنوز الجنة؟» فقلت: بلى. فقال: «لا حول ولا قوة إلا بالله».

إن ذكر الله من تهليل وتكبير وحمد وتسبيح، كل ذلك يذكر في الصحائف يوم القيامة فينيرها ويبيضها:

قال تعالى: (مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عِنْدٌ ﴿١٨﴾) [ق: الآية ١٨] وقال تعالى: (وإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْمُونَ مَا تَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾) [الأنفطار: ١٠-١٢].

وقال تعالى: (بَلِّغُوا لِلَّذِينَ كَانُوا لَدَيْكُمْ لِكُنُوبٍ ﴿٨٠﴾) [الزخرف: الآية ٨٠]

فاحذروا الغفلة: أيها الإخوة، احذروا من كثرة الكلام بغير ذكر الله.

لقد قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُوا أَمْوَالَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾) [المنافقون: الآية ٩].

ألا فرطوا ألسنتكم بذكر الله!

ولتطمئن قلوبكم بذكر الله!

ولتسلم لكم أبدانكم بذكر الله!

ولترتفع درجاتكم بإذن الله بذكر الله!

وكذا فلتحط الخطايا والأوزار بذكر الله!

ألا فلتخس الشياطين بذكر الله!

ولتتنزل الرحمات بذكر الله!

ولتغشانا السكينة بذكر الله!

ولتحفنا الملائكة بذكر الله!

اعلموا بارك الله فيكم أن أحدكم لن يوفق لذكر الله إلا إذا وفقه الله.

إن الله قال: (وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) [المدثر: الآية ٥٦].

فقولوا اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك كما قد علم النبي ﷺ معاذ ابن

جليل عنه إذ علمه أن يقول دبر كل صلاة: «رب أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»^(١).

(١) أخرجه أبو داود (١٨٠/٢) وغيره من حديث معاذ **جليل عنه** أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: «يا معاذ والله إنني لأحبك، والله إنني لأحبك، أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك».

ألا فاذكروا الله في طرقكم وعلى فرشكم وفي بيوتكم وفي عملكم!!
اذكروه في مجامع الناس وفي خلواتكم!!
اذكروه ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلاً.
الدعاء...

* * *

MOSTAFAALADWIY.COM



m

ألا بذكر الله تطمئن القلوب

أما بعد: فيقول الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: (مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) [الأنعام: ٣٨] وصدق الله فيما قال، فما من شيء إلا وشأنه في كتاب الله **عَزَّ وَجَلَّ**، إن لم يكن على التفصيل فهو على الإجمال، والباحث عن أي شيء يجد أصله في كتاب الله **عَزَّ وَجَلَّ** وفي سنة رسوله □ فالباحث عن دواء لطمانينة القلب وشفاء الصدور يجد بغيته وحاجته في كتاب الله وسنة نبيه □، إذ الله قال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾) [يونس: ٥٧].

وبالجملة فـ (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هُوَ أَقْوَمُ) [الإسراء: ٩]. يهدي للتي هي أقوم في كل شيء، وفي هذا الصدد نذكر من كتاب ربنا بآية يجد فيها الشخص طمانينة لقلبه ودواء عاجلاً لقلقه واضطرابه، فربنا وخالقنا هو أعلم بنا وقلوبنا وما يصلحها وما يطمئنها (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾) [تبارك: ١٤]. أما الآية التي نتناولها فهي قول الله تبارك وتعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَنَطَمَنُوا قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾) [الرعد: ٢٨]، وبيان المراد بالذكر هاهنا حتى يتزكى بهذه الآية من تزكى، ويذكر بها من يخشى، نسوق تأويلها بشيء من الإسهاب والتفصيل.

أما قوله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَنَطَمَنُوا قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) [الرعد: ٢٨]. فلاهل العلم جملة أقوال في تأويل «الذكر» هاهنا، وكل هذه الأقوال حق، وكلها صدق، فالذكر ينطبق عليها جميعاً وجميعها تنطبق عليه.

فمن أهل العلم من قال: إن المراد بالذكر هنا القرآن:

ولهذا القول أدلته وشواهد، فمن أدلته وشواهد:

قوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَكٰفِيُونَ ﴿٩﴾) [الحجر: ٩] فالذكر ها هنا القرآن.

وكذا قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِنْتَبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾) [فصلت: ٤١].

فالذكر هاهنا القرآن كذلك.

وكذا قوله تعالى: (وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ) [الأنبياء: ٥٠] فالذكر أيضاً هاهنا القرآن.
ومن أهل العلم من قال: إن المراد بالذكر هنا، ذكر الله المتمثل في تسبيحه، وتحميده
وتكبيره وتهليله وتمجيده.

وذلك كقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة
إلا بالله.

وكذا نحو قوله: ما شاء الله، وتبارك الله.

ومنهم من قال: إن المراد بالذكر هاهنا: الأذكار الموظفة المختصة بالأزمنة
والأمكنة والأحوال التي علمنا إياها رسولنا محمد ﷺ .

كالذكر عند الغضب، وعند القلق، وعند الوضوء، وعند الجماع، وعند نزول
المنازل، وسفر المسافر، ودخول الداخل، وخروج الخارج، ونحو ذلك، وهذا هو القول
الثالث.

أما القول الرابع: فحاصله أن المراد بذكر الله، ذكر قدر الله ﷻ أي: تذكر أن
الأمور مقدرة، قدرها الله ﷻ ، ومناسبة هذا القول ووجهه أن الله قال: (مَا أَصَابَ مِنْ
مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [التغابن: ١١].

قالوا: أي ومن يؤمن بقدر الله، ويوفن أن المصائب قدرها الله يهد قلبه.

وأما القول الخامس: فالمراد بالذكر هو اليمين بالله أي الحلف بالله ﷻ .

أما القول السادس: فالمراد بالذكر، ذكر الله داخل الصلاة، إذ الصلاة محل لذكر الله
ﷻ، قال تعالى: (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي) [طه: ١٤] أي لتذكرني فيها، وذلك على أحد
التفسيرات، وتفسير آخر، وأقم الصلاة كي تحظى بذكري لك، فإنك إذا ذكرت الله في
الصلاة ذكرك الله ﷻ ، وكذا إذا ذكرته في خارج الصلاة.

وقد قال تعالى: (يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لِأَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ وَلَا أَوْلَادَكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ) [المنافقون:

١٩]، قال بعض العلماء: أي عن الصلاة.

أما القول السابع: فالمراد بالذكر هاهنا، هو ذكر الله ﷻ باستغفاره، والتوبة

والإتابة والرجوع إليه.

فهذا مجمل الأقوال التي وردت في المراد بالذكر في قوله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا

وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) [الرعد: ٢٨].

أما كيف تطمنن القلوب بالذكر على الوجوه المذكورة آنفاً؟

فها هي وجوه الطمأنينة بذلك:



أما على تأويل الذكر بالقرآن فإن القرآن إذا تلى وقرأه القارئ تنزلت السكينة، وغشيت القارئ الرحمة وحفته الملائكة، كما في حديث رسول الله ﷺ الذي أخرجه مسلم^(١) وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده».

فإذا تنزلت الملائكة هربت الشياطين، فالشيطان لا يكاد يتواجد مع ملك في مكان واحد.

ألا ترى أن الشيطان غر أصحابه من أهل الكفر يوم بدر، وزين لهم أعمالهم، وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان: «الفئة المؤمنة والفئة الكافرة» نكص على عقبيه وقال إني برئ منكم إني أرى ما لا ترون فقد رأى الشيطان الملائكة، وعليهم أداة الحرب، إذ الملائكة قد شهدت بدرًا مع المؤمنين، فحينئذ فرّ وهرب، وولى وأدبر، ونكص وانصرف.

وهكذا، فالقرآن إذا تلى وتنزلت الملائكة هربت الشياطين، تلك الشياطين التي تسبب القلق، وتجلب الاضطراب وتدفع إلى المعاصي دفعًا، وتخوف الناس تخويفًا إذ الله قال: (أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْذُهُمْ وَأُذُواهُمْ) [مريم: ٨٣] أي: ترعجهم إزعاجًا وتدفعهم إلى المعاصي دفعًا، فإذا انصرفت الشياطين حدث الهدوء، وتنزلت السكينة فاطمأنت القلوب، وهذا البال.

فهذا وجه لطمأينة القلوب بالقرآن الذي هو ذكر الله، ملخصه أن القرآن يتلى فتتنزل الملائكة، فتهرب الشياطين فيحدث الهدوء، وتحدث السكينة.

ووجه آخر لطمأينة القلوب بالقرآن أنه ما من صاحب ابتلاء، وما من أحد حلت به مصيبة يقرأ كتاب الله، إلا يجد لنفسه مشابهًا قد أصيب بمثل مصيبتته، ويجد متعزى به ومتسلى يتسلى فيه، فينظر لمن شابهه في مصيبتته وبلائه فيرى أن العاقبة للتقوى، وأن العسر يتبعه بإذن الله يسرٌ، وأن الكرب يتبعه الفرج، فيهدأ باله ويستقر حاله فإذا مرض المريض واشتد عليه المرض، واضطرب قلبه لعجز الأطباء عن دوائه، ويأسهم من شفائه فقرأ هذا المريض كتاب الله، وكذا نظر في سنة مصطفاه ﷺ التي هي وحيٌ يوحي، وجد له أمثالا ونظراء عجز عن دوائهم الأطباء، ولكن ثم من لا يعجز، وثم

(١) مسلم مع النووي (٢١/١٧).

شافي لا شفاء إلا شفاؤه، فإله هو الذي يذهب اليأس، لا يذهبه أحد سواه، والله هو الذي يكشف الضر لا يكشفه أحد دونه.

(وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِلَىٰ هُوَ الْمَصِيرُ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾) [يونس: ١٠٧].

فحينئذ تطمئن النفس، ويذهب اليأس، فإذا قرأ القارئ المريض من كتاب ربه قصة نبي الله أيوب عليه السلام وكيف أن الله شفاه بعد عجز الأطباء عن البحث له عن دواء اطمأن القلب وهذا البال، وواصل المريض الدعاء، وتصبر كما أمره الله، ولم ينقطع في الله رجاء.

فأيوب قد جعله الله وقصته ذكرى للعابدين، ذكرى يتذكرها العباد فيصبرون كما صبر، فيؤجرون كما أجز.

قال تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرْنَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾) [الأنبياء: ٨٣، ٨٤].

وقال تعالى: ﴿ وَادْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ مِصْرًا وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ أَرْكُضَ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرْنَا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾) [ص: ٤١-٤٣].

وقال تعالى في شأن هذا النبي مثنيًا عليه: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعِمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾) [ص: ٤٤].

فيا لها من ثلاث شهادات لو أعطي الواحد منها شهادة ما وسعته الدنيا، وما فيها، إنها ثلاث شهادات لهذا النبي الكريم من الله رب العالمين إنا وجدناه صابراً!! نعم العبد!! إنه أواب!!

فيا لها من فضيلة، ويا لها من مكرمة.

وانظر إلى قصته بشيء من التفصيل في حديث رسول الله ﷺ الذي أخرجه ابن حبان (١) بسند صحيح لغيره من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أيوب نبي الله لبث في بلائه ثماني عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه كاتا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما لصاحبه: تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنبًا ما أذنبه أحد من العالمين فقال له صاحبه: وما ذاك؟ قال: منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله

(١) ابن حبان «موراد الظمان» (٢٠٩١).



فيكشف ما به فلما راح إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له، فقال أيوب: لا أدري ما تقول غير أن الله يعلم أنني كنت أمرُّ على الرجلين يتنازعان فيذكران الله وأرجع بيبي فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله إلا في حق، قال: وكان يخرج إلى حاجته فإذا قضى حاجته أمسكت امرأته بيده، فلما كان ذات يوم أبطأ عليها، فأوحى الله إلى أيوب في مكانه: (أَرَكُنْ بِرَجُلِكَ هَذَا مُغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ۗ) [ص: ٤٢] فاستببطأته فبلغته، فأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء فهو أحسن ما كان، فلما رآته قالت: أي بارك الله فيك هل رأيت نبي الله هذا المبتلى؟ والله على ذلك ما رأيت أحدًا كان أشبه به منك إذ كان صحيحًا. قال: إني أنا هو وكان له أبردان: أبرد القمح وأبرد الشعير، فبعث الله سحابتين فلما كانت إحداهما على أبرد القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاضت، وأفرغت على أبرد الشعير الورق حتى فاضت.

فهكذا لا ييأس أحدٌ من روح الله، فلا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.

ولا يقنط أحد من رحمة الله، ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون.

فلتطمئن قلوب المرضى ومن ضاقت بهم السبل، وانقطعت عنهم الحيل، فلتطمئن قلوبهم إلى رحمة الله، وعلى فرج الله، فإله يراهم ويبصرهم ويطلع على أحوالهم لا يخفى عليه من أمرهم شيء.

وكذا الآلام والآهات كل ذلك يعلمه الله ويسمعه، ألا فلتطمئن القلوب بذكر الله وكذا أيضًا إذا تجاوزنا الابتلاء بالضر في الأبدان إلى ابتلاء آخر قد يبتلى به بعض العباد، ألا وهو الطعن في الأعراض، والتشكيك في الأمانات، إلى غير ذلك من الاتهامات الباطلة التي قد يرمى بها أهل الفضل والصلاح فيرى المتهم البريء لنفسه شبهاء ونظراء، اتهموا وهم برآء فأظهر الله براءتهم في الدنيا قبل الآخرة فحينئذ تطمئن النفوس البريئة، وتطمئن قلوب أصحابها إلى فرج الله، وإلى نصر الله في الدنيا، وإلا ففي الآخرة يقينًا ينجي الله الذين اتقوا ويبرئ الله ساحات أهل الإيمان والمظلومين من كل سائنة وعيب وطعن.

ها هم أفاضل اتهموا وهم برآء فأظهر الله براءتهم:

* **اتهم يوسف** □ وقالت امرأة العزيز لزوجها في شأن يوسف: (مَا جَرَأُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ

سُوًّا إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ أَوْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۗ) [يوسف: ٢٥].

ثم برأه الله على لسانها بقولها بعد ذلك: (قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَوَدْتَنِّي يُوسُفُ عَنْ نَفْسِهِ قُلْتُ حَسَّ

لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْفَن حَصَّصَ الْحَقُّ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ۗ) [٥١] ذَلِكَ

لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْتَهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ ﴿٥٢﴾ [يوسف: ٥١، ٥٢].

* **اتهمت مريم عليها السلام** وقالوا لها: (يَمْرِمُ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيحًا ﴿٢٧﴾ يَتَأَخْت هُرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَعْثًا ﴿٢٨﴾) [مريم: ٢٧، ٢٨]. فبرأها الله على لسان الطفل الرضيع، ونطق عيسى عليه السلام في المهد قائلاً: (قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أُمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾) [مريم: ٣٠-٣٣].

* **اتهمت أم المؤمنين التقية الصالحة عائشة** رضي الله عنها بما رماها به أهل الإفك فنزلت فيها آيات تنزل في الصلوات وخارج الصلوات: (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا نَحْسَبُهُمْ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَبْرٌ لَّكُمْ... [النور: ١١-١٨] الآيات).

* **اتهم موسى** □ وآذاه قومه فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهًا، كما قال تعالى: (يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكَفُورُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَىٰ فَبَرَّءَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾) [الأحزاب: ٦٩].

وما هي القصة بذلك، أخرجها البخاري (١) في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله □: «إِنَّ مُوسَىٰ كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا سَتِيْرًا لَا يُرَىٰ مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتَحْيَاءً مِنْهُ، فَأَذَاهُ مِنْ آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالُوا: مَا يَسْتَتِرُ هَذَا التَّسْتَرُ إِلَّا مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ: إِمَّا بَرَصٌ وَإِمَّا أَدْرَةٌ، وَإِمَّا آفَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يُبْرِئَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَىٰ، فَخَلَا يَوْمًا وَحْدَهُ فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى الْحَجَرِ ثُمَّ اغْتَسَلَ، فَلَمَّا فَرَعَ أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا، وَإِنَّ الْحَجَرَ عَدَا بِثَوْبِهِ، فَأَخَذَ مُوسَىٰ عَصَاهُ وَطَلَبَ الْحَجَرَ، فَجَعَلَ يَقُولُ ثَوْبِي حَجْرٌ ثَوْبِي حَجْرٌ حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلَأَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَرَأَوْهُ عُرْيَانًا أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ وَأَبْرَأَهُ مِمَّا يَقُولُونَ وَقَامَ الْحَجْرُ فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَلْبَسَهُ، وَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا بِعَصَاهُ فَوَاللَّهِ إِنْ بِالْحَجَرِ لَنَدَبًا مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكَفُورُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَىٰ فَبَرَّءَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ [الأحزاب: ٦٩] ».

فهذه بعض وجوه الطمأنينة بكتاب الله عز وجل:

سكينة تنزل وملائكة تحف، رحمة تغشى، شياطين تفر وتهرب.

ثم تسلى وتأسى وتصبر.

فهذا هو القول الأول في المراد بالذكر، ألا وهو القرآن.

(١) البخاري حديث (٣٤٠٤).



أما الوجه الثاني في تفسير الذكر: وقد أشرنا إليه آنفاً ألا وهي التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل والتمجيد ونحو ذلك، فكل ذلك يقوي الله به القلوب، ويطمئن الله به النفوس، ومن وجوه ذلك أن المسيح إذا سبح والحمد إذا حمد، وكذا المكبر والمهلل إذا كبر وهلل هربت الشياطين، وذلك لكونها تخنس عند ذكر الله **عَزَّوَجَلَّ** وتختفي، ويقل عملها ويضعف، فحينئذ تتأتى للقلوب الطمأنينة وتنزل عليها أيضاً السكينة وكيف لا؟! والذاكر يذكره الله والذاكر يثيبه الله، والذاكر يرفع الله درجته والذاكر في حصن حصين من الشيطان الرجيم!!

ثم أيضاً فإن الذاكر يُثاب بسبب الذكر فترتفع درجته وتحط عنه خطيئته، تلك الخطيئة التي سببت للقلب اضطراباً وقلقاً، فبمحو أثرها يسكن القلب ويطمئن، وهكذا تطمئن القلوب بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير.

أما القول الثالث في تأويل الذكر: فهو كما أسلفنا الأذكار الموظفة التي علمنا إياها رسولنا محمد ﷺ، فيها تطمئن القلوب ووجه ذلك على سبيل المثال أن الشخص إذا نزل منزلاً موحشاً فخاف، ثم إنه ذكر حديث رسول الله ﷺ: «مَنْ نَزَلَ مِنْزَلاً ثُمَّ قَالَ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ» ^(١) فذكر الله بهذا الذكر وتعوذ بهذا التعوذ اطمأن قلبه وهدأ باله، على قدر إيمانه ويقينه وتصديقه بحديث رسول الله ﷺ.

وكذلك الشخص الذي خوفه قومٌ فذكر ما قاله أهل الإيمان لما خوفهم الناس بقولهم: (إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ) قال تعالى: (فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) ^(١٧٣) (آل عمران: ١٧٣) فماذا كان؟ قال تعالى: (فَأَنقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ فَحَسِبُوا أَنَّ أَكْبَارَ الَّذِينَ كَفَرُوا كُبُرًا وَأَنَّهُمْ يَخْلَفُونَ) ^(١٧٤) (آل عمران: ١٧٤).

ورود في «الصحيح» من حديث ابن عباس **رضي الله عنهما**: «حسبنا الله ونعم الوكيل» قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: (إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) ^(١٧٣) (آل عمران: ١٧٣).

وكذا الذي قام من النوم عن إثر رؤيا مفزعة أرهفته وأرقته وخوفته، فقال وعمل بما علمه إياه رسول الله ﷺ وهي خمسة أمور تفعل عند الرؤيا المفزعة، أخذت من

(١) مسلم مع النووي (٣١/١٧).

(٢) البخاري حديث (٤٥٦٣).

مجموعة من الأحاديث.

وهذه هي الأمور:

* التعوذ بالله من شر هذا اللحم.

* والتفل عن يسارك ثلاثاً.

* والتحول عن جنبك الذي كنت عليه.

* ثم صلاة ركعتين.

* وعدم التحديث بها.

* فحينئذ لن يضره شيء بإذن الله تعالى.

قال أبو قتادة رضي الله عنه (١): وأنا كنت أرى الرؤيا فتمرضني حتى سمعت النبي ﷺ يقول: «الرؤيا الحسنة من الله...» فذكر الحديث وفيه: «وإذا رأى ما يكره فليتعوذ بالله من شرها، ومن شر الشيطان، وليتفل ثلاثاً، ولا يحدث بها أحداً فإنها لا تضره». وكذا المسافر القلق على أولاده، إذا خرج مسافراً وخشي على أولاده من بعده فتوكل على الله وأخذ بالأسباب واستودعهم الله كما علم من سنة رسول الله ﷺ فليس بضره شيئاً بإذن الله.

فهكذا تطمئن القلوب بالأذكار الموظفة التي نتعلمها من رسولنا محمد ﷺ.

أما القول الرابع في المراد بالذكر: فهو ذكر قدر الله عز وجل أي: تذكر أن الأمور مقدره فحينئذ تطمئن القلوب عند حلول المصائب، ونزول البلايا بل، وفي الرخاء أيضاً.

قال تعالى: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (١١)

[التغابن: ١١].

أي: ومن يؤمن بأن المصائب قدرها الله، وإنما حلت بالشخص بإذن الله، يهد الله قلبه ويطمئن الله قلبه.

قال تعالى: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) (١٢)

لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٣)

[الحديد: ٢٢، ٢٣].

فمفاد الآية الكريمة أننا أخبرناكم بأن الأمور مقدره حتى لا تتدموا على شيء

(١) البخاري مع الفتح (٤٣٠/١٢).



فاتكم، ولا تبطروا ولا تغتروا بشيء آتاكم الله إياه.

فإذا خرج خارجٌ لتجارة وتأخر عن السوق ووجد الناس قد ربحوا وأخذوا أخذاتهم وربحوا أرباحهم، وعلم أن الأمر مقدرٌ وأن الرزق مكتوب قبل أن يخلق بل قبل أن تخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة كما قد جاء في الحديث، فحينئذ يطمئن قلبه ويهدأ قلبه، ويهدأ باله ولا يندم على ما فاته.

وإذا خرج أخوه مسافرًا أو غازيًا فمات في سفره أو في غزوته وعلم أن أمر الوفاة ومكانها مقدر مكتوب لم يندم على موت أخيه ولم يتحسر، بل يسترجع كما قال الله تعالى: (الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) (١٥٦) [البقرة: ١٥٦] وزاد ما في ورد عن رسول الله ﷺ: «اللهم أجرني في مصيبي وأخلف لي خيرًا منها»^(١) فحينئذ يهدأ باله ويستقر حاله وتنزل عليه السكينة ويصلي عليه ربه ويرحمه ويهديه كما قال تعالى: (أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) (١٥٧) [البقرة: ١٥٧] وما أحسن وما أجمل ما ذكرته أم سلمة لما مات زوجها أبو سلمة.

أخرج مسلم في «صحيحه» من حديث أم المؤمنين «أم سلمة» رضي الله عنها أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أَجْرُنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلَفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا»^(٢)

قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة، أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ، ثم إنني قلتها: فأخلف الله لي رسول الله ﷺ. قالت: أرسل إلي رسول الله ﷺ حاطب بن أبي بلتعة يخطبني له فقلت: إن لي بنتًا وأنا غيور فقال: «أما ابنتها فندعو الله أن يغنيها عنها، وأدعو الله أن يذهب بالغيرة». أما الكافر عيادًا بالله من الكفر فييأس من الرحمة ويقنط من روح الله ولا يطمع في الفرج واليسر، بل في قلبه حسرات تتلوها حسرات ويضطرب قلبه اضطرابًا يتلوه اضطراب.

وكذا الذي قل إيمانه وضعف يقينه فماذا عساه أن يفعل إذا حلت به المصيبة أو

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» حديث (٢٦٥٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن النبي

ﷺ قال: «كتب الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة».

(٢) مسلم (ص ٦٣١).

أنزلت به البلية؟!!!

فهذه امرأة كافرة الذي قل إيمانه وضعف يقينه فماذا عساه أن يفعل إذا حلت به المصيبة أو نزلت به البلية؟!!!

فهذه امرأة كافرة، وأخرى قل إيمانها وضعف يقينها حلت بها مصيبة، ونزلت بها بلية فشقت الجيب ولطمت الخد وحلقت الرأس واعترضت على الأقدار واضطرب قلبها فأصبحت تسب الأيام والشهور والليالي، وتصيح صياح المجانين، بل ويكون المجنون أفضل منها في حالتها تلك، فالمجنون مرفوع عنه التكليف، أما هي فتقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب كما جاء عن رسول الله ﷺ في شأن النائحة (١)، وقد تبرأ رسول الله ﷺ من الصالقة والحالقة والشاققة (٢).

وماذا عساها أن تجني بعد ذلك، إنها تجني ثمار اعتراضها على القدر: حسرات إلى حسرات، وخساراً إلى خسار، يتسرب إليها الندم الذي لا ينفع بشيء فنقول: يا ليتني ما خرج من بيتي، فتقع فيما يقع فيه الكفار الذين نهانا الله عن التشبه بهم حيث قال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَاقِيلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ آل عمران: ١٥٦).

فهؤلاء الكفار إذا خرج إخوانهم مسافرين، أو خرجوا في غزوة من الغزوات فماتوا في أسفارهم، أو قتلوا في مغازيهم تسرب الندم إلى إخوانهم الجالسين الذين لم يخرجوا وقالوا: يا ليتهم ما سافروا وما خرجوا؛ فلو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا، وهذا الندم الذي تسرب إليهم إنما قذفه الله في قلوبهم عقوبة لهم على كفرهم، وعلى اعتراضهم على أقداره.

ثم بين الله لأهل الإيمان أنه سبحانه هو الذي يحيي وهو الذي يميت، وهو عليم بما نقول، بصير بما نعمل.

والطالب يكون في دراسته مجتهداً غاية الاجتهاد ذكياً في غاية من الذكاء، وكل

(١) أخرجه مسلم (٩٣٤)، من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٢٩٦) ومسلم حديث (١٠٤)، من حديث أبي موسى رضي الله عنه مرفوعاً أن النبي ﷺ قال: «أربع في أمي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة»، وقال: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب».



عام ينجح وينجح بتفوق على أقرانه، ويأتي في امتحان الثانوية مثلًا التي بعدها يتجه إلى جامعة من الجامعات فيخرج من بيته صباحًا للامتحان ؛ فيسقط من على الدرج فتكسر رجله، أو يهشم رأسه، أو تصدمه سيارة فيذهب إلى المستشفى والآلام تحيط به من كل جانب والدم ينزف منه من كل مكان، يعالج ويتألم وزملاءه في الامتحان يؤدونه بهدوء أعصاب وراحة بال، فماذا عساه أن يفعل إذا لم يكن مؤمنًا بأقدار الله؟! لا شك أنه إذا كان مؤمنًا بالله وبأقداره رضي وحمد الله على كل حال، وعلم أن هذا ابتلاء من الله، وأن الله **عَزَّوَجَلَّ** يوفي الصابرين أجرهم بغير حساب، فكان أمله ورجاؤه فيما عند الله، واحتسب كل ما أصابه في نفسه وبدنه ودنياه، فحينئذ يبذل الله إيمانًا يجد حلاوته في قلبه.

والمرأة أو الفتاة تكون جميلة حسناء يتحدث أهل البلدة عن حسناتها وجمالها وبهائها فما تلبث إلا قليلًا حتى تبتلى، تذهب لطهي طعام يتناثر زيت حار على وجهها وجسمها فيشوهها ويفر الناس منها عند رؤيتها، فكيف تصنع مثل هذه إذا لم تكن تؤمن بالله وبأقداره وترضى بقضائه؟!!

اللهم اجعلنا راضين بقضائك وقدرك استغفروا ربكم إنه كان غفارًا.

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد أما وقد سمعتم بارك الله فيكم وجوهًا في بيان المراد بالذكر

فها هو القول الخامس في المراد بذكر الله: ألا وهو اليمين بالله!

فإذا شككت أنه قد حدث أمر ما من أحد إخوانك أو أصدقائك أو غيرهم، وارتبت في الأمر، وذهبت بك الظنون هاهنا وهاهنا، واضطرب قلبك ولم يستقر على حال ولم يهدأ لك بال، وليست عندك بينات قواطع، ولا شهود ثقات، فتقدم لك من شككت في أمره وأقسم لك يمينًا بالله أنه ما فعل الذي اتهمته به، فحينئذ ينبغي أن يطمئن قلبك ويهدأ بالك، فإن كان صادقًا في يمينه فلا تحمل نفسك إثم الظن السيئ به، وإنه كان كاذبًا في يمينه فسينتقم الله لك منه وسيكفيكم الله.

فهكذا يطمئن القلب بذكر الله **عَزَّوَجَلَّ** إذا رضي صاحبه باليمين الذي شرعه الله، وأذكر هاهنا حديثًا ورد عن رسول الله ﷺ في واقعة من الوقائع.

أخرج البخاري ^(١) ومسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ وَهُوَ فِيهَا فَاجِرٌ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانٌ»، قال: فقال الأشعث بن قيس: في والله كان ذلك، كان بيني وبين رجل من اليهود أرض فجددني فقدمته إلى النبي ﷺ فقال لي رسول الله ﷺ: «ألك بينة؟» قال: قلت: لا، قال: فقال اليهودي: أحلف قال: فقلت: يا رسول الله إنني يحلف ويذهب بمالي قال فأنزل الله: (إِنَّ الَّذِينَ يَشْرُونَ بَعْدَ اللَّهِ وَيَمْنَنُ بِمَنَّا قَلِيلًا.....) [آل عمران: ٧٧] إلى آخر الآية.

أما الوجه السادس: فذكر الله الذي تطمنن به القلوب هو ذكره تعالى في الصلاة:

وقد قال تعالى: (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ^(١٤)) [طه: ١٤] أي: لتذكرني فيها. ووجه آخر: وأقم الصلاة حتى تحظى بذكري لك، فإن من ذكر الله ذكره الله، كما قال تعالى: (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) [البقرة: ١٥٢].

وكما قال رسول الله ﷺ: «فإنما يرويه عن ربه في الحديث القدسي: «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم» ^(٢).

وبالصلاة تطمنن القلوب، ولذا فقد كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر صلى ^(٣) وكان أيضًا صلوات الله وسلامه عليه يقول لبلال: «قم يا بلال فأرحنا بالصلاة» ^(٤) فصاحب القلب المضطرب إذا وقف بين يدي الله في صلاته، وذكره ودعاه ولجأ إليه ورجاه، وعظم ربه وركع، وخشع له وسجد اطمأن قلبه وهدأ باله بإذن الله.

أما الوجه السابع: فالذكر هو الاستغفار: فاضطراب القلب من المصائب، وكذا قلقه وتقلبه، والمصائب إنما تتأتى وتحل في كثير من الأحيان بسبب الذنوب والمعاصي، فقد قال الله تعالى: (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ^(٥)) [الشورى: ٢٥].

(١) أخرجه البخاري في عدة مواطن من «صحيحه»، منها (٢٦٦٦، ٢٦٦٧)، ومسلم حديث (١٣٨)، وغيرهم.

وتم سبب نزول آخر لهذه الآية الكريمة أخرجه البخاري (٤٥٥١) من طريق إبراهيم بن عبد الرحمن عن عبد الله ابن أبي أوفى رضي الله عنه. أن رجلاً أقام سلعة في السوق فحلف فيها لقد أعطي بها لم يعطه ليوقع رجلاً من المسلمين فنزلت: (إِنَّ الَّذِينَ يَشْرُونَ بَعْدَ اللَّهِ وَيَمْنَنُ بِمَنَّا قَلِيلًا.....) [آل عمران: ٧٧] إلى آخر الآية، لكن في إسنادها إبراهيم بن عبد الرحمن وهو السكسكي متكلم فيه، وقد انتقد الدراقطني على البخاري إخراج بعض الأحاديث من طريقه.

(٢) البخاري (٣٨٤/١٣).

(٣) صحيح لشواهد: أخرجه أبو داود (١١٥).

(٤) صحيح: أخرجه أبو داود حديث (٤٩٨٦).



. [٣٠]

وهذه المصائب وتلك العقوبات، تدفع بالاستغفار، قال تعالى: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) [الأنفال: ٣٣].
 فبالاستغفار، وكذا رد المظالم إلى أهلها كل ذلك يطمئن القلب بإذن الله، ويذهب روعه وخوفه وقلقه واضطرابه.

وأخيراً...

فكل هذه الأقوال حق، وكلها صدق، والاختلاف في تأويل الذكر هنا اختلاف تنوع، وليس باختلاف تضاد، فمن اضطرب قلبه وأراد له السكون والطمأنينة فعليه: بتلاوة القرآن وتدبره وتأمل آياته وتفهمها.
 وعليه بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والتمجيد.
 وعليه كذلك بالأذكار الموضفة الواردة في الكتاب العزيز وصحيح السنة.
 وكذا فليرض بقضاء الله الذي قضاها، وقدره الذي قدر.
 وكذا فليرض بشرع الله، وليقبل اليمين بالله، ويكل ما وراء ذلك إلى الله **عَزَّ وَجَلَّ**.
 وكذلك فعليه بالصلاة.
 وليكلل ذلك بالاستغفار ورد المظالم إلى أهلها في ذلك تطمئن القلوب، ومن أصدق من الله قيلاً.
 ومن أصدق من الله حديثاً، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير؟!!! طمأن الله قلوبنا بذكره، وأعاننا ربنا على ذكره وشكره وحسن عبادته.
 الدعاء...

m

وقفات مع آيات من سورة القيامة

أما بعد: فإن من أجل القربات التي نتقرب بها إلى الله **عَزَّوَجَلَّ** تعلم كتابه وسنة رسوله محمد ﷺ فبذلك ترفع الدرجات يوم القيامة.

فكما أن العبد ترفع درجته بالصلاة والزكاة والحج والاعتماد والصدقة وعموم أعمال البر، فكذا ترفع درجته بتعلم كتاب ربه وسنة نبيه ﷺ ومعرفة ما يلزمه من أمر دينه ومعرفة الحلال والحرام، قال تعالى: (يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) **[المجادلة: ١١]**.

ثم إنه بهذا التعلم يدخل في عداد الربانيين، وخاصة إذا علم الناس ما قد تعلمه. قال تعالى: (وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْحِينَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ) **[آل عمران: الآية ٧٩]**.

فنرجو من إخواننا بارك الله فيهم أن يعيروني القلوب والأسماع. وأن يحتسبوا الأجر والثواب في هذه الدقائق التي يتعلمون فيها كتاب ربهم، ويستمعون فيها لسنة نبيهم ﷺ حتى يكمل لهم بالاحتساب الأجر والثواب. إن ربي كريم وهاب.

هذا وبين يدي تفسير هذه السورة المباركة التي نحن بصدد تفسيرها ألا وهي سورة القيامة أذكر بأمرين:

أولهما: أن الاعتقاد يجر إلى عمل، فإن كان الاعتقاد صحيحاً فإنه يقود إلى عمل صالح صحيح، وإن كان الاعتقاد فاسداً فإنه يجر إلى عمل فاسد. وقد دلت على ذلك نصوص كثيرة:

قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّوْا فَرِيقًا مِنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿١٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتُرُونَ ﴿٢٤﴾) **[آل عمران: الآيتان ٢٣، ٢٤]**.

فلما اعتقدوا أن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودات، تلك الأيام التي عبدوا فيها



العجل، فقالوا بزعمهم: سواء علينا أعرضنا عن كتاب الله وتوليننا عنه، أم أقبلنا عليه و عملنا به فلزاماً أن تمسهم النار، فحينئذ تجرأوا على الإعراض عن كتاب الله **عَزَّ وَجَلَّ** ، وتجرأوا على رفض التحاكم إليه.

وكذلك جرأهم على أكل أموال العرب واستباحة أعراضهم، قولهم: **﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّتِنَ سَكِيلٌ﴾** [آل عمران: ١٧٥] أي: ليس عليهم بزعمهم إثم إذا قتلوا العرب وسفكوا دماءهم وأكلوا أموالهم.

وكذلك هذا المطفف الذي يطفف المكابيل والموازن لو ظن أنه مبعوث يوم القيامة ومسئول عن غشه وتطفيفه؛ ما نقص من الكيل، ولا طفف الميزان.

والذي يتكلم ويكثر من اللغو واللغو واللاغتيال لو علم أن أقواله تكتب ومفالاته تُسَطَّر، لانكفَّ عن كثير من الكلام وأمسك عن الشر.

وكذا في باب الحسنات فالذي يوقن ويقوى يقينه بأن الله يراقبه، وأن الملائكة ترصد أعماله، فلزاماً أن يحسن العمل ويتقنه.

وكما قال عمير بن الحمام لما سمع قول رسول الله ﷺ: **«قَوْمُوا إِلَى جَنَّةِ عَرْضِهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ»**، قَالَ حينئذ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَنَّةُ عَرْضِهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟! قَالَ: **«نَعَمْ»** قَالَ: بَخٍ بَخٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ: بَخٍ بَخٍ؟»** قَالَ: لَأِ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ رَجَاءَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا. قَالَ: **«فَاتِّك مِنْ أَهْلِهَا»** فَأَخْرَجَ تَمْرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِّتُ حَتَّى أَكُلَ تَمْرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لِحَيَاةٍ طَوِيلَةٌ قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ (١).

وكذا أبو الدحداح لما أيقن أن له في الجنة نخلة ترى ماذا صنع؟؟ نتركك مع قصته وخبره.

أخرج عبد بن حميد في المنتخب بسندٍ صحيح عن أنس أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن لفلان نخلة وإنما أقيم حائطي بها، فأمره أن يعطيني إياها حتى أقيم حائطي بها. فقال له النبي ﷺ: **«أعطاها إياه بنخلة في الجنة»** فأبى فأتاه أبو الدحداح فقال: بعني نخلتك بحائطي. قال: ففعل. قال: فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني قد ابتعت النخلة بحائطي، فاجعلها له وقد أعطيتها. فقال رسول الله ﷺ: **«كم من عذق رواح**

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٩٠١).

لأبي الدحداح في الجنة». قالها مراراً. قال: فأتى امرأته فقال: يا أم الدحداح، أخرجني من الحائط مالي قد بعته بنخلة في الجنة. فقالت: ربح البيع أو كلمة تشبهها (٢). فهذا الذي أردنا التنبيه عليه أولاً. أما الذي أردت التنبيه عليه ثانيًا فهو أن الأمر إذا كان من الأهمية بمكان كبير تكرر التذكير به.

فلذا تكرر التنبيه على أمر التوحيد، وبيان وحدانية الله ﷻ وخطر الشرك. وتكرر التذكير ببر الوالدين، وتكرر التذكير باليوم الآخر، وما فيه من جنة ونار وثواب وعقاب وحساب. وذلك حتى يحذره الناس ويعدوا له عدة، ويعملوا له أعمالاً. فجد في سورة البقرة: (وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ) [البقرة: الآية ٢٨١]. وفي آل عمران: (وَلَهُمْ أَجْرٌ كَثِيرٌ) [آل عمران: الآية ٨٣]. وفي النساء: (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا) [النساء: الآية ١٥٩]. وفي المائدة: (هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ) [المائدة: الآية ١١٩]. وفي الأنعام: (لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) [النساء: الآية ٨٧]. وهكذا كله في أغلب سور القرآن، وما تكاد تخلو سورة من السور من تذكير باليوم الآخر وما فيه وما يفعل استعدادًا له.

بل وقد تسمت سورة من سور الكتاب العزيز «سورة القيامة» وهي السورة التي نحن بصدد تأويلها وتفسيرها وبيان ما فيها، فإلى هذه السورة المباركة الميمونة سائلين الله أن يرفعنا وإياكم بكتابه درجات.

يقسم الله سبحانه وتعالى في هذه السورة الكريمة بيوم القيامة إذ هو يوم عظيم، كما قال تعالى في سورة المطففين: (الْأَبْطُنُّ أُولَيْكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ) [المطففين: الآية ٤-٦].

وقد أقسم به في آية أخرى إذ قال: (وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ) [البروج: الآية ٢]. ومن المعلوم أن الله سبحانه إذا أقسم بشيء عظيم، فيقسم ربنا بالسماء ذات البروج، ويقسم بالشمس، والقمر، وبالليل، وبالقرآن المجيد، إلى غير ذلك من الأشياء العظيمة التي يقسم بها الله ﷻ.

فقسمه سبحانه وتعالى «بيوم القيامة» للدلالة على عظمة هذا اليوم وشدته وهوله

(١) المنتخب (حديث ١٣٣٢) بتحقيقي.



ليعمل له العاملون، وليحذره الحذرون كما قال تعالى: (وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ) **[البقرة: الآية ٢٨١]**.

وكما قال تعالى: (يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّوَا اللَّهُ وَلِتُنظَرَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَأَتَقُوا اللَّهَ) **[الحشر: الآية ١٨]**.

وكما قال الله تعالى: (يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَنَّوَا رَبِّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدَعَنَ وَلِدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا) **[القمان: الآية ٣٣]**.

أما حرف (لا) في قوله تعالى: (لَا أُقِيمُ) **[القيامة: ١]** فهو لتوكيد الكلام كما قال بعض العلماء: كقول القائل «لا والله»، وكقول عائشة **[رضي الله عنها]**: لا والله ما مست يد رسول الله يد امرأة قط **(١)**.

ومن العلماء من قال: هي زائدة كقوله تعالى: (إِنلَايَعْمَلُ الْكُفْرُ إِلَّا يَبْدُرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ) **[الحديد: الآية ٢٩]**.

وكما قال: (وَحَرَّمُ عَلَى قَرَبَةٍ أَهْلَكُنْهَا أَنَّهُمْ لَا تَرْجَعُونَ) **[الأنبياء: الآية ٩٥]**.

ومنهم من قال: إن كلمة (لا) ردٌ لكلام قد مضى من كلام المشركين الذين كانوا ينكرون الجنة والنار ثم ابتدأ القسم، فكان المعنى: ليس الأمر كما تظنون من أنه لا بعث ولا ثواب ولا عقاب، أقسم على ذلك بيوم القيامة.

وعلى أية حال فقد نقل ابن الجوزي الاتفاق على أن المعنى قسم.

ثم إن الله سبحانه وتعالى أقسم وهذا قسم أيضاً على قول الطبري واختياره بالنفس اللوامة، وهي التي تلوم صاحبها، أما هل هذه النفس نفس مؤمنة؟ أم نفس مذمومة؟ أم المراد عموم الأنفس؟ فبكل قال فريق من أهل العلم. قالوا: فكل الأنفس تلوم صاحبها الأنفس المؤمنة تلوم صاحبها لم تستكثر من الخير؟ والأنفس الكافرة تلوم صاحبها لم كفرت ولم عصيت. وهل هذا في الآخرة أم في الدنيا والآخرة كذلك؟ فقال بعض العلماء: إن ذلك في الدنيا أيضاً؛ فنفس المؤمن تلومه، فإذا تكلم قال: ما أردت بكلامي هذا؟ وإذا أكل تقول له ماذا أردت بأكلتك هذه وهكذا، فتلومه لعدم استكثاره من الخير وتلومه لفعله الشر. أما نفس الكافر فتلومه في الآخرة.

أما من قال: إنها «المذمومة» فهي التي تلوم صاحبها حيث لا ينفع الندم. لكن قول

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٦٣٦/٨) في قصة البيعة.

الأكثرين على الوجه الأول والله أعلم.

أما مناسبة القسم بالنفس اللوامة بعد القسم بيوم القيامة، فذلك لكون النفس اللوامة تلوم صاحبها يوم القيامة.

يقسم ربنا سبحانه وتعالى على بطلان ظن الكافر الذي يظن أن لا بعث، ولا حياة بعد الموت ولا نشور، ويقسم ربنا على قدرته على البعث وجمع العظام، وقدرته على تسوية البنان أيضًا، أي: قدرته على التسوية بين أصابع اليدين والرجلين ولصقتها، وجعلها شيئًا واحدًا كخف البعير ونحوه، فلا يستطيع أن يكتب بها ولا أن يفعل بها دقيق الأفعال.

ثم يبين الله ﷻ حال الكافر من الإيمان والعمل الصالح فليس هو بحال المؤمن الذي يعمل الصالحات. ولكن هذا الكافر الذي يظن أن لا بعث ولا حياة ولا نشور، يُمهّد لجرائمه وفجوره بتكذيبه بيوم الدين. فينوي عمل الفواحش وينوي الكفر والاستمرار عليه فيما هو آت.

فقوله تعالى (بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرْ أَمَامَهُ) ﴿٥﴾ **[القيامة: الآية ٥]** أي: يريد الفجور فيما هو آت، وهذا الفجور متمثل في التكذيب بيوم الدين، وفي عمل المعاصي في المستقبل، فلا ينوي توبة ولا يعزم على أوبة، ولا يعقد العزم على استقامة وصلاح. ثم إن هذا الإنسان يسأل مستنكرًا مستبعدًا: (أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) ﴿٦﴾ **[القيامة: الآية ٦]** أي: متى يوم القيامة هذا الذي توعدونني به؟ وهذا شأن الكفار عموماً (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) ﴿٤٨﴾ **[يونس: الآية ٤٨]** (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) ﴿٢٨﴾ **[السجدة: الآية ٢٨]** فيجاب هذا السؤال عن يوم القيامة القائل: (أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) ﴿٦﴾ **[القيامة: الآية ٦]** يجاب على هذا السؤال بما حاصله: إنك ستعرف متى هذا اليوم، ستعرفه (إِذَا رَأَوْا الْبَصُرَ) ﴿٧﴾ **[القيامة: الآية ٧]** ، أي: إذا فزع بصرك وتحير لشدة هول ما يرى. ستعرفه إذا شخص بصرك ولم يستقر على حال. ستعرف جواب ما سألت عنه (وَحَسَفَ الْقَمْرُ) ﴿٨﴾ **[القيامة: الآية ٨]** أي: ذهب ضوءه.

ستعرف الجواب تمامًا إذا (وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمْرُ) ﴿٩﴾ **[القيامة: الآية ٩]** فذهب ضوءهما، وتقدما عبادهما إلى النار كما في الحديث: «فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر» ^(١).

(١) أخرج البخاري الحديث مطولاً (٧٤٣٧) وفيه: «يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً



فحينئذ يعرف الكافر المنكر للبعث جواب سؤاله الذي سأل، ويلاقى جزاء عمله الذي عمل، وتكذيبه الذي كذب، فعندها يبحث عن مهربٍ ومفرٍّ وملجأٍ ومحيص، فيقول: (إِنَّ الْمَفْرُ) [القيامة: الآية ١٠] فيجاب: (كَلَّا لَا وَزَرَ) [القيامة: الآية ١١] لا مهرب ولا مفر ولا حصن تتحصن به. فالملجأ والمستقر والمرجع والمصير يومها (إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ) [القيامة: الآية ١٢]. فعند ذلك (يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ) [القيامة: الآية ١٣] يخبر الإنسان بأعماله التي عمل من حسنات أو سيئات، من معاصٍ أو طاعات، فهو عالمٌ بما صنع، وبصير بما ارتكب واقترف، وشاهدٌ على نفسه بما اجترحت كما قال تعالى: (أَفَرَأَىٰ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا) [الإسراء: الآية ٤] فيقرأ كتابه ولا ينكر من ذلك شيئاً.

ولكنه إنسانٌ مجادلٌ يدلي بالاعتذارات والحجج الواهية، ثم وهو يعتذر فإنه يدرك تماماً أنه على باطل، ولو جادل واعتذر، فنفسه عليه شاهدة، شاهدة على كل معاصيه التي ارتكبها في دنياه وقد خلي بنفسه يحسب أن لن يراه أحد، وألقى المعاذير، أي: وأرعى الستور، وأغلق الأبواب على نفسه، ثم طفق يعصي ربه بنظرٍ محرم، أو فاحشة مغلظة، أو معصية وإن قلت. فكل ذلك يعمل والجوارح عليه شهود، والكرام الكاتبون حضور، والرب تعالى لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

أخرج مسلم ^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظُّهْرِ لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟» قالوا: لَا. قَالَ: «فَهَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟» قالوا: لَا. قَالَ: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ، إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا». قَالَ: «فِيَلْقَى الْعَبْدُ فَيَقُولُ: أَيُّ فُلٍ ^(٢)، أَلَمْ أَكْرَمَكَ وَأَسْوَدَكَ ^(٣)، وَأَزْوَجَكَ، وَأَسْحَرَ لَكَ الْخَيْلَ وَاللَّيْلَ، وَأَدْرَكَ تَرَأْسُ ^(٤) وَتَرَبُّعٌ ^(٥). فَيَقُولُ: بَلَى. قَالَ: فَيَقُولُ: أَفَطَنْتَ أَنْتَ مُلَاقِي؟ فَيَقُولُ:

فليتبعه» ومسلم (حديث ١٨٢).

(١) مسلم (حديث ٢٩٦٨).

(٢) فل: أي فلان.

(٣) أسودك: أجعلك سيئاً على قومك.

(٤) «ترأس» أي: تكون رئيس القوم وكبيرهم.

(٥) «تربع» أي: تأخذ المربع الذي كانت ملوك الجاهلية تأخذه من الغنيمة، وهو ربعها. يقال: ربعتهم، أي: أخذت ربع أموالهم. ومعناه: ألم أجعلك رئيساً مطاعاً.

قال القاضي بعد حكايته نحو ما ذكرته: عندي أن معناه تركتك مستريحاً لا تحتاج إلى مشقة وتعيب من

لَا. فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنَسَاكَ كَمَا نَسَيْتَنِي ^(١). ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِي فَيَقُولُ: أَيُّ فُلٍّ، أَلَمْ أَكْرَمَكَ، وَأَسَوَّدَكَ، وَأَزَوَّجَكَ، وَأَسَحَّرَ لَكَ الْحَيْلَ وَاللَّيْلَ، وَأَدْرَكَكَ تَرَأْسُ وَتَرْبَعٍ؟ فَيَقُولُ: بَلَى أَيُّ رَبِّ. فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيٌّ؟ فَيَقُولُ: لَا. فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنَسَاكَ كَمَا نَسَيْتَنِي. ثُمَّ يَلْقَى الثَّلَاثَ فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، آمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِرُسُلِكَ وَصَلَّيْتُ وَصَمْتُ وَتَصَدَّقْتُ. وَيُنْثِي بَخِيرَ مَا اسْتَطَاعَ. فَيَقُولُ: هَاهُنَا إِذَا ^(٢). قَالَ: «ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الْآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ. وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟ فَيُخْتَمُ عَلَيْهِ فِيهِ. وَيُقَالُ لِقَدْحِهِ وَلِحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي: فَتَنْطِقُ فَحَدُّهُ وَلِحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ. وَذَلِكَ لِيُعْزِرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ، وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللَّهَ عَلَيْهِ».

وفي رواية أخرى عند مسلم ^(٣) من حديث أنس رضي الله عنه قال: «كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَضَحِكَ فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟» قَالَ: قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ. يَقُولُ: يَا رَبِّ، أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى. قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي، قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا. قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَيْهِ فِيهِ، فَيُقَالُ لِأُرْكَانِهِ: انْطِقِي. قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ قَالَ: ثُمَّ يُخَلِّي بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ قَالَ: فَيَقُولُ: بَعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا فَعِنَّا كُنْتَ أَنْضِلُ».

وصدق الله إذ قال: (يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَ يُؤْفِكُ بَعْضُ اللَّهِ مِنْهُمْ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾) [النور: الآيات ٢٤، ٢٥].

صدق الله إذ يقول: (أَيُّحْسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ) [البلد: الآيات ٧، ٨].

صدق الله إذ يقول: (وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءَ وَهِيَ شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكَ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾) [فصلت: الآيات ١٩-٢٣].

ثم إن الله ﷻ يرشد نبيه ﷺ إرشادًا حسنًا أثناء تلقيه القرآن من جبريل عليه

قولهم: اربع على نفسك، أي: ارفق بها.

(١) «فإني أنساك كما نسيتني» أي: أمتنع الرحمة كما امتنعت من طاعتي.

(٢) «هاهنا إذا» معناه: فف هاهنا حتى تشهد عليك جوارحك، إذ قد صرت منكراً.

(٣) مسلم (٢٩٦٩).



السلام وذلك لأن رسول الله ﷺ كان يعاني عند نزول الوحي عليه، ويلقى شدة من جراء ذلك، ووجه هذه المعاناة: أنه صلوات الله وسلامه عليه كان إذا نزل جبريل يحرك لسانه ويقرأ مع قراءة جبريل، وذلك حتى لا ينسى ما يلقي عليه من القرآن؛ وخشية من ذهابه وضياعه فكان يحرك اللسان ليحفظ فأنزل الله تعالى: (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ) (١٦) [القيامة: الآية ١٦] أي: لتحفظه سريعاً (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ) [القيامة: الآية ١٧] أي: علينا جمعه في صدرك و(وَقُرْآنَهُ) (١٧) [القيامة: الآية ١٧] أي: وقراءته. (فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَانصتْ لَهُ) (١٨) [القيامة: الآية ١٨] أي: فاستمع له وأنصت (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) (١٩) [القيامة: الآية ١٩] أي: ثم إن علينا أن نمكنك من قراءته.

أخرج البخاري (١) من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ) (١٦) قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَالِجُ مِنَ النَّزْلِ شِدَّةً، وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ شَفْتَيْهِ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: فَأَنَا أُحَرِّكُهُمَا لَكُمْ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَرِّكُهُمَا. وَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا أُحَرِّكُهُمَا كَمَا رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما يُحَرِّكُهُمَا فَحَرَّكَ شَفْتَيْهِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ، وَقُرْآنَهُ (١٧) قَالَ: جَمَعُهُ لَكَ فِي صَدْرِكَ وَتَقْرَأَهُ (فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَانصتْ لَهُ) (١٨) قَالَ: فَاسْتَمِعْ لَهُ وَأَنْصِتْ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (١٩) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ. فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ اسْتَمَعَ، فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا قَرَأَهُ.

فاستفيد من ذلك أن الحافظ لكتاب الله عز وجل، حفظه من الله، فهو الذي يمكنه من ذلك، وسهل له سبله.

فكم من شخص يريد أن يحفظ ولا يوتى مراده. فليحمد الله حفظه كتابه، وليسأل مريد الحفظ ربه تبارك وتعالى أن يعلمه.

وكذا فالحافظ الذي يريد أن يتلو ما حفظه، فتلاوته أيضاً توفيق من الله، فكم من حافظ يريد أن يخرج ما حفظه ويتلوه فيحال بينه وبين ذلك.

فالذي يمكنه هو الله، ونسيانه كذلك قدره الله.

هذا وقد قال السعدي في تفسيره: «وفي هذه الآية أدب لأخذ العلم، أن لا يبادر المتعلم للعلم قبل أن يفرغ المعلم من المسألة التي شرع فيها، فإذا فرغ منها، سأله عما

(١) البخاري (حديث ٥).

أشكل عليه. وكذلك إذا كان في أول الكلام ما يوجب الرد أو الاستحسان، أن لا يبادر برده أو قبوله، قبل الفراغ من ذلك الكلام، ليتبين ما فيه من حق أو باطل، وليفهمه فهمًا يتمكن فيه من الكلام فيه على وجه الصواب.

ثم يبين الله سبحانه وتعالى للمخاطبين بهذا القرآن أمرهم وسبب تكذيبهم بهذا القرآن فيقول سبحانه: ﴿كَلَّا لِحُجُورِ الْعَاجِلَةِ﴾ (٢٠) **[القيامة: الآية ٢٠]** أي: إنما يحملهم على التكذيب بيوم القيامة ومخالفة ما أنزل الله ﷻ على رسوله □ من الوحي والقرآن العظيم أنهم إنما همتهم إلى الدار الدنيا العاجلة، وهم لاهون متشاغلون عن الآخرة.

وهذه الآية الكريمة بينت أحوال غالب الناس وفي معناها قوله تعالى: ﴿لَنْ تُؤْمِرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (١٦) **[الأعلى: الآيات ١٦ ١٧]** وكذا قوله: ﴿إِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا لَعَاجِلَةٌ وَتُؤْمِرُونَ بِهَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْوَعُ﴾ (١٧) **[الإنسان: الآية ٢٧]**.

ثم يبين الله تبارك وتعالى حال العباد يوم القيامة وكيف وأنهم ينقسمون قسمين، فقومٌ وجوههم يوم القيامة ناضرة، ناعمة حسنة جميلة، مسرورة بهيئة، تتنعم بالنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى، متعنا الله والمسلمين بذلك.

فأهل الإيمان يرون ربهم ﷻ يوم القيامة كما في حديث رسول الله □، وقد سئل: فقالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحواً؟!»، قلنا: لا. قال: ... فذكر الحديث وفيه أيضاً: «فَيَأْتِيهِمُ الْجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا. فَلَا يُكَلِّمُهُ إِنَّا النَّبِيُّاءُ فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ؟ فَيَقُولُونَ: السَّاقُ، فَيُكَشِّفُ عَنْ سَاقِهِ فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ رِيَاءً وَسَمْعَةً، فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدُ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا...» الحديث (١). وهذا من معتقد أهل السنة والجماعة، والله الحمد.

أما أهل الكفر فمحبوبون عن ذلك النظر والتمتع به، إذ الله قال في شأنهم: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ (١٥) **[المطففين: الآية ١٥]**.

أما إذا سألت عن وجوههم، فإنها مسودةٌ كالحة كاشرة عابسة ظهرت بها البسور والتجاعيد من هول ما هي فيه كما قال تعالى: ﴿وَوُجُوهُ يَوْمِئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ (٢٤) **[القيامة: الآية ٢٤]** ثم إنها قد علاها الغبار كما قال رب العزة: ﴿وَوُجُوهُ يَوْمِئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ (٤٠) **[عبس: ٤٠]**.

(١) البخاري (٧٤٣٩) ومسلم (١٨٣).



[٤١].

ثم إن أصحاب هذه الوجوه السوداء الكالحة ماذا عساهم ينتظرون!!! إنهم ينتظرون بلية هي أعظم مما هم فيه، أعظم مما قد حلَّ بهم من سواد الوجوه، يظن أصحاب هذه الوجوه بل يوقنون أن مصيبة ستحل بهم، كما قال تعالى: (تَطَّلُّوا أَن يُعَلَّ بِهَا فَاوْرَةٌ) ﴿٢٥﴾ [القيامة: الآية ٢٥] أي: تعلم وتوقن ^(١) أن مصيبة كبرى وداهية عظمى ستحل بها، ستكسر فقار ظهرها.

فليس الأمر كما يظن الكفار أن لا بعث ولا جزاء ولا حساب، «كلا» وهي كلمة نفي مصحوبة بالردع فسيعلم الكافر (إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ) ﴿٢٦﴾ [القيامة: الآية ٢٦] حين تبلغ روحه التراقي، «وهي جمع ترقوة وهي العظام المحيطة بنقرة النحر، وهي موضع الحشرجة».

فعندما تبلغ روحه هذه المنطقة، فعندها يوقن بالبعث، ويوقن بأن وعد الله حق، فعندها يبحث الباحثون عن طبيب يُعالج، وعن راقٍ يرقى (وَيَلْمِزُكَافِرًا) ﴿٢٧﴾ [القيامة: الآية ٢٧] من يرقى؟! من يشفي؟! من يعالج!؟

وكذا من يرقى ليصعد مع الروح أو يصعد بها يدافع عنها من أهلها. وثم قول آخر: من يرقى مع الروح؟ من يصعد بها؟ هل ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟

حينئذ يوقن المحتضر أنه قد فارق، قد فارق الأهل، قد فارق الأحباب، قد فارق الأصحاب، والولد، إنه فراق لا لقاء بعده إلا في جنة أو نار. فقله: (وَطَّلَّ أَنَّهُ التَّرَاقِيُّ) ﴿٢٨﴾ [القيامة: الآية ٢٨] أنه أيقن أن هذا هو الفراق الحقيقي.

(وَأَلْفَتِ السَّائِقُ السَّائِقَ) ﴿٢٩﴾ [القيامة: الآية ٢٩] لقد التفت ساقه اليمنى بساقه اليسرى، لقد اجتمعت عليه مصائب الدنيا وخطوبها وشدائدها مع مصائب الآخرة وشدائدها وخطوبها.

إن أهل الدنيا يجهزون له الكفن، والملائكة كذلك معها الكفن والحنوط إما من جنة أو نار!!

إنه يتساءل: إلى أين المصير؟ وإلى أين نسير؟ وإلى أي شيء نساقي؟ فيجاب: (إِنَّ

(١) والظن كثيراً ما يأتي بمعنى اليقين كما في قول المؤمن يوم القيامة: (إِنِّي لَنَسْتُ أَنِّي لَمِنَ الْجَائِغَةِ) [الحاقة: الآية ٢٠].

رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَافِقُ ﴿٣٠﴾ [القيامة: الآية ٣٠] !!

إن المرجع والمآب إلى رب الأرباب لتجزى كل نفس بما كسبت وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون.

إن هذا الكافر الذي يُقاد إلى الجحيم، ويدفع إليها دفعًا ويساق إليها سوقًا، (فَلَا صَدَقَ وَلَا

صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ [القيامة: الآية ٣١] .

لم يصدق بكتاب الله، ولم يُصلِّ لله صلاة، ولكنه كذب بكتاب الله وتولى وأعرض

وأدبر عن طاعة الله كما أخبر عنه ربه إذ قال: (وَلَيْكُنْ كَذِبًا يُؤْتَىٰ ﴿٣٢﴾ [القيامة: الآية ٣٢]

﴿ثُمَّ ذَمَّهُ﴾ بعد تكذيبه ومع تكذيبه هذا (لِأَنَّ أَهْلَهُ يَمُطُّونَ ﴿٣٣﴾ [القيامة: الآية ٣٣] يختال

ويفتخر ويتبختر في مشيئته ويتعالى ويتكبر فيدعي على هذا المتبختر المتعالي،

والمتكبر المعالي فيقال له: (أَوَلَيْكَ لَكَ فَأُولَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾ [القيامة: الآيتان ٣٤، ٣٥] أي:

وليك الويل والمكروه فهو أولى بك ثم وليك الويل، الويل لك حيًا، ثم الويل لك ميتًا،

الويل لك في الدنيا، والويل لك في القبر، والويل لك يوم يقوم الناس لرب العالمين.

الويل لك لمنعك الزكاة والصدقة، والويل لك لعدم صلاتك، ثم الويل لك لتوليئك

وإعراضك.

الويل لك لتبخترك! الويل لك لتكبرك واعتراك.

تهديد بعد تهديد، ووعيدٌ بعد وعيدٍ.

هذا، وقد دعا النبي ﷺ على أبي جهل بهذا ثم نزل القرآن بذلك.

أخرج النسائي ^(١) في «السنن الكبرى» بسند صحيح عن سعيد بن جبيرة قال: قلت

لابن عباس: (أَوَلَيْكَ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ [القيامة: الآية ٣٤] قاله رسول الله ﷺ وأنزله الله ﷻ؟

قال: قاله رسول الله ﷺ ثم أنزله الله.

نسأل الله أن يعافينا وإياكم من كل مكروه وسوءٍ.

ألا فاستغفروا ربكم إنه كان غفارًا.

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فببين الله سبحانه وتعالى في أواخر هذه السورة المباركة أنه لم يخلق الإنسان

سدى وهملاً بلا أمر ولا نهى ولا ثواب ولا عقاب ولا حساب فقد قال الله تعالى: (أَيَحْسَبُ

الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ [القيامة: الآية ٣٦]

(١) «السنن الكبرى» (٢/ ١١٦٣٨).



وقال الله تعالى: (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾) [المؤمنون: الآية ١١٥].

أي فلا تظنوا هذا الظن (فَنَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ) [طه: الآية ١١٤] تعالى الله عن العبث، وتعالى الله عن اللعب.

قال تعالى: (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ ﴿١١٦﴾) [الأنبياء: الآية ١١٦].

كلا بل خلق الإنسان لحكمة بالغة وغاية مجيدة.

قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِعِبَادُونَ ﴿٥٦﴾) [الذاريات: الآية ٥٦] فلا بد من التكليف، ولا بد من البعث، ولا مفر من الثواب أو العقاب. فلا يظن الإنسان الكافر أن لا بعث، كلا فالبعث أت لا محالة، وربنا الذي خلقك أيها الإنسان من نطفة: من منى يمنى ويراق، ثم جعلك علقة أي: دمًا متعلقًا مجتمعًا، فسواك وصورك في أحسن صورة، كما قال تعالى: (يَتَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ مَا عَمَرَ بِرَبِّكَ الْكَبِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾) [الانفطار: الآيتان ٦، ٧] وكما قال تعالى: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾) [التين: الآية ٤].

ربنا الذي فعل ذلك يابن آدم (أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴿٤٠﴾) [القيامة: الآية ٤٠] فجوابنا: بلى وربنا فأنت يا ربنا قادر على إحياء الموتى وعلى أكثر من ذلك، فأنت على كل شيء قدير.

هذا ويشرع إذا قرأ القارئ (أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴿٤٠﴾) [القيامة: الآية ٤٠] أن يقول: سبحانك فبلى، أو يقول «بلى» .
الدعاء...

(١) قد وردت بذلك عدة أسانيد بمجموعها ترتقي إلى الحسن، وقد نقل بعض العلماء الاتفاق على مشروعية ذلك، انظر تفسير سورة التين من تنمة «أضواء البيان» ثم انظر هذه المصادر أيضًا أبو داود (٨٨٤) و(٨٨٧) وعبد الرزاق في التفسير (٣٤٢٢) وابن أبي حاتم (١٩٠٧٤).



استتردته لِرَادَنِي (١)

فنتقدمت منزلة بر الوالدين في هذا الحديث الشريف على منزلة الجهاد في سبيل الله (٢) ، الذي هو ذروة سنام الإسلام.

ومن ثم فهذه المنزلة: منزلة بر الوالدين تقدم على ما دون الجهاد من المنازل، فتقدم على السفر إذا لم يكن بسفر مفروض، كحجة الفريضة مثلاً، أما إذا كان السفر لحجة النفل أو عمرة التنفل أيضاً فبر الوالدين مقدم عليهما.

وكذلك يُقدم بر الوالدين على طلب العلم حتى العلم الشرعي إذا كان هذا الطلب من فروض الكفايات.

أما إذا كان الشخص لا يدري كيف يعبد ربه، ولا كيف يوحد، ولا كيف يصلي، ولا يصوم ويزكي، ففي مثل هذه الأحوال يقدم هذا الطلب على بر الوالدين.

وكذلك يقدم بر الوالدين على السفر لاكتساب العيش إذا كان عند الشخص ما يُقام به صلبه وتسد به جوعته وجوعه أهل بيته، وعنده ما يتوارى به من مسكن وملبس، ما دام أمناً لا يخشى من بقاءه في بلدته فتنة على دينه أو وقوع بلاء لا يتحملة ولا يطيقه.

ثم انظر كذلك إلى وصية الله ﷻ بالوالدين، وذلك في عدة آيات من كتابه الكريم:

قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَلَّهُ فِي عَمَامِينَ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ (١٤) [لقمان: ١٣، ١٤].

فبعد النهي عن الشرك أتت الوصية بالوالدين.

وقال تعالى: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١٥) [الأحقاف: ١٥].

وقال ﷻ: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرَجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٨) [العنكبوت: ٨].

وفي معرض الثناء على الأنبياء ومدحهم يأتي الثناء عليهم لبرهم بوالديهم:

(١) البخاري (٥٩٧٠)، ومسلم (٨٥).

(٢) ومحل هذا إذا كان الجهاد فرضاً على الكفاية.

قال الله سبحانه - في شأن نبيه يحيى بن زكريا عليه السلام-: (وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا) (١٤) [مريم: ١٤].

وهذا عيسى عليه السلام يتكلم في المهد فيقول: (قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا) (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) [مريم: ٣١-٣٢].

والوالد أوسط (١) أبواب الجنة

فقد أخرج الترمذي (٢) بإسناد حسن عن أبي الدرداء أن رجلاً أتاه فقال: إن لي امرأة وإن أُمِّي (٣) تأمرني بطلاقها، قال أبو الدرداء: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الوالد أوسط أبواب الجنة، فإن شئت فأضغ ذلك الباب أو احفظه». ومما يدل على عظيم حق الوالد ما أخرجه مسلم (٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَجْزِي وُلْدٌ وَالِدًا إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيُشْتَرِيهِ فَيُعْتِقَهُ». والمعنى - والله أعلم- كما قال النووي رحمه الله: أي لا يكافئه بإحسانه وقضاء حقه إلا أن يعتقه.

وانظر أخي الكريم كيف يصنع البر بأهله:

أخرج الإمام أحمد (٥) بسند صحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «نَمْتُ فَرَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ فَسَمِعْتُ صَوْتَ قَارِيٍّ يَقْرَأُ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا حَارِثَةُ بَنُ النُّعْمَانِ»؛ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَذَاكَ الْبِرُّ كَذَاكَ الْبِرُّ» وَكَانَ أَبْرَ النَّاسِ بِأُمَّهِ.

وهذا متوسل يتوسل إلى الله عز وجل ببره بوالديه فيجيب الله دعاه :

فصنائع المعروف عمومًا تقي مصارع السوء بإذن الله. وعمل الصالحات في أوقات الصحة والعافية والسلامة والأمن سبب في النجاة من الكربات والشدائد والمصائب والبلايا!

والتعرف إلى الله في الرخاء به يعرفك الله في الشدة!

ومن أعظم صنائع المعروف بر الوالدين وخاصة عند كبرهما، فانظر إلى عظيم

(١) يعني والله أعلم أن بر الوالدين يُدخل الشخص من أوسط أبواب الجنة.

(٢) الترمذي (١٩٠٠) وقال: هذا حديث صحيح، وابن ماجه (٢٠٨٩) وغيرهما.

(٣) في بعض الروايات «أبي».

(٤) مسلم (١٥١٠).

(٥) المسند (١٥١/٦، ١٥٢).



أثره في النجاة وتفريج الكربات.
 أخرج البخاري ومسلم ^(١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «بَيْنَمَا ثَلَاثَةٌ نَفِرَ يَتَمَشُّونَ أَخَذَهُمُ الْمَطَرُ فَأَوْوُوا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَأَنْحَطَّتْ عَلَى فَمِّ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ، فَأَنْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لِلَّهِ، فَادْعُوا اللَّهَ تَعَالَى بِهَا، لَعَلَّ اللَّهَ يَفْرُجُهَا عَنْكُمْ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَأَمْرَاتِي وَلِي صَبِيَّةٌ صِغَارٌ أُرْعَى عَلَيْهِمْ فَإِذَا أَرَحْتُ عَلَيْهِمْ ^(٢) حَلَبْتُ، فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيْ فَسَقَيْتُهُمَا قَبْلَ بَنِيَّ، وَأَنْتَ نَأَى بِي ^(٣) ذَاتَ يَوْمِ الشَّجَرِ، فَلَمْ آتِ حَتَّى أُمْسَيْتُ فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا، فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ، فَجِئْتُ بِالْحَلَابِ ^(٤) فَقُمْتُ عِنْدَ رُءُوسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أَوْقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا، وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْقِيَ الصَّبِيَّةَ قَبْلَهُمَا وَالصَّبِيَّةَ يَتَضَاعُونَ ^(٥) عِنْدَ قَدَمِيَّ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَائِي وَدَائِهِمْ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ، فَفَرَجَ اللَّهُ مِنْهَا فُرْجَةً فَرَأَوْا مِنْهَا السَّمَاءَ».

فها هي فائدة مأخوذة من قوله: «وأكره أن أوقظهما»:

ألا وهي أن هذا الرجل الصالح كره أن يسبب لوالديه أدنى إزعاج فمع أن إيقاظه لهما كي يشربا، إلا أنه نظر في أنفع الأمرين لهما هل النوم آنذاك أنفع لهما أم الاستيقاظ والشرب؟ فرأى أن النوم أنفع لهما فتركهما نائمين.
 فمن ثم لا ينبغي لأحدٍ أن يقلق والديه ولا أن يدخل عليهما من الأحزان ما لا يطيقان ولا يحتملان.

فماذا عساه أن يفيد إخبار الوالدين، بأمر محزن مُقلق وهما كبيران لا يستطيعان دفعاً لسوءٍ أو جلباً لخير إلا بدعوة صالحة؟!
 فاعنم منهما الدعوة الصالحة بلا إقلاق ولا إزعاج ولا إرهاق، فإذا كنت تُتاجر وتربح في تجارتك وتخسر أحياناً؛ فلا ينبغي ثم لا ينبغي أن تخبرهما بخسائرِكَ حتى لا تدخل الحزن عليهما.

(١) البخاري (٥٩٧٤)، ومسلم (٢٧٤٣) واللفظ له.

(٢) أرحت عليهم أي: رددت المشية من المرعى إليهم، وإلى موضع مبيتهم.

(٣) نأى بي أي: ابتعد عني.

(٤) الحلاب: الإناء الذي يحلب فيه.

(٥) يتضاعون: أي يصيحون ويستغيثون من الجوع.

فإذا كانت نعمة قد سلبت منك فكم رزقك الله من نعم، فإن حدثت بهذا فحدثت بذلك ولا تجحد فضل الله عليك، ولا تؤرق والديك وتعكر عليهما صفو عيشهما. وكذلك الفتاة التي تزوجت فوجدت من زوجها أموراً تكرهها خاصة في مستهل حياتهما في الغالب تكون أحوالها غير متوافقة مع زوجها لاختلاف الطبع والمنشأ، وسرعان ما يحدث تآلف وتقارب بإذن الله، فلا يليق بالفتاة إذن أن تخبر والديها بما يزعجها ويؤرق مضجعهما، اللهم إلا فيما لا بد منه للإصلاح والاستدراك، والله أعلم.

هذا ومما يستفاد من هذا الحديث: أن الولد إذا كان بيده طعامٌ شهياً أو غير شهياً وهو يأكل والوالدان أمامه، أو يقسم والوالدان بجواره، فيستحب له أن يؤثرهما على نفسه، والله تعالى أعلم (١)

ثم إن الأم أحقُّ الناس بحسن الصحبة

ففي الصحيحين (٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أبوك.»

وهذا أويس بن عامر القرني، رجلٌ بارٌّ بأمه لو أقسم على الله لأبره.

إنه تابعي جليل من أهل اليمن كان باراً بأمه، وكان به برص فدعا الله فشفاه منه. لقد أمر النبي ﷺ أن يطلبوا من أويس الاستغفار لهم، ووصفه النبي ﷺ بأنه خير التابعين.

فترى ما الذي سما بهذا التابعي الجليل إلى هذه المنزلة السامية الرفيعة التي معها

(١) قال الحافظ في «الفتح»: وقد استشكل تركه أولاده الصغار يبيكون من الجوع طول ليلتهما مع قدرته على تسكين جوعهم، فقيل: كان في شرعهم تقديم نفقة الأهل على غيرهم. وقيل: يحتمل أن يكون بكاؤهم ليس من الجوع، وقد تقدم ما يردده. وقيل: لعلمهم كانوا يطلبون زيادة على سد الرمق، وهذا أولى. قلت: «مصطفى»: والظاهر والله أعلم بالصواب أن حال الأبوين من الضعف والاحتياج كان أشد من حال الصبية الصغار وقد دلَّ على ذلك قوله: «إنه كان لي أبوان شيخان كبيران»، فلذلك أثرهما وأثر سد جوعتهما على أولاده وعلى جوعه الأولاد وهذه حال بلا شك تختلف عن حال الأب إذا كان شاباً قوياً والابن ضعيف وسقيم.

أما كونه وقف ببابهما طول الليل، فذلك والله أعلم خشية أن يستيقظا، أو يوقظهما الجوع فلا يجدان طعاماً، ولا يعرفان له مكاناً فيشوق ذلك عليهما، فمن ثم خشى الابن أن ينام وخشى أن يسقي الأولاد قبل ذلك؛ لكون اللين قد لا يكفي إلا الأبوين وهما أحوج، والله أعلم.

(٢) البخاري (مع الفتح ٥٩٧١) ومسلم (مع النووي ٤١٠/٥).



استجاب الله دعاءه؛ إذ دعاه بإذهاب ما به من برص؟! ما الذي صنعه هذا التابعي الجليل حتى قال رسول الله ﷺ لصاحبه: «إن استطعت أن يستغفر لك فافعل»!!؟

ما الذي وصل به إلى تلك الرتبة العلية حتى يقول له المحدث الملهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أحد العشرة المبشرين بالجنة، الذي تفر منه الشياطين، يقول: استغفر لي يا أويس؟!!

إن الذي أوصله إلى تلك المكانة السامقة بعد إيمانه وتصديقه بره بأمه! فهكذا البر يصنع بالأبرار ويبلغ بالمتقين.

لقد أخرج مسلم ^(١) قصته من طريق أسير بن جابر قال: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ سَأَلَهُمْ: أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ فَقَالَ: أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: مَنْ مُرَادٍ تَمَّ مِنْ قَرْنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: لَكَ وَالِدَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ تَمَّ مِنْ قَرْنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَةٍ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفَرَ لَكَ فَافْعَلْ؛ فَاسْتَغْفِرْ لِي، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الْكُوفَةَ، قَالَ: أَلَا أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِهَا؟ قَالَ: أَكُونُ فِي غَبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ ^(٢). قَالَ: فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ حَجَّ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ فَوَافَقَ عُمَرَ فَسَأَلَهُ عَنْ أُوَيْسٍ قَالَ: تَرَكْنَاهُ رَثَّ الْبَيْتِ ^(٣) قَلِيلَ الْمَتَاعِ. قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ ^(٤) أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ تَمَّ مِنْ قَرْنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَةٍ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفَرَ لَكَ فَافْعَلْ، فَأَتَى أُوَيْسًا فَقَالَ: اسْتَغْفِرْ لِي قَالَ: أَنْتَ أَحَدْتُ عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ فَاسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: اسْتَغْفِرْ لِي. قَالَ أَنْتَ أَحَدْتُ عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ فَاسْتَغْفِرْ لِي. قَالَ: لَقِيتَ عُمَرَ قَالَ: نَعَمْ فَاسْتَغْفَرَ لَهُ، فَفَطِنَ لَهُ النَّاسُ فَانْطَلَقَ عَلَى وَجْهِهِ. قَالَ أُسَيْرٌ: وَكَسَوْتُهُ

(١) مسلم (٢٥٤٢) (ص ١٩٦٩).

(٢) غبراء الناس أي: ضعفاء الناس وأخلاق الناس الذين لا يؤبه لهم.

(٣) قلة المتاع وحقارة المتاع وضيق العيش.

(٤) أمداد أهل اليمن: هم الجماعة الغزاة الذين يمدون جيوش الإسلام في الغزو واحدهم مدد.

بُرْدَةٌ فَكَانَ كُلَّمَا رَأَهُ إِنْسَانٌ قَالَ: مَنْ أَيْنَ لِأُوَيْسَ هَذِهِ الْبُرْدَةُ؟

وفي رواية أخرى عند مسلم أيضاً من طريق أسير بن جابر أن أهل الكوفة وفدوا إلى عمر، وفيهم رجل ممن كان يسخر بأويس فقال عمر: هل هاهنا أحد من القرنيين؟ فجاء ذلك الرجل فقال عمر: إن رسول الله ﷺ قد قال: «إِنَّ رَجُلًا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ: أُوَيْسَ، لَا يَدْعُ بِالْيَمَنِ غَيْرَ أُمَّ لَهُ قَدْ كَانَ بِهِ بَيَاضٌ فَدَعَا اللَّهَ فَأَذْهَبَهُ عَنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ الدِّيَارِ أَوْ الدَّرْهَمِ فَمَنْ لَقِيَهِ مِنْكُمْ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ».

وفي الثالثة أيضاً عند مسلم: عن عمر بن الخطاب قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: أُوَيْسَ. وَلَهُ وَالِدَةٌ وَكَانَ بِهِ بَيَاضٌ فَمُرُوهُ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ».

وهذه دعوة أم قد استجيبت في ولدها لما دعته فلم يجيبها مع أنه كان في صلاة.

فها هو جريج العابد تدعوه أمه وهو يصلي فلم يجيبها، وتكرر النداء فلم يجيبها فتدعو عليه أن يرى وجوه المياميس وقد كان.

أخرج البخاري ومسلم ^(١) من حديث أبي هريرة قال «لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ: عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَكَانَ جُرَيْجٌ رَجُلًا عَابِدًا، فَاتَّخَذَ صَوْمَعَةً فَكَانَ فِيهَا، فَأَتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ صَلَاتِي فَأَنْصَرَفْتُ. فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ صَلَاتِي فَأَنْصَرَفْتُ. فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ! فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي فَأَقْبَلَ عَلَيَّ صَلَاتِي، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا تُمِثَّهُ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى وَجْهِهِ الْمُؤْمِسَاتِ. فَتَذَاكِرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ جُرَيْجًا وَعِبَادَتَهُ، وَكَانَتْ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ يَتَمَثَّلُ بِحُسْنِهَا فَقَالَتْ: إِنَّ شَيْئًا لَأَقْتِنُهُ لَكُمْ. قَالَ: فَتَعَرَّضَتْ لَهُ فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا، فَأَتَتْ رَاعِيًا كَانَ يَأْوِي إِلَى صَوْمَعَتِهِ فَأَمَكَّنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا، فَوَقَعَ عَلَيْهَا، فَحَمَلَتْ فَلَمَّا وُلِدَتْ قَالَتْ: هُوَ مِنْ جُرَيْجٍ. فَأَتَوْهُ فَاسْتَنْزَلُوهُ، وَهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قَالُوا: زَيْنَتْ بِهَذِهِ الْبَغِيِّ فَوُلِدَتْ مِنْكَ!!! فَقَالَ: أَيْنَ الصَّبِيِّ؟ فَجَاءُوا بِهِ فَقَالَ: دَعُونِي حَتَّى أَصَلِّيَ. فَصَلَّى فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَى الصَّبِيَّ فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ وَقَالَ: يَا غُلَامُ، مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: فُلَانُ الرَّاعِي. قَالَ: فَأَقْبَلُوا عَلَيَّ جُرَيْجٌ يُقْبَلُونَهُ وَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ وَقَالُوا: نَبِيٌّ لَكَ صَوْمَعَتِكَ مِنْ ذَهَبٍ. قَالَ: لِمَا أَعِيدُوا مِنْ طِينٍ كَمَا كَانَتْ فَعَلُوا».

جعلنا الله وإياكم كراماً بررة بالأباء والأمهات، وأسكننا الله وإياكم الفردوس،

(١) البخاري مع «الفتح» (٤٧٦/٦)، ومسلم مع النووي (٤١٤/٥).



وكتب كتابنا أجمعين في عليين.

استغفروا ربكم إنه كان غفاراً.

الخطبة الثانية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد:

أما وقد سمعتم - وفقكم الله - بعض ما ورد في بر الوالدين من فضل فهذا مزيد من الحث على إكرام الوالدين عند الكبر؛ إذ التأكيد على بر الوالدين وإكرامهما والإحسان إليهما عند الكبر والشيخوخة يزداد؛ فهذه حالة من الضعف تستلزم مزيداً من الإحسان.

ومن ثم فقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٣ ﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ٢٤ ﴾

(١) هذا، وقد قال القرطبي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾ (الإسراء: ٢٣).

خص حالة الكبر لأنها الحالة التي يحتاجان فيها إلى بره لتغيير الحال عليهما بالضعف والكبر؛ فالزوم في هذه الحالة من مراعاة أحوالهما أكثر مما ألزمه من قبل؛ لأنهما في هذه الحالة قد صارا كلاً عليه، فيحتاجان أن يلي منهما في الكبر ما كان يحتاج في صغره أن يليها منه، فلذلك خص هذه الحالة بالذكر. وأيضاً: فطول المكث للمرء يوجب الاستئصال للمرء عادة، ويحصل الملل، ويكثر الضجر فيظهر غضبه على أوبوه وتنتفخ أوداجه، ويستطيل عليهما بدالة البنوة وقلة الديانة، وأقل المكروه ما يظهره بتنفسه المتردد من الضجر، وقد أمر أن يقابلهما بالقول الموصوف بالكرامة وهو السالم عن كل عيب فقال: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٣﴾ (الإسراء: ٢٣).

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٣﴾.

قال القرطبي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ﴾ أي لا تقل لهما ما يكون فيه أدنى تبرم.

وعن أبي رجاء العطاردي قال: الألف: الكلام القُدع الرديء الخفي. وقال مجاهد: معناه: إذا رأيت منهما في حالة الشيخ الغائط والبول الذي رأياه منك في الصغر فلا تُقَدِّرُهُمَا وتقول: آف. والآية أعم من هذا. قوله تعالى: ﴿وَلَا نَهْرُهُمَا﴾ النهر: الزجر والغلظة.

﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٣﴾ أي لينا لطيفاً، مثل: يا أبتاه ويا أماه، من غير أن يسميها ويكنيها. قال عطاء: وقال ابن البداح الثجبي: قلت لسعيد بن المسيب: كل ما في القرآن من بر الوالدين قد عرفته إلا من قوله: ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٣﴾ ما هذا القول الكريم؟ قال ابن المسيب: قول العبد المذنب للسيد القَطُّ الغليظ.

[الإسراء: ٢٣، ٢٤].

وفي حديث الثلاثة أصحاب الغار، وقد تقدم، قال أحدهم: «اللهم إنه كان لي أبوان شيخا كبيران...» الحديث فتوسل فيه الرجل بإحسانه إلى أبويه عند الشيخوخة والكبر فأجاب الله دعاءه.

وهاهم إخوة يوسف عليه السلام يتوسلون إليه بشيخوخة أبيهم وتقدمه في السن فيقولون: (يَتَأَيُّبُ الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾) [يوسف: ٧٨].

وفي صحيح مسلم (١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «رَغِمَ أَنْفٌ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ. قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَوْ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ». ثم هذه لفظة أيها الكرام..

فإذا تقلدت منصبًا أو بلغت مرتبة، فأتاك أبوك زائرًا فبالغ في الاحتفاء به وإكرامه. فها هو نبي الله يوسف يستقبل والديه بحفاوة بالغة وهو عزيز على مصر، وقد أتيا مع إخوته من البدو، فيستقبلهم يوسف عليه السلام مرحبًا قائلًا: (ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾) [يوسف: ٩٩] ثم إنه أيضًا (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ) [يوسف: ١٠٠]. أي: أجلسهما معه على سرير الملك، ولم يستنكف من ذلك أمام أهل مصر. فأين هذا الصنيع النبوي الكريم من صنيع أقوام أعمى الله بصائرهم، يجتهد والد

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: (إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَلْمِزْ لَهُمَا فَيَزِيلَا نَفْسَهُمَا وَتَقُولَا لَهُمَا قَوْلَا كَرِيمًا) أي: لا تسمعهما قولًا سيئًا حتى ولا التأقيف الذي هو أدنى مراتب القول السيئ (وَلَا تَنْهَرُهُمَا) أي: ولا يصدر منك إليهما فعل قبيح كما قال عطاء بن أبي رباح في قوله: ((وَلَا تَنْهَرُهُمَا)) أي: لا تنفض يدك عليهما، ولما نهاه عن القول القبيح والفعل القبيح أمره بالقول الحسن والفعل الحسن فقال: (وَقُلْ لَهُمَا قَوْلَا كَرِيمًا) أي: ليئنا طيبًا حسنًا بتأدب وتوقير وتعظيم (وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ) أي: تواضع لهما بفعلك (وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) أي: في كبرهما وعند وفاتهما.

أما معنى قوله تعالى: (وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ).

أخرج البخاري في «الأدب المفرد» بإسناد صحيح عن عروة بن الزبير قال: (وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ

مِنْ

=الرَّحْمَةِ) قال: لا تمتنع من شيء أحياه.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: (وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ) أي: تواضع لهما بفعلك.

(١) مسلم مع النووي (٢٥٥١).



أحدهم ويتعب ويكد لتوفير احتياجات ولده ويحرص على ولده غاية الحرص حتى ينتهي من دراسته الجامعية، فيصبح على سبيل المثال طبيباً، ثم يأتيه أبوه زائراً فيعامله كرجل أجنبي حتى لا يفتضح بزعمه أمام زملائه بكون أبيه عاملاً أو أمياً أو فلاحاً.

وهذه - أيها الإخوة - فائدة حول قوله تعالى: (رَبُّكُمُ اعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِ غَفُورًا ﴿٢٥﴾) [الإسراء: ٢٥].

هذه الآية الكريمة جاءت عقب قوله تعالى: ﴿ وَفَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَلْعَنَ عِنْدَكَ الْكِبَرُ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لِمَا آفَىٰ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٣٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

فالولد الصالح وهو يحسن إلى والديه قد يصدر منه تأفف لسوء تصرف صدر من الوالد أو من الوالدة، قد يتلفظ الولد الصالح بكلمة شديدة لأبويه أو لأحدهما والله يعلم أنه صالح ولا يقصد الإساءة، إنما قد يخطئ في العلاج وتقدير الأمور، ثم إن هذا الولد الصالح بشرٌ يعتري البشر وينوبه ما ينوبهم من الانفعالات والغضب والذنوب، فيخطئ في حق والديه أو أحدهما، ولكنه يندم بعد صدور الذنب منه وبعد وقوعه في الخطأ، فمثل هذا لا ينبغي أن يقنط من رحمة الله، ولا ينبغي أن يبأس من روح الله، فقد فتح أمامه باب التوبة؛ إذ قال تعالى: (رَبُّكُمُ اعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِ غَفُورًا ﴿٢٥﴾) [الإسراء: ٢٥] أي: إن تكونوا رجاعين عن ذنوبكم فإن الله كان لكم - أيها التائبون إليه المقلعون عن ذنوبكم - غفوراً.

فأصلح أيها الولد الصالح ما قد أفسدته مع والديك وسل الله التوفيق والسداد على الدوام.

نسأل الله أن يوفقنا وإياكم للتوبة النصوح واستدراك ما قد فات.

الدعاء...

* * *

m

خطر العقوق

وبيان ما ينفع الوالدين بعد الوفاة

أما بعد: فكما قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: كان الناس يسألون رسول الله \square عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني. فانطلاقاً من هذا نحذر إخواننا المسلمين من كبيرة من أعظم الكبائر حتى لا يستهين بها مستهين، ولا يفترفها مقترف. **ألا وهي جريمة العقوق:** عقوق الوالدين؛ فتلك جريمة بشعة، وكبيرة من أكبر الكبائر.

أخرج البخاري ومسلم ^(١) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ \square ثَلَاثًا: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرَ الْكِبَائِرِ؟» قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «الِإِشْرَاقُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَكَمَانَ مُتَكِنًا فَجَلَسَ فَقَالَ: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ» فَمَا زَالَ يَقُولُهَا حَتَّى قُلْتُ: لَا يَسْكُتُ. وعند البخاري ^(٢) ومسلم أيضًا من حديث أنس رضي الله عنه قال: «ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ الْكِبَائِرَ أَوْ سئَلَ عَنِ الْكِبَائِرِ فَقَالَ: الشَّرْكُ بِاللَّهِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ. فَقَالَ: أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِأَكْبَرَ الْكِبَائِرِ؟ قَالَ: قَوْلُ الزُّورِ، أَوْ شَهَادَةُ الزُّورِ». قال شعبة: فأكثر ظني أنه قال: شهادة الزور.

فجاء العقوق في ترتيب الجرائم بعد الشرك بالله ﷻ ، فكما أن بر الوالدين جاء بعد الأمر بالتوحيد في أعمال البر، فكذلك ففي المقابل جاء النهي عن العقوق وبيان خطره بعد النهي عن الشرك. فسبحان الله، جاء العقوق قبل الزنا والقتل والعياذ بالله، وبلا شك فللعقوق مراتب

(١) البخاري (٥٩٧٦)، ومسلم (٨٧).

(٢) البخاري (٥٩٧٧)، ومسلم (٨٨).

ودركات.

هذا في عقوق الوالدين جميعاً، ثم إن عقوق الأمهات إثمه أشدُّ وعقوبته أعظم. فالأم أحق الناس بحسن الصحبة كما صح بذلك الخبر عن رسول الله ﷺ، ثم هي ضعيفة، وأذى الضعفاء عقوبته أغلظ، ومن ثمَّ فضلاً عما تقدم من تحريم عقوق الوالدين جاء نص آخر يحرم عقوق الأمهات على وجه الخصوص، فأخرج البخاري ومسلم ^(١) من حديث المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ، وَمَنْعًا وَهَاتِ، وَوَادِ الْبَنَاتِ، وَكَرَهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ». فاحذروا - حفظنا الله وإياكم - غضب الله عليكم؛ فالعقوق يجلب غضب الرب سبحانه وتعالى.

وإياك ثم إياك أن تسب والديك أو تجلب لهما السباب. فمن أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه، أو أن يجلب لهما السباب، فقد أخرج البخاري ومسلم ^(٢) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ».

ولا يردُّ الولد على أبيه السباب والشتم قال تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾ [الإسراء: ٢٣] فإذا نال الوالد من ولده أو ضربه أو سبه؛ فليس من الأدب ولا من الخلق الحسن بحالٍ من الأحوال أن يرد الابن على الأب بمثل الذي صنع. وهذه دعوة أم قد استجيبت في ولدها، فاحذر دعاء الوالدين عليك واحرص على رضاها بعد رضا الله عز وجل.

إنها أم جريج العابد جاءت تدعوه وهو يصلي فلم يجبهها، وتكرر النداء فلم يجبهها فدعت عليه أن يرى وجوه المياميس وقد كان.

أخرج البخاري ومسلم ^(٣) من حديث أبي هريرة قال: «لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ: عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَكَانَ جُرَيْجٌ رَجُلًا عَابِدًا فَاتَّخَذَ صَوْمَعَةً فَكَانَ فِيهَا فَاتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، فَقَالَ: يَا رَبَّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ صَلَاتِي فَأَنْصَرَفْتُ،

(١) البخاري ومسلم (٥٩٧٥) ومسلم (٥٩٣).

(٢) البخاري (٥٩٧٣)، ومسلم (ص ٩٢)، وغيرهما.

(٣) البخاري مع «الفتح» (٤٧٦/٦)، ومسلم مع النووي (٤١٤/٥).

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، فَقَالَ: يَا رَبَّ أُمَّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ فَأَنْصَرَفَتْ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ أُمَّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا تُمِثَّهُ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى وُجُوهِ الْمُؤْمِسَاتِ. فَتَذَكَّرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ جُرَيْجًا وَعِبَادَتَهُ، وَكَانَتْ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ يَتَمَثَّلُ بِحُسْنِهَا فَقَالَتْ: إِنَّ شَيْئًا لَأَفْتِنُهُ لَكُمْ قَالَ: فَتَعَرَّضْتُ لَهُ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا، فَأَتَتْ رَاعِيًا كَانَ يَأْوِي إِلَى صَوْمَعَتِهِ فَأَمَكْنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا، فَوَقَعَ عَلَيْهَا، فَحَمَلَتْ فَلَمَّا وُلِدَتْ قَالَتْ: هُوَ مِنْ جُرَيْجٍ. فَأَتَوْهُ فَاسْتَنْزَلُوهُ، وَهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قَالُوا: زَيْنَتْ بِهَذِهِ الْبَغِيِّ فَوَلِدَتْ مِنْكَ!!! فَقَالَ: أَيْنَ الصَّبِيِّ؟ فَجَاءُوا بِهِ فَقَالَ: دَعُونِي حَتَّى أَصَلِّي، فَصَلَّى فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَى الصَّبِيَّ فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ وَقَالَ: يَا غُلَامُ، مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: فُلَانُ الرَّاعِي. قَالَ: فَأَقْبَلُوا عَلَى جُرَيْجٍ يُقْبَلُونَهُ وَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ وَقَالُوا: نُبْنِي لَكَ صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ. قَالَ: لِي، أَعِيدُوهَا مِنْ طِينٍ كَمَا كَانَتْ ففَعَلُوا».

فاحرص - بارك الله فيك - على استغفار والديك لك والدعاء لك فمهما أحسنت إليهما من إحسان وصنعت لهما من معروف فلن يوفيهما حقوقهما، وقد قال تعالى: (كَلَّا لَمَآ يَقِصُّ مَا أَمَرُ: ٢٣) [عبس: ٢٣] أي: لم يقم الإنسان بكل ما أمره به ربه سبحانه وتعالى. وها هم إخوة يوسف عليه السلام يطلبون من أبيهم الاستغفار لهم فيقولون: (قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ) [يوسف: ٩٧]. واعلموا - بارك الله فيكم - أن طاعة الوالدين إنما هي في المعروف وفيما لا إثم فيه ولا حرام.

فقد أخرج البخاري ومسلم ^(١) من حديث علي عليه السلام أن النبي ﷺ بعث جيشًا وأمر عليهم رجلًا فأوقد نارًا وقال: ادخلوها فأرادوا أن يدخلوها، وقال آخرون: إنما فررنا منها، فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال للذين أرادوا أن يدخلوها: «لو دخلوها لم يزلوا فيها إلى يوم القيامة وقال للآخرين: لا طاعة في المعصية، إنما الطاعة في المعروف» ^(٢). وأخرج أحمد ^(٣) بإسناد صحيح عن حنظلة بن خويلد العنبري قال: بينما أنا عند

(١) أخرجه البخاري مع «الفتح» (٢٣٣/١٣)، ومسلم (١٨٤٠).

(٢) وصح عن النبي ﷺ كما في البخاري (١٢١/١٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»، وقال الله سبحانه وتعالى: (وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) [الكهف: ٢٨].

(٣) أحمد في المسند (١٦٤/٢، ١٦٥).



معاوية إذ جاءه رجلان يختصمان في رأس عمار يقول كل واحد منهما: أنا قتلتك. فقال عبد الله بن عمرو: ليطب به أحدكما نفساً لصاحبه؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تَقْتُلُهُ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ» قال معاوية: فما بالك معنا قال: إن أبي شكاني إلى رسول الله ﷺ فقال: «أَطِعْ أَبَاكَ مَا دَامَ حَيًّا وَلَا تَعْصِهِ» فأنا معكم ولست أقاتل.

فعبد الله بن عمرو رضي عنه ، وإن أطاع أباها لكون النبي ﷺ أوصاه بذلك فقال: «أَطِعْ أَبَاكَ مَا دَامَ حَيًّا وَلَا تَعْصِهِ» إلا أنه لم يقاتل المسلمين ولم يرفع سيفه عليهم رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

وهذه جملة من الأدلة في النهي عن تقليد الآباء فيما هم عليه من كفر وعصيان وبدعة ومنكر وضلال: حيث إن هذا التقليد الأعمى سبيل أهل الكفر والضلال.

قال الله تعالى: (إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٦﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِم مُّرْعُونَ ﴿٧٠﴾) [الصفافات: ٦٩، ٧٠].
وقال تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاءَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾) [البقرة: ١٧٠].

وقال تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾) [القمان: ٢١].

فاحرصوا - بارك الله فيكم - على إرضاء الوالدين. فحتى الجهاد في سبيل الله الذي هو ذروة سنام الإسلام يستأذن له الوالدان إذا كانا مسلمين، وكان الجهاد فرضاً على الكفاية.

أخرج البخاري ومسلم ^(١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فاستأذنه في الجهاد فقال: «أَحْيِ وَالِدَاكَ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ». قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في شرح هذا الحديث: وفيه أن بر الوالدين قد يكون أفضل من الجهاد.

وفي لفظ آخر لمسلم ^(٢) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أيضاً قال: أقبل رجل إلى نبي الله ﷺ فقال: أبايك على الهجرة والجهاد، أبتغي الأجر من الله. قال: «فَهَلْ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ؟» قَالَ: نَعَمْ بَلْ كِلَاهُمَا. قَالَ: «فَتَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ؟» قَالَ:

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٤)، ومسلم (٢٥٩٤).

(٢) مسلم (ص ١٩٧٥).

نَعَمْ. قَالَ: «فَارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا». وأخرج أبو داود ^(١) بإسناد حسن عن عبد الله بن عمرو قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: جئت أبايعك على الهجرة، وتركت أباي بيكيان فقال: «ارْجِعْ إِلَيْهِمَا فَأُضْحِكُهُمَا كَمَا أَبْكَيْتُهُمَا». ثم إنه يجدر بنا أن نذكر بمسائل قد يظن الشخص أنها من العقوق، وما هي من العقوق، ومسائل لأهل العلم فيها وجوه وآراء منها:

شهادة الحق على الوالدين:

والشهادة على الوالدين إذا كان عليهما حق ليست من العقوق في شيء بل هي عين البر.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوُّا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ [النساء: ١٣٥].

ثم إن النبي ﷺ قد قال: «انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا قِيلَ: كَيْفَ نُنصِرُهُ ظَالِمًا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ».

أما مسألة تحاكم الولد مع والده هل هو جائز أم إنه من العقوق؟

فإذا كانت هناك مسألة ظلم فيها الوالد ولده فرفعها الولد إلى قاضٍ أو حاكمٍ؛ فليس هذا من العقوق إذا كان لرفع ظلم أو لإثبات حق أو لفض نزاع، أما إذا كان ذلك لإهانة الوالد أو للتشهير به أو لابتزازه بلا سبب، فهذا حرام وعقوق، وهو من الكبائر. ومن الأدلة على جواز رفع الوالد إلى القاضي أو الحاكم لإثبات حق أو لفض نزاع: ما أخرجه البخاري ^(٢) من حديث معن بن يزيد أنه قال: بايعت رسول الله أنا وأبي وجدِّي، وخطب عليّ فأنكحني وخاصمتُ إليه، وكان أبي يزيد أخرج دنائير يئصدق بها، فوضعتها عند رجل في المسجد، فجئت فأخذتها فأتيته بها فقال: والله ما إيالك، أردت فأصمته إلى رسول الله ﷺ فقال: «لَكَ مَا تَوَيْتَ يَا يَزِيدُ، وَلَكَ مَا أَخَذْتَ يَا مَعْنُ» قال الحافظ ابن حجر رحمه الله:

وفيه جواز التحاكم بين الأب والابن، وأن ذلك بمجرد لا يكون عقوقاً ^(٣).

(١) أبو داود (حديث ٢٥٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٢٢).

(٣) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: فيه: أن الأب لا رجوع له في الصدقة على ولده بخلاف الهبة. والله أعلم.



* ويجوز للولد أن يستدرك على والديه أو يختار رأياً غير رأيهما إن كان في استدراكه صواب وخير معروف، وليبرز ذلك بطريقة حسنة مكلفة بالوقار والخلق الرفيع والأدب الحسن.

قال الله تبارك وتعالى: (وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكَلَّمَا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحُ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ [الأنبياء: ٧٨، ٧٩].

ذكر العلماء في ذلك ما حصله:

أن غنماً لقوم دخلت على حرث رجل وقيل: إنه بستان عنب، فأفسدت الحرث فتحاكم أصحاب الحرث مع أصحاب الغنم عند نبي الله داود عليه السلام، ف قضى أن الغنم تعطى كلها لأصحاب الحرث. فخرجوا من عنده فاستوقفهم سليمان عليه السلام وراجع أباه، وقضى سليمان عليه السلام أن أصحاب الحرث يأخذون الغنم يستمتعون بأصوافها وألبانها وسائر ما ينتفع به منها، على أن يأخذ أصحاب الغنم البستان الذي أصيب فيعيدوه ويصلحوه كما كان، فإذا أصلحوه وعاد كما كان ردوا إليهم غنمهم وأخذوا بستانهم، والله أعلم.

وفي هذا الباب أيضاً قصة سليمان مع المرأتين اللتين ذهب الذئب بابين إحداهما، فقد أخرج البخاري ^(١) ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كَانَتِ امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا جَاءَ الذَّبُّ فذَهَبَ بِأَبْنٍ إِحْدَاهُمَا فَقَالَتْ لِصَاحِبَتِهَا: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكَ، وَقَالَتِ الْآخَرَى: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكَ فَتَحَاكَمْنَا إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَضَى بِهِ لِلْكُبْرَى، فَخَرَجَتْ عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَأَخْبَرَتْهُ فَقَالَ: انْثَوْنِي بِالسَّكِينِ أَشْفَقَهُ بَيْنَهُمَا، فَقَالَتِ الصُّغْرَى: لِمَا تَفَعَّلَ يَرَحْمُكَ اللَّهُ هُوَ ابْنُهَا فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى.»

* وليس من العقوق أن تعترض الفتاة على رأي والدها إذا أجبرها على الزواج.

ليس للوالد أن يجبر ابنته على الزواج من شخص لا ترضاه، ثم إنه من حق الفتاة أن تبدي رأيها في الشخص الراغب في الزواج بها، سواء كان هذا الإبداء بالسكوت الذي يدل على الرضا، أم كان بالنطق بالموافقة.

أخرج البخاري ومسلم ^(٢) من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «لَا تُنْكَحُ

(١) البخاري (٦٧٦٩)، ومسلم (١٧٢٠).

(٢) البخاري (٥١٣٦)، ومسلم (١٤١٩).

الأيِّمُ ^(١) حَتَّى تُسْتَأْمَرَ، وَلَا تُنْكَحَ الْبِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ إِذْنُهَا؟ قَالَ: أَنْ تَسْكُتَ».

وأخرج البخاري ومسلم ^(٢) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن الجارية يُنكحها أهلها، أتستأمر أم لا؟ فقال رسول الله ﷺ: «نَعَمْ تُسْتَأْمَرُ». فقالت عائشة: فقلتُ له: فَإِنَّهَا تَسْتَحْيِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَذَلِكَ إِذْنُهَا إِذَا هِيَ سَكَتَتْ».

* ويتأكد حق الثيب في ذلك:

أخرج مسلم ^(٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «الأيِّمُ أَحَقُّ بِنَفْسِهَا مِنْ وَلِيِّهَا، وَالْبِكْرُ تُسْتَأْذَنُ فِي نَفْسِهَا. وَإِذْنُهَا صَمَاتُهَا».

وليس للمرأة أن تتزوج بغير إذن أبيها. وكما أن الأب ليس له أن يُجبر ابنته على الزواج بمن لا تريده، فليس لها هي الأخرى أن تتزوج بغير إذن وليها؛ فقد قال النبي ﷺ: «لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيِّ» ^(٤).

وقال ﷺ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ نَكَحْتَ بِغَيْرِ إِذْنِ مَوْلِيهَا فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ ثَلَاثًا» ^(٥). ولها مهرها بما أصاب منها فإن اشتجروا فإن السلطان ولي من لا ولي له. وتستوي في هذا الثيب والبكر أيضًا فعند البخاري ^(٦) من طريق الحسن قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْضُوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٢] ، قال: حدثني معقل بن يسار أنها نزلت فيه قال: زوجت أختًا لي من رجل فطلقها حتى إذا انقضت عدتها جاء يخطبها، فقلت له: زوّجك وأفرسك وأكرمك فطلقتها ثم جئت تخطبها، لا والله لا تعود إليك أبدًا وكان رجلًا لا بأس به، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه، فأنزل الله هذه الآية: ﴿فَلَا تَعْضُوهُنَّ﴾ فقلت: الآن أفعَل يا رسول الله، قال: «فزوجها إياه».

وجه الدلالة من هذا الحديث أن قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْضُوهُنَّ﴾ أي: لا تمنعهن، وواضح أن سياق الآية الكريمة في الثيب، ويستفاد منه الولاية على الثيب أيضًا.

(١) الأيم هنا هي الثيب، وأحيانًا تطلق الأيم على من لا زوج لها.

(٢) البخاري (٦٩٤٦)، ومسلم (١٤٢٠).

(٣) مسلم (١٤٢١).

(٤) أبو داود (٢٠٨٥) من حديث أبي موسى رضي الله عنه مرفوعًا بإسناد صحيح ولمزيد من التخريج والكلام حوله انظر كتابنا «جامع أحكام النساء» (٢١٧/٣، ٢١٨).

(٥) صحيح، أخرجه أحمد (١٥٦/٦) وغيره.

(٦) البخاري (٥١٣٠).

وليس لأحد الأبوين أن يلزم ولده بنكاح من لا يريد. **وقد أجاب شيخ الإسلام ابن تيمية بنحو هذا فقال (١):** ليس لأحد الأبوين أن يلزم الولد بنكاح من لا يريد، وأنه إذا امتنع لا يكون عاقاً، وإذا لم يكن لأحد أن يلزمه بأكل ما ينفر عنه مع قدرته على أكل ما تشتهيه نفسه كان النكاح كذلك وأولى؛ فإن أكل المكروه مرارة ساعة، وعشرة المكروه من الزوجين على طول يؤدي صاحبه كذلك ولا يمكن فراقه.

جنبنا الله وإياكم العقوق، وسائر منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء. استغفروا ربكم إنه كان غفراً.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد الأمين، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين. وبعد:

أيها الإخوة بارك الله فيكم...

دوماً لا ينبغي أن نياس من رحمة الله، ولا نقنط من روح الله. فمن فاته بر والديه في حياتهما فماتا ولم يكن قد أحسن إليهما، وأيضاً من أراد أن يواصل البر والإحسان إلى والديه، وقد كان باراً بهما في حياتهما، فما هي أمور يفعلها الابن بعد وفاة والديه يصل ثوابها إليهم إن شاء الله تبارك وتعالى وينتفعان بها. ولا يياس ولا يقنط من فرط في حق والديه، فما هي أبواب البر مفتوحة، وسبل للخير متاحة ومشروعة فمن ذلك:

الاستغفار للوالدين وطلب الرحمة لهما في حياتهما وبعد الممات.

فهذا نبي الله نوح □ يدعو ربه قائلاً: (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا) (نوح: ٢٨).

وقد قال الله تبارك وتعالى: (وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا) (الإسراء: ٢٤).

فجدير بالولد - إذن - أن يستغفر لوالديه؛ فإن العبد إذا مات نفعه استغفار ولده له، قال النبي □ : «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنَّى

(١) «مجموع الفتاوى» (٣٠/٣٢).

لي هذه؟! فيقول: باستغفار ولدك لك»^(١).

وقال النبي ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث... أو ولد صالح يدعو له»^(٢).

والاستغفار نوع دعاء.

*** ومن ذلك أداء الدين الذي عليهما.**

فقد أخرج البخاري^(٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت، أفأحج عنها؟ قال: «نعم، حُجِّي عنها، أرايت لو كان على أمك دينٌ قاضيته؟ اقضوا الله، فالله أحق بالوفاء». وهذا عمر رضي الله عنه يوصي ولده بسداد ديونه بعد موته، ففي البخاري^(٤) في قصة مقتل عمر، أن عمر قال: «يا عبد الله بن عمر، انظر ما علي من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفاً أو نحوه قال: إن وفي له مال آل عمر فأده من أموالهم، وإلا فسل في بني عدي بن كعب، فإن لم تف أموالهم فسل في قريش ولا تعدهم إلى غيرهم فأد عني هذا المال».

ومن ذلك إنفاذ الوعود.

فالوعد التي وعدها أبواك أقواماً يستحب لك أن تفي بها إنجازاً للوعد، ووفاءً للوالدين، وابتغاء للأجر والثواب من الله عز وجل. وهذا أبو بكر رضي الله عنه يقضي عن رسول الله ﷺ العدة أو الدين. أخرج البخاري^(٥) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه: قال النبي ﷺ: «لو قد جاء مال البحرين قد أعطيتك هكذا وهكذا»، فلم يجئ مال البحرين حتى قبض النبي ﷺ، فلما جاء مال البحرين أمر أبو بكر فنأدى: من كان له عند النبي ﷺ عدة أو دينٌ فليأتنا، فأتيناه فقلت: إن النبي ﷺ قال لي كذا وكذا فحنتي لي حثية، فعددتها فإذا هي خمسمائة، وقال خذ مثلها».

ومن ذلك الصدقة الجارية:

(١) أحمد في المسند (٥٠٩/٢) بسند حسن.

(٢) مسلم (حديث ١٦٣١).

(٣) البخاري (حديث ١٨٥٢).

(٤) البخاري (حديث رقم ٣٧٠٠).

(٥) البخاري (٢٢٨٦).



فالصدقة عن الميت يصل ثوابها إليه، وينتفع بها وقد نقل النووي رحمه الله تعالى الإجماع على ذلك ^(١) ومما يدل على ذلك ما يلي:

ما أخرجه البخاري ^(٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً ^(٣) قال لرسول الله ﷺ: إن أمه توفيت أينفعها إن تصدقت عنها؟ قال: «نعم قال: فإن لي مخرافاً، فأنا أشهدك أنني قد تصدقتُ به عنها».

وأخرج البخاري ومسلم ^(٤) من حديث عائشة رضي الله عنها أن رجلاً قال للنبي ﷺ: إن أمي افتلنت نفسها، وأراها لو تكلمت تصدقت، أفأتصدق عنها؟ قال: «نعم تصدق عنها». وعند مسلم ^(٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

وعند مسلم ^(٦) أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي ﷺ: إن أبي مات وترك مالا ولم يوص، فهل يكفر عنه أن أتصدق عنه؟ قال: «نعم».

* أما بالنسبة لقراءة القرآن وهبة ثوابها للميت:

فلم أر دليلاً صريحاً صحيحاً عن رسول الله ﷺ يفيد أنه فعل ذلك، ولا أنه حث عليه ولا أمر به، فإذا كان ذلك كذلك، وكانت العبادات توقيفية كما هو معلوم، فمن ثم نرجح القول القائل بأن القراءة لا يصل ثوابها إلى الميت، والله تعالى أعلم.

* أما الصوم عن الوالدين:

فيجوز الصيام عنهما إذا ماتا وعليهما صيام. أخرج البخاري ومسلم ^(٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن أمي ماتت وعليها صوم نذر أفأصوم عنها؟ قال: «أرأيت كان على أمك دين ففرضت عليه أن يكون يودي ذلك عنها؟» قالت: نعم، قال:

(١) النووي مع المسلم (١٦٧/٤).

(٢) البخاري (٢٧٧٠).

(٣) في بعض الروايات عند البخاري (٢٧٦٢) أن هذا الرجل هو سعد بن عبادة رضي الله عنه.

(٤) البخاري (٢٧٦٠)، ومسلم (مع النووي ١٦٦/٤) ط. الشعب.

(٥) مسلم مع النووي (١٦٧/٤) (١٦٣١).

(٦) مسلم (١٦٣٠).

(٧) البخاري (١٩٣٥)، ومسلم (ص ٨٠٤).

«فصومي عن أمك».

وفي الصحيحين ^(١) من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيَّهُ».

وعند مسلم ^(٢) من حديث بريدة رضي الله عنها قال: بَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ أَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: إِنِّي تَصَدَّقْتُ عَلَى أُمِّي بِجَارِيَةٍ، وَإِنَّهَا مَاتَتْ قَالٍ: فَقَالَ: «وَجَبَ أَجْرُكَ وَرَدَّهَا عَلَيْكَ الْمِيرَاثُ»، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ كَانَ عَلَيْهَا صَوْمٌ شَهْرٍ، أَفَصَوْمُ عَنْهَا؟ قَالَ: «صُومِي عَنْهَا»، قَالَتْ: إِنَّهَا لَمْ تَحُجَّ قَطُّ، أَفَأَحُجُّ عَنْهَا؟ قَالَ: «حُجِّي عَنْهَا».

أما الصلاة عن الوالد فلم يرد بها دليل عن النبي ﷺ .

ويستحب قضاء النذر الذي نذراه.

وإذا مات الوالدان وعليهما نذرٌ أدى ولدهما عنهما هذا النذر، أخرج البخاري ^(٣) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أن سعد بن عبادَةَ الأنصاري استفتى النبي ﷺ في نذر كان على أمه، فتوفيت أمه قبل أن تقضيه، فأفتاه أن يقضيه عنها، فكانت سنة بعد. وأخرج البخاري ومسلم ^(٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن امرأة أتت رسول الله ﷺ فقالت: إن أمي ماتت وعليها صوم شهر فقال: «أرأيت لو كانَ عَلَيْهَا دَيْنٌ، أَكُنْتُ تَقْضِيهِ؟» قَالَتْ: نَعَمْ قَالَ: «فَدَيْنُ اللَّهِ أَحَقُّ بِالْقَضَاءِ».

الحج عن الوالدين:

ويستحب الحج عن الوالدين إذا ماتا أو كانا كبيرين لا يستطيعان الحج. ومما يدل على ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم ^(٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كَانَ الْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ رَدِيفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَاءَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ خَتَمِ تَسْتَوِيهِ، فَجَعَلَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَتَنْظُرُ، إِلَيْهِ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصْرِفُ وَجْهَ الْفَضْلِ إِلَى الشَّقِّ الْآخِرِ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ فَرِيضَةَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ فِي الْحَجِّ أَذْرَكَتْ أَبِي شَيْخًا كَبِيرًا، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْبُتَ عَلَى الرَّاحِلَةِ أَفَأَحُجُّ عَنْهُ؟ قَالَ: «نَعَمْ» وَذَلِكَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ».

(١) البخاري (١٩٥٢)، ومسلم (١١٤٧).

(٢) مسلم (١١٤٩).

(٣) البخاري (٦٦٩٨).

(٤) مسلم (١١٤٨) واللفظ له والبخاري (١٩٥٣).

(٥) البخاري (١٥١٣)، ومسلم (١٣٣٤).



والعمره أيضاً جائزة عن الوالدين:

إذ هي جزء من الحج، وأيضاً فقد ورد فيها حديث، فعند أبي داود والنسائي والترمذي وابن ماجه وأحمد^(١) وغيرهم بسند صحيح عن أبي رزين أنه قال: يا رسول الله، إن أبي شيخ كبير لا يستطيع الحج ولا العمره ولا الطعن، قال: «أحج عن أبيك وأعتم».

استرضاء الخصوم:

وإذا كانت ثم شحناء بين الوالد وبعض الناس قبل الممات، وكان الوالد فيها ظالماً فقم بتأدية المظالم إلى أهلها، واطلب عفو الناس عن أبيك ودعائهم له، وكذا والدتك.

وأبر البر أن يصل الرجل أهل وُد أبيه:

وذلك كما ورد عن رسول الله ﷺ، وذلك أيضاً من حسن العهد، ومن الوفاء والصلة المحمودة.

فعند مسلم^(٢) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «أن رجلاً من الأعراب لقيه بطريق مكة فسلم عليه عبْدُ الله، وحمله على حمار كان يركبُه، وأعطاه عمامة كانت على رأسه فقال ابنُ دينار: فقلنا له: أصلحك الله! إنهم الأعراب وإنهم يرضون باليسير، فقال عبْدُ الله: إن أبا هذا كان وُدًّا لعمر بن الخطاب، وإنِّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إن أبر البر صلة الوالدِ أهل وُد أبيه».

وأصلح ما أفسده الوالد:

وإذا كان الوالد قد اقترف سوءاً أو جرّه إلى مسلم، أو ظلم شخصاً أو قطع رحماً، أو اختلس أو سرق فعليك إن كنت تريد رحمة والدك مما هو فيه من العذاب أن تصلح ما أفسده الوالد، فتصل الرحم المقطوعة، وترد الأموال المغصوبة، وترفع الظلم عن المظلومين.

إذا كان والدك منع أخواتك البنات من الميراث فأعط البنات ميراثهن إنفاذاً لوالدك

(١) أخرجه أبو داود (١٨١٠)، والترمذي (٩٣٠)، وقال: هذا حديث صحيح، وإنما ذكرت العمره في هذا الحديث أن يعتم الرجل عن غيره.

وأخرجه النسائي (١١٧/٥)، وابن ماجه (٢٩٠٦)، وأحمد (١٠/٤، ١١، ١٢) ونقل المنذري عن الإمام أحمد: لا أعلم في إيجاب العمره حديثاً أجود من هذا ولا أصح منه.

(٢) مسلم (٢٥٥٢).

من ظلمات القبر وزلات الصراط والعذاب يوم الوعيد.
إذا كان والدك قد أوصى بوصية جائرة ظالمة فلا تُمضها فالوصية الجائرة منكر
يجب تغييره.

إذا كان والدك أو كانت والدتك قد أوصياك بقطع أرحامك؛ فلا تقطع الأرحام، بل
صلها فمن وصل رحماً وصله الله، ومن قطعها قطعته الله.
وإذا كان الوالد قد ظلم أحداً، وأخذ منه مالاً بغير حق ثم مات؛ فعلى ولده أن يرده
إلى أصحابه.

وختاماً فهذه هدية للوالدين قدمها لنفسك ولهما.

أخرج الإمام أحمد (١) رحمه الله بسند حسن عن بريدة رضي الله عنه قال: «كُنْتُ جَالِسًا
عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «تَعَلَّمُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَحَدَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرَكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا
يَسْتَطِيعُهَا الْبُطْلَةُ». قَالَ: ثُمَّ مَكَتْ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «تَعَلَّمُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ وَالْأَمْرَانِ فَإِنَّهُمَا
الرَّهْرَاوَانِ يُظَلَّانِ صَاحِبَهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا عَمَامَتَانِ أَوْ عِيَانَتَانِ أَوْ فِرْقَانِ مِنْ طَيْرِ
صَوَافٍ، وَإِنَّ الْقُرْآنَ يَلْقَى صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ قَبْرُهُ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ فَيَقُولُ
لَهُ: هَلْ تَعْرِفُنِي فَيَقُولُ: مَا أَعْرَفُكَ فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَعْرِفُنِي، فَيَقُولُ: مَا أَعْرَفُكَ فَيَقُولُ: أَنَا
صَاحِبُكَ الْقُرْآنَ الَّذِي أَظْمَأْتُكَ فِي الْهَوَاجِرِ، وَأَسْهَرْتُ لَيْلِكَ، وَإِنَّ كُلَّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ،
وَإِنَّكَ الْيَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تِجَارَةٍ، فَيُعْطَى الْمَلِكُ بِيَمِينِهِ وَالْخُلْدُ بِشِمَالِهِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ
تَاجُ الْوَقَارِ □، وَيُكْسَى وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لَأَ يَقُومَ لَهُمَا أَهْلُ الدُّنْيَا، فَيَقُولَانِ: بِمَ كَسَبْنَا هَذِهِ؟ فَيُقَالُ:
بِأَخْذِ وَادِكُمَا الْقُرْآنَ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَاصْعَدْ فِي دَرَجَةِ الْجَنَّةِ وَعَرَفْهَا، فَهُوَ فِي صُعُودِ مَا
دَامَ يَقْرَأُ هَذَا كَانَ أَوْ تَرْتِيلًا».

الدعاء...

* * *

(١) أحمد في المسند (٣٤٨/٥).



m

ولا تقربوا الزنا

أما بعد: فقد حذرنا الله سبحانه وتعالى من جريمة الزنا أشد التحذير ونفر عنها أشد التنفير. فقال تعالى: (وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا) (الإسراء: ٣٢).
وقال تعالى: (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا) (١٨) يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا (١٩) إِلَّا مَنْ تَابَ) (الفرقان: ٦٨-٧٠).

وكما هو معلوم:

فإن الله سبحانه وتعالى لما حرّم الكبائر حرّم كل السبل الموصلة إليها، فلما حرّم الله سبحانه وتعالى القتل حرّم ما يوصل إليه من السباب والشتم، وترويع المؤمنين وحمل السلاح في وجوههم، والاعتياب والغمز واللمز، والطعن في الأعراض، وكذا التحاسد والتباغض وتناجي اثنين دون الثالث، وكلّ ما من شأنه أن يُوغر صدور المؤمنين بعضهم لبعض أو يؤدي إلى قتال بين المسلمين.
ولما حرّم الله سبحانه وتعالى جريمة الزنا ونهى عنها أشد النهي وحدّر من الاقتراب منها بقوله: (وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا) (الإسراء: ٣٢). حرّم ربنا كل السبل الموصلة إليها؛ دفعاً لخطرها واتقاءً لشرها، فأمر الله ﷻ بغض البصر؛ لأن النظر من أعظم السبل الموصلة إلى هذه الفاحشة، فالنظرة سهم مسموم يفتك بالقلوب^(١)، ويجر إلى المعاصي والآثام، ومن ثم جاءت الأوامر بغض البصر، ومنعه من الاسترسال، وها هو بعض الوارد في ذلك:

(١) أخرج الحاكم في «المستدرک» (٣١٣/٤، ٣١٤) بإسناد فيه ضعف، عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن النظرة سهم من سهام إبليس مسموم، من تركها مخافتني أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه». وله طرق أخرى ضعيفة عند الطبراني في «المعجم الكبير» (٢١٤/١٠) برقم (١٠٣٦٢) من حديث ابن مسعود، وفيها وفي التي قبلها أعني في حديث ابن مسعود وحديث حذيفة عبد الرحمن بن إسحاق، وهو ضعيف، وقد اختلف عليه أيضاً.

يقول الله سبحانه وتعالى: (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ (النور: ٣٠، ٣١).

وبين الله سبحانه وتعالى أن الإنسان مسئول عن نظره وبصره، فقال سبحانه: (إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾) (الإسراء: ٣٦).

ومنع النبي ﷺ من الجلوس في الطرقات، ذلك الجلوس المفضي إلى النظر المحرم، فقال النبي ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطَّرِيقَاتِ» فَقَالُوا: مَا لَنَا بَدُّ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ: «فَإِذَا أَتَيْتُمْ إِلَى الْمَجَالِسِ (١) فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا» قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: «غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَدَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ» (٢).

وفي صحيح مسلم من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ نَظَرِ الْفَجَاءَةِ، فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصْرِي» (٣).

وقد شرع الاستئذان عند دخول البيوت من أجل ألا ينظر أحد إلى عورة أحد، ولا إلى ما يسيء إلى أحد، ورخص النبي ﷺ في فقه عين من ينظر إلى عورات الناس في بيوتهم بغير إذن، وهذه بعض النصوص في ذلك:

أخرج البخاري ومسلم (٤) من حديث أبي هريرة قال: قال أبو القاسم ﷺ: «لَوْ أَنَّ امْرَأً اطَّلَعَ عَلَيْكَ بَغَيْرِ إِذْنٍ فَحَدَّثَتْهُ بِحِصَاةٍ، فَفَقَاتَ عَيْنَهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ جُنَاحَ». وفي رواية لمسلم: «مَنْ اطَّلَعَ فِي بَيْتِ قَوْمٍ بَغَيْرِ إِذْنِهِمْ فَقَدْ حَلَّ لَهُمْ أَنْ يَفْقَهُوا عَيْنَهُ» (٥).

وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن رجلاً اطَّلَعَ فِي جُحْرِ فِي بَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَدْرَى يَحْكُ بِهِ رَأْسَهُ، فَلَمَّا رَأَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَنْظُرُنِي لَطَعْتُ بِهِ فِي عَيْنِكَ»، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا جُعِلَ الْبِأْدُنُ مِنْ

(١) في رواية: «فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجَالِسَ...».

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٢٤٦٥)، ومسلم (٢١٢١).

(٣) مسلم (حديث ٢١٥٩).

(٤) أخرجه البخاري (حديث ٦٩٠٢)، ومسلم (ص ١٦٩٩).

(٥) مسلم (حديث ٢١٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

أجل البَصَر»^(١)

وأخرج البخاري في الأدب المفرد بإسناد حسن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا دَخَلَ الْبَصَرُ فَلَا إِذْنَ»^(٢)

وقد أحسن من قال:

كُلُّ الحَوَادِثِ مَبْدَاهَا مِنَ النِّظَرِ وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرِّ
كَمْ نَظْرَةٌ فَتَكَتْ فِي قَلْبِ صَاحِبِهَا فَتَكَ السِّهَامُ بِلَا قَوْسٍ وَلَا وَتَرٍ؟

وأحسن الآخر أيضًا إذ قال:

يَا رَامِيًا بِسِهَامِ اللَّحْظِ مَجْتَهِدًا أَنْتِ الْفَتِيلُ بِمَا تَرْمِي، فَلَا تَصْبِ
وَبَاعَتْ الظَّرْفُ يَرْتَادُ الشِّفَاءَ لَهُ تَوَقَّهِ إِنَّهُ يَرْتَدُّ بِالْعَطْبِ
تَرْجُو الشِّفَاءَ بِأَحْدَاقِ بِهَا مَرَضٍ فَهَلْ سَمِعْتَ بُبْرَاءَ جَاءَ مِنْ عَطْبٍ؟

والنظر الممنوع، ليس إلى النساء فحسب، بل إلى كل ما يجر إلى منكر وشر وفساد، فيدخل في ذلك النظر إلى المردان من الصبيان، إذا كان هذا يجر إلى شر وفساد.

فلا يليق بشخص فاضل أن يديم النظر إلى صبي أمردٍ، ويصطحبه هنا وهناك، ويعبث به، فهذا حرامٌ، ويؤدي إلى الحرام كذلك.

ويدخل في ذلك النظر إلى صور النساء، سواء في الكتب أو المجلات والجرائد، وكذلك النظر إلى صور النساء في أجهزة الإعلام كالتلفزيون، ونحوه، وكذلك الفيديوهات وشبكات الإنترنت وما بها من مواقع فاسدة ومفسدة، وناشرة للرذيلة ومروجة للدعارة والبغاء. وكذا الفضائيات الساقطة، وكذلك فلتتقى متابعة مسلسلات الحب والعشق التي تجر إلى الشر والفساد.

وكذلك الأفلام المنحطة الهابطة، تلك التي تدور على الحب والعشق والبغاء، وتنشر الشر والفساد، فالله لا يحب الفساد.

ويا أسفًا على شاب متسكع في الطرقات ينظر إلى الرائحات والغاديات.

يا أسفًا عليه، وهو يتسكع عند محل تصوير ينظر إلى صور النساء كاشفات

(١) البخاري (حديث ٦٩٠)، ومسلم (حديث ٢١٥٧).

(٢) البخاري في «الأدب المفرد» (٥٢٣/٢) حديث رقم (١٠٨٩).

الشعور والسيقان والأعناق، تلك الصور التي وضعها صاحب المحل الذي لا يكاد يؤمن بالله واليوم الآخر.

يا أسفاً على شاب آخر يمشي إلى محلات تبيع ثياب النساء، فيتغزل في ملابس النساء... فحفاً إنها أفكار هابطة، وتصرفات ساقطة.

وليتق الله أصحاب مثل هذه المحلات الذين يببالغون في الإغراء والإغواء، من أجل متاع قليل زائل وفان، وإنني لأعجب من أبٍ ورب أسرةٍ يطيب خاطره أن يجلس هو وزوجته وأبناؤه وبناته أمام التليفزيون، يشاهدون فيلماً قد حوى منكرات، فيه رجل يقبل امرأة، يشاهدون فيلماً فيه رجل يحتضن امرأة، أعجب غاية العجب؛ لانعدام غيرته، وقلة شهامته، وانحراف مروءته، حيث يسمح لابنه ولابنته أمام عينيه أن ينظروا إلى هذه المناظر القبيحة، ويزداد العجب، كيف يسمح لامرأته أن تنظر إلى رجل يعبث بامرأة؟

إن من أهل العلم من قال: إن المرأة تثار وتهيج شهوتها إذا رأت فرساً ينزو على أنثى الخيل، فكيف بها إذا رأت شاباً يعلو فتاة؟ وكيف بالفتاة المشاهدة لهذه المناظر القبيحة هي الأخرى؟ وكيف بأخيها الذي يشاهد هذه المناظر معها؟ وكيف بهما معاً إذا اجتمعا ورأيا هذه المناظر، وتلك القباح في غياب والديهما مع قلة الإيمان والورع، ومع التبرج والتعري والتكشّف، ومع الفحولة والأنوثة كذلك!!

ومن سبل منع الفواحش: منع الخلوة المحرمة:

فالخلوة من أكبر المساعدات على الفاحشة، والشيطان يجتهد أثناء الخلوة المحرمة غاية الاجتهاد؛ لإيقاع الناس في الفاحشة، ويؤزين ذلك أيما تزيين.

ولذلك جاءت النصوص عن نبينا محمد الأمين عليه أفضل صلاة وأتم تسليم، والمبعوث رحمة للعالمين، تحذر، بل وتمنع الخلوة بغير الزوجة والمحارم من النساء.

من هذه الأحاديث ما أخرجه البخاري ومسلم (١) من حديث عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ» (٢). فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ الْحَمَوُ؟ قَالَ: «الْحَمَوُ الْمَوْتُ» (٣).

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٣٣٠/٩)، ومسلم (١٦/٥).

(٢) قال النووي رحمه الله (١٦/٥): «في هذا الحديث والأحاديث التي بعده تحريم الخلوة بالأجنبية وإباحة الخلوة بمحارمها، وهذان الأمران مجمع عليهما».

(٣) أخرج مسلم (١٧/٥) بسنده الصحيح إلى الليث بن سعد أنه قال: الحمو: أخو الزوج وما أشبهه من أقارب



ومنها ما أخرجه الإمام أحمد ^(١) في «مسنده» من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «.. لا يخلون رجلٌ بامرأةٍ فإنَّ الشَّيْطَانَ ثَالِثُهُمَا». فلا يحل لشخص بعد هذه النصوص أن يخلو بامرأة لا تحل له. فلا يحل لقريب الزوج كأخيه وابن عمه أن يأتي إلى البيت في غياب الزوج ويخلو بالزوجة.

ولا يحل لصديق الزوج أن يأتي إلى المنزل في غياب الزوج ويخلو بالزوجة، ولا يحل له أن يخلو بها في حضور الزوج في البيت ويغلق على الأجنبي مع الزوجة باباً. لا يحل لمدرس أن يخلو بفتاة يعلمها، ولا أن يغلق عليهما باب، فهذا باب عظيم من أبواب البلاء.

وكذلك لا يحل لمحفظ قرآن أن يخلو بامرأة يعلمها القرآن. وكذلك لا يحل لمعالج يعالج بالقرآن أن يخلو بامرأة يعالجها. ولا يحل لطبيب أن يخلو بمریضةٍ ولا بمریضة، ونعوذ بالله من المهازل التي تحدث في المستشفيات والعيادات في هذا الصدد، ويا ليتهم يفرقون في نوبات العمل بين الرجال والنساء، ويفصلون بين الرجال والنساء.

ومن سبل منع الفواحش: النهي عن التبرج:

فالتبرج والعياذ بالله من أعظم الدواعي إلى هذه الفاحشة ومن أعظم الدوافع إليها، وقد نهى عنه ربنا سبحانه، ونهانا عنه نبينا محمد ﷺ.

قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: (وَلَا تَبْرَجْنَ تَرَجَّ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) [الأحزاب: ٣٣].
وقال النبي ﷺ: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَّاطٌ كَأَنَّابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٍ عَارِيَاتٍ مُمِيلَاتٍ مَائِلَاتٍ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ؛ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا» ^(٢)

الزوج.

(١) أحمد (١٨/١).

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢١٢٨).

(٣) قال النووي رحمه الله: هذا الحديث من معجزات النبوة، فقد وقع ما أخبر به النبي ﷺ، فأما أصحاب السياط فهم غلمان والي الشرطة. وأما الكاسيات العاريات ففيه أوجه:

أحدها: كاسيات من نعمة الله عاريات من شكرها.

الثاني: كاسيات من الثياب عاريات من فعل الخير والاهتمام بأخترتهن، والاعتناء بالطاعات.

ومن سبل منع الفواحش: الأمر التحجب الكامل عن الرجال، فهو بلا شك أبعد عن الوقوع في الفاحشة:

ولذلك قال الله سبحانه وتعالى: (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ) [الأحزاب: ٥٣].

وهذا الخطاب وإن قال بعض العلماء إنه خاص بنساء النبي ﷺ، إلا إن العلة منه تعم حكمه (١)، ألا وهي قوله تعالى: (ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ) [الأحزاب: ٥٣]، وكذلك الاقتران في قوله: (يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبٌ لَأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِنَنَّ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ) [الأحزاب: ٥٩]، فاقترنت نساء المؤمنين مع نساء النبي وبناته في الأمر بالحجاب، هذا مع قول رسول الله ﷺ: «وَالْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ» (٢) فعمَّ هذا القول النساء كما هو واضح (٣).

ومن سبل منع الفواحش: الحث على القرار في البيوت:

فلما كان احتكاك النساء بالرجال واختلاط النساء بالرجال من أكبر أسباب هذه الفاحشة وأعظمها، جاء الحث على قرار النساء في البيوت. قال الله تعالى لأزواج نبيه ﷺ اللواتي هن خير نسوة لنسائنا وبناتنا: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ) [الأحزاب: ٣٣].

الثالث: تكشف شيئاً من بدننا إظهاراً لجمالها، فهن كاسيات عاريات.

الرابع: يلبسن ثياباً رفاقاً تصف ما تحتها، كاسيات عاريات في المعنى.

قلت: القائل مصطفى: والذي يظهر لي والعلم عند الله تعالى أن الوجه الثالث والرابع أقرب إلى المعنى لقول =

في الحديث: «مانلات مميلات رعوسهن كأسنمة البخت المانلة».

(١) قال الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان» (٥٩٢/٦): وإذا علمت بما ذكرنا أن حكم آية الحجاب عام، وأن ما ذكرنا معها من الآيات فيه الدلالة على احتجاب جميع بدن المرأة عن الرجال الأجانب، علمت أن القرآن دلَّ على الحجاب، ولو فرضنا أن آية الحجاب خاصة بأزواجه ﷺ، فلا شك أنهم خير أسوة لنساء المسلمين في الآداب الكريمة المقتضية للطهارة التامة، وعدم التدنس بأجناس الريبة، فمن يحاول منع نساء المسلمين كالدعاة إلى السفور والتبرج والاختلاط اليوم من الاقتداء بهن في هذا الأدب السماوي الكريم، المتضمن سلامة العرض والطهارة من دنس الريبة، غاش لأمة محمد ﷺ مريض القلب كما ترى!

وقد صح عن عبيدة السلماني في تفسيرها أنه غطى رأسه ووجهه بثوبه، وأبرز ثوبه عن إحدى عينيه.

(٢) أخرجه الترمذي (١١٧٣) بإسناد صحيح.

(٣) هذا وثم أدلة أخرى، وأبحاث أوسع في هذه المسألة.

وقال النبي ﷺ: «المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان، وأقرب ما تكون المرأة من ربها وهي في قعر بيتها»^(١).

وانظر إلى جميل الاعتذار الذي اعتذرت به هاتان المرأتان لما سألهما موسى عليه السلام (مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسِيَّ حَتَّى يُصَدِّرَ الرَّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ) ^(٢) [القصص: ٢٣].

فذكرتا عذرهما في خروجهما، وأوضحتا السبب الذي من أجله كان الخروج: (وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ) ^(٣) [القصص: ٢٣] شيخ كبير لا يطيق سقي الأنعام، ولا يطيق العمل ولا الخروج، ولو لا ذلك ما خرجتا.

ولكنهما مع هذا الخروج (تَدْوَادًا) [القصص: ٢٣] تصرفان الأنعام والمواشي والأغنام عن الاحتكاك بالناس!! فحقاً إنه أدب جم، وخلق رفيع قويم.

إن النبي ﷺ ذكر في عدد من النصوص أن صلاة المرأة في بيتها خيرٌ من صلاتها في المسجد، فقال ﷺ: «لا تمنعوا نساءكم المساجد، وبيوتهن خير لهن»^(٤).

وأخرج أبو داود من حديث عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «صَلَاةُ الْمَرْأَةِ فِي بَيْتِهَا أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهَا فِي حُجْرَتِهَا، وَصَلَاتُهَا فِي مَخْدَعِهَا أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهَا فِي بَيْتِهَا»^(٥).

وأخرج الإمام أحمد رحمه الله تعالى من حديث أم سلمة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خَيْرُ مَسَاجِدِ النِّسَاءِ قَعْرُ بَيْوتِهِنَّ»^(٦).

* ومنها: حث المرأة على ترك التطيب إذا أرادت الخروج.

وذلك لما أخرجه مسلم ^(٧) رحمه الله من حديث زينب النخعية أنها كانت تحدث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِذَا شَهِدَتْ إِحْدَاكُنَّ الْعِشَاءَ فَلَا تَطِيبُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ».

وفي رواية لمسلم ^(٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَيَّمَا

(١) أخرجه ابن خزيمة (٩٥/٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠١٥)، والترمذي (مختصراً ١١٧٣) وغيرهم، وسنده صحيح.

(٢) حديث: «لا تمنعوا نساءكم..» صحيح لغيره، وأخرجه أبو داود (حديث ٥٦٧)، وأحمد (٧٧٧٦/٢)، وابن خزيمة (٩٣، ٩٢/٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً.

(٣) أخرجه أبو داود (حديث ٥٧٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً.

(٤) أحمد في «المسند» (٢٩٧/٦).

(٥) أخرجه مسلم (٨٤/٢).

(٦) مسلم (٨٥/٢).

امرأة أصابت بخوراً فلا تشهد معنا العشاء الآخرة».

ومنها: النهي عن الخضوع بالقول لقول الله تعالى:

(فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا) (الأحزاب: ٣٢).

وقال تعالى: (وَلَكِنَّ لَا تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا) (البقرة: ٢٣٥).

ومنها: النهي عن مصافحة النساء الأجنيات:

فمصافحة النساء الأجنيات حرام، قال رسول الله ﷺ: «لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خيراً له من أن يمس امرأة لا تحل له» (١).

ومن ذلك: النهي عن سفر النساء بلا محرم:

وذلك لما يجره سفر المرأة بلا محرم من فواحش ومحرمات، فالمرأة بجبلتها التي جبلها الله عليها ضعيفة لا تستطيع في كثير من الأحيان الدفاع عن نفسها، ثم هي كذلك ناقصة العقل والدين، وسرعان ما تُخدع، وسرعان ما تضعف، وسرعان ما يُغرر بها، فمن تمَّ نهيته عن السفر بلا محرم، وقد تواترت النصوص عن رسول الله ﷺ في ذلك، ومن ذلك ما يلي:

أخرج البخاري ومسلم (٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «لما تُسافر المرأة إلّا مع ذي محرم، ولّا يدخل عليها رجلٌ إلّا ومعها محرم».

وأخرج البخاري ومسلم (٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لما يحلُّ لامرأةٍ تؤمن بالله واليوم الآخر أن تُسافر مسيرة يومٍ وليلةٍ ليس معها حرمة»، وثمَّ نصوص أخر.

ومن ذلك: تحريم امتناع المرأة من فراش زوجها:

لا تمتنعي أيتها الزوجة من فراش الزوج، فحرام عليك ذلك، وهو من الكبائر، فقد قال رسول الله ﷺ: «إذا دعا الرجلُ امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء لعنتها الملائكة حتى تُصبح» (٤).

وفي رواية لمسلم: قال رسول الله ﷺ: «والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ

(١) أخرجه الطبراني بإسناد حسن «المعجم الكبير» (٢٠/٢١١).

(٢) البخاري مع «الفتح» (٤/١٧٢)، ومسلم (ص ٩٧٨).

(٣) البخاري مع «الفتح» (٢/٥٦٦)، ومسلم (ص ٤٨٧).

(٤) البخاري (حديث ٥١٩٣)، ومسلم (ص ١٠٦١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.



إلى فراشه فتأبى عليه؛ إنا كان الذي في السماء ساخطاً عليها»^(١)

فإذا كان الزوج ممتلئاً شهوة وحرارة وامتنتت منه زوجته وأبت عليه، فماذا عساه أن يصنع؟!!

إن الشيطان قد يحمله على التفكير في الحرام، بل وإتيان الحرام إن أمكن.

ثم إنه من أجل مقاصد الزواج الإعفاف، إعفاف الزوج وإعفاف الزوجة معاً.

وقد أخرج مسلم في صحيحه^(٢) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ رأى امرأة فأتى امرأته زينب وهي تمعس مبيئة^(٣) لها، فقضى حاجته ثم خرج إلى أصحابه فقال: «إن المرأة تُقبل في صورة شيطان، وتُدبر في صورة شيطان، فإذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله فإن ذلك يرد ما في نفسه»^(٤)

وكذلك إعفاف الزوجة مطلوب فإن الله سبحانه وتعالى نهانا أن نذر الزوجة كالمعلقة، وجعل أقصى حد للإيلاء أربعة أشهر، كما قال تعالى: (لَّذِينَ يُؤُولُونَ بِنِسَائِهِمْ رَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾) [البقرة: ٢٢٦، ٢٢٧].
فرجل أقسم ألا يقرب امرأته سنة مثلاً، أو خمسة أشهر مثلاً، فإن هذا الرجل ليس له أن يفعل هذا، بل أقصى مدة يتربصها أربعة أشهر، ويلزم بعد ذلك إما باللقاء والاجتماع، أو بالطلاق والفرار.

وأيضاً.. فقد قال النبي ﷺ: «وفي بضع أحدكم صدقة» قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر»^(٥)

فكم من حالة من حالات الزنا كان سببها إهمال الزوج لزوجته، وعدم إعفافها، فحملها ذلك على الوقوع في الفاحشة والعياذ بالله.
وفي المقابل ينبغي أن تتجمل المرأة لزوجها، وتنزين له وتتصنع حتى يأتي حاجته

(١) مسلم (٦١١/٣).

(٢) مسلم (٥٥٠/٣).

(٣) تمعس مبيئة: أي تدلك الجلد تمهيداً لدباغته.

(٤) في بعض روايات مسلم (٥٥١/٣): «إذا أحدكم أعجبته المرأة فوقع في قلبه فليعبد إلى امرأته فليواقعها فإن ذلك يرد ما في نفسه».

(٥) مسلم (٤٣/٢).

منها، وتقر بها عينه، ولا ينظر إلى أخريات.
لتنجمل بكل ما أباحه الله لها، وتتقي ما حرمه الله ورسوله، وقد قال تعالى في شأن النساء: (أَوْ مَن يُشَوُّ فِي الْحَيَاةِ) [الزخرف: ١٨] فالمرأة منذ طفولتها وهي تحب الحلي والزينة.

وقد قال الله تعالى: (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ) [الأعراف: ٣٢].

أي هي للمؤمنين في الدنيا يشاركون فيها غيرهم، لكنها يوم القيامة خالصة لأهل الإيمان فقط، وقد قال النبي ﷺ في شأن أسامة بن زيد: «لو كان أسامة جارية لكسوته وحليته حتى أنفق» (١).

فقد كان أسامة رضي الله عنه أسود شديد السواد، فمن ثم قال النبي ﷺ: «لو كان أسامة جارية...» الحديث.

ولا تباشر المرأة المرأة فتنتعها لزوجها كأنه ينظر إليها (٢):

فقد قال ذلك رسول ﷺ، وذلك خشية أن يفضي هذا الوصف إلى افتتان الزوج بهذه الموصوفة، وربما يقع في الفاحشة بسبب ذلك.

ومن ذلك ترك الخضوع بالقول:

فقد نهى سبحانه وتعالى النساء عن الخضوع بالقول، فقال سبحانه: (فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا) [الأحزاب: ٣٢].

وقال سبحانه: (وَلَكِن لَّا تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا) [البقرة: ٢٣٥].
فتم أقوام في قلوبهم مرض كما أخبرنا ربنا سبحانه وتعالى، وهؤلاء الذين في قلوبهم مرض إذا خضعت لهم المرأة بالقول ظنوا بها سيئ الظن، ظنوا أنها تريد منهم المواعدة، ظنوا أنها تريد منهم الفاحشة.

فلزاماً على المرأة إذن ألا تخضع بالقول.

وليس معنى عدم خضوعها بالقول أن تكون فظة غليظة، ولكنها تتكلم بكلمات تنم عن أدب وحسن خلق ولا تطمع فيها الرجال.
ولتدرك تماماً أثناء حديثها أن الله تعالى معها يسمع ويرى.

(١) ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢٣٥٦) بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه البخاري مع «الفتح» (٣٣٨/٩).



لتدرك تمامًا أن ربها **عَزَّوَجَلَّ** يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.
عجيب أمر امرأة فظة و غليظة مع زوجها ومحارمها، ثم هي تخضع بالقول مع الرجال الأجانب والشباب.

وكذلك فلا يخضع الرجال بالقول.

وقد يعجب شخص من هذا فيتساءل:

وهل يخضع رجل بالقول؟

نعم! هناك من يخضع بالقول من الرجال.

هناك رجل يتصل بصديق له، فإذا وجده كلمه كلام رجل لرجل، أما إذا وجد امرأة أخذت بسماعة الهاتف إذا به يتأنث معها ويتخنث، ويخضع لها بالقول غاية الخضوع، كي يوقعها في شركه وحباله، وخفي عليه أن الله تعالى محيط بما يعمل، عليم بما يصنع.

ومن ذلك الحث على الزواج والترغيب فيه والمبادرة إليه.

قال الله تبارك وتعالى: (وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَانَ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَسِعُ عِلْمُهُ) [النور: ٣٢].

بل ويجوز أن يعرض الرجل ابنته أو أخته على الرجل الصالح يتزوجها:

قال الرجل الصالح لموسى عليه السلام: (إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَبِيبٌ) [القصص: ٢٧].

وقال عمر لأبي بكر **رضي الله عنهما**: هل لك في حفصة بنت عمر تتزوجها؟

والأدلة في هذا كثيرة جدًا.

نسأل الله أن يرزقنا وإياكم العفاف، وأن ينجينا وإياكم من مضلات الفتن، وأن ينجبنا وإياكم الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

واستغفروا ربكم إنه كان غفارًا.

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

أيها الشاب...

يا من تفكر في الزنا، يا من تراود الفتاة عن نفسها، يا خائنًا للزوج في زوجته، هل

ترضى بهذه الفاحشة المنكرة لأمك؟!

* هل ترضى بها لأختك؟!

* هل تريدها لابنتك ولزوجتك؟!

* هل ترضاها لعمتك ولخالتك؟!

* قطعاً ستقول: لا، فإنك مسلم والله الحمد.

فإذا كنت لا ترضاه لأمك، ولا لأختك، ولا لزوجتك، ولا لعمتك، ولا لخالتك، ولا لابنتك، فذلك الناس لا يرضونه لأمهاتهم ولا لأخواتهم، ولا لزوجاتهم، ولا لعماتهم، ولا لخالاتهم ولا لبناتهم.

* ألم تعلم أيها الزاني بأن الله يراك.

* ألم تدرك أن الآثار تكتب، والخطوات تُسجل، وأن السرائر سوف تُبلى.

* اعلم أن هناك ناراً تُلظى سيصلاها الأشقى.

* اعلم أن هناك قبراً موحشاً ومظلماً، ستدخله يوماً ما، ولا بد؛ فكل نفس ذائقة الموت.

* اعلم وأيقن أن المعاصي والكبائر والفواحش تسود القلب وتقسيه، ثم إن شبحها يطارد أصحابها.

* احذر أيها الزاني أن يفعل بامرأتك وبناتك وأخواتك كما تفعل بالناس، فكما تدين ندان، والجزاء من جنس العمل.

قال تعالى: (وَلْيَحْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿١﴾) [النساء: ٩].

قال تعالى: (وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسَخِّرَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ) [الكهف: ٨٢]

فانتبه وراقب الله، فأنت مراقب.

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل عليّ رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما تخفيه عنه يغيب

وأنت أيتها الفتاة ...

* اتقي الله ربك!

* أحصني فرجك!



- * هل ترضين بمعصية الرب؟ ثم إلى أين المفر؟ فإلى ربك يومئذ المستقر.
- * يومها سوف تتبئين بما قدمت وما أخرت!
- * هل ترضين أيتها الأخت الكريمة لنفسك بالعذاب!
- * هل ترضين أيتها الأخت بأن تجلبي العار لأبويك وإخوتك، بل ولأقاربك وعشيرتك!!؟
- * هل ترضين بأن تحملي من سفاح!! يكون ولدك ولد زنا، والعياذ بالله!!؟
- * هل ترضين أن يقال لابنتك: إن أمك كانت بغياً!!؟
- إن الزاني نفسه، ذاك المجرم الأثيم المخادع اللئيم، هو نفسه يزدريك، هو نفسه يملكك.
- * إنها لحظة استمتاع بسفاح يعقبها أذى ووبال.
- * إنها لحظة تمرد وعصيان تعقبها الفضيحة والعار.
- * فاتقي الله في نفسك، اتقي الله في عرضك، اتقي الله في ولدك، اتقي الله في أبويك وإخوتك، اتقي الله في أقاربك وعشيرتك.
- واحذري غضب الله، واتقي ناره.**
- الدعاء...

* * *

m

خطر الزنا

أما بعد: فإن من أعظم الكبائر والمصائب التي تنكد على الشخص حياته، وتفسد عليه دنياه وأخراه وتجعله في نكدٍ دائم، وهم لا يُفارق، ولا يزال شبحها يطارده وضررها يلاحقه حتى عند وفاته، وفي قبره، ويوم يقوم الأشهاد: جريمة الزنا أعاذنا الله والمسلمين والمسلمات منها! تلك الفاحشة الكبرى التي تجلب لفاعلها العذاب في الدنيا والآخرة.

* تلك الجريمة الكبرى التي تتسبب في زوال الصحة والعافية، وحلول البلبايا والأسقام وتتسبب كذلك في محو البركة ومحق الأرزاق!!

* تلك الجريمة النكراء، التي تتسبب في قطع الأرحام، واختلاط الأنساب، وزوال الإيمان، تلك الكبيرة الشنعاء التي تُلحق العار والشنار، وتوجب في الآخرة عذاب النار.

* فكم من نفس قد أزهقت بسببها، وكم من رحمٍ قد قطعت، وكم من امرأةٍ قد طلقت، وكم من صداقات قد مُزقت، وكم من مولود قد ألحق بغير أبيه.

* كم من وجهٍ قد سلبَ بهاؤه، وكم من عينٍ قد سلبَ ضياؤها، وكم من قلبٍ قد اضطرب وارتكس، وكم من إيمانٍ قد زال وانتكس بسبب هذه الفاحشة المنكرة. فيا الله، نسألك الستر، والعافية، ونسألك النجاة من هذه الفاحشة المنكرة. فيا منها لنا ولأزواجنا، ولأبنائنا، وبناتنا، وإخواننا، وأخواتنا، وآبائنا وأمهاتنا والمسلمين والمسلمات؛ فالمعصوم من عصمت، والمحفوظ من حَفِظت.

* نسألك يا ربنا أن تجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وأن تأخذ بأيدينا إلى الطهر والعفاف، والهدى والتقوى والإيمان.

هذا ومن المعلوم لدى عموم المسلمين والمسلمات، لدى علمائهم وعامتهم، أن الله عزَّ وجلَّ حرَّم هذه الفاحشة في جملة من المواطن في كتابه الكريم.

وكذلك فقد حرَّم الله تعالى السبل الموصلة إليها، وسدَّت كل الأبواب الموقعة فيها



فضلاً عن التحذير منها في السورة بعد السورة من الكتاب العزيز، والحديث بعد الحديث عن رسول الله ﷺ، فلا يهلك بعد ذلك إلا هالك ولا يشقى إلا شقي قال تعالى: (وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَلَا تَقُولُوا لِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٨﴾ [الأعراف: ٢٨، ٢٩].

وقال سبحانه: (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ﴿٣٣﴾ [الأعراف: ٣٣].

وقال سبحانه: (وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ﴿١٥١﴾ [الأنعام: ١٥١].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٠﴾ [النحل: ١٠].

وقد توعد الله عز وجل أشد الوعيد للذين يحبون أن تشيع الفواحش في عباده المؤمنين:

فقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ [النور: ١٩].

وبين الله سبحانه أن الداعي إلى هذه الفواحش والمزين لها هو الشيطان:

فقال تعالى: (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا ﴿٢٦٨﴾ [البقرة: ٢٦٨].

وكذلك فقد بين الله سبحانه أن رغبة متبعي الشهوات في ذلك هي زيغ الناس وإضلالهم وإيقاعهم في الفواحش، قال الله تعالى: (وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٧٧﴾ [النساء: ٧٧].

أما الزنا على وجه الخصوص فقد جاءت النصوص مرهبة منه أيما ترهيب.

قال الله سبحانه: (وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٣﴾ [الإسراء: ٣٣].

وقال سبحانه: (الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ [النور: ٣].

وقال سبحانه: (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ أَتَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ [المؤمنون: ٥-٧].

وقال سبحانه: (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخَلَّدُ فِيهِ مُهْتَكًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ

وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٥﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠].

وكذا جاءت الأحاديث عن رسول الله ﷺ تحمل وعيدًا شديدًا للزناة.

قال ﷺ: «لما يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ»^(١).

وقال ﷺ في صلاة الخسوف: «... يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ! مَا مِنْ أَحَدٍ أُغِيرَ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدَهُ أَوْ أَنْ تَزْنِيَ أُمَّتُهُ»^(٢).

فيا سبحان الله! سبحانك ربنا ما أحلمك وما أرحمك!

إن الرجل الغيور من البشر إذا رأى رجلًا مع امرأة لا تحل له وهو يكلمها بكلام خارج عن المعتاد، كلام فيه خبث وخداع، يقشعر لذلك جلده، ولا يكاد يتحمل رؤية هذه المناظر ولا استماعها، فهذا صحابي جليل^(٣) ممتلئ بالغيرة، يقول لرسول الله ﷺ: «لو رأيت رجلًا مع امرأتى لضربتة بالسيف غير مُصْفَح، فقال النبي ﷺ: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ؟ لَأَنَا أُغِيرُ مِنْهُ، وَاللَّهِ أُغِيرُ مِنِّْي»^(٤).

ألا يفيق هذا الذي يُحَادِثُ النِّسَاءَ، وَيَخْضَعُ لَهُنَّ بِالْقَوْلِ، وَيَرْتَبِ لِلزَّنَا تَرْتِيًّا!! ألا يعقل هذا ويدرك أن الله مراقبه ومطلع عليه، ألا يدرك أن الله يغار!! وأن الله شديد العقاب!!؟

إن النبي ﷺ رأى عذاب الزناة والزواني في رؤيا قصَّها على أصحابه فقال: «إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَنَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي: انْطَلِقْ وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا..» فذكر الحديث وفيه: «فانطلقنا فأتينا على مثل التنور -قال: وأحسب أنه كان يقول: - فإذا فيه لَغَطٌ وَأَصْوَاتٌ، قَالَ: فَاطْلَعْنَا فِيهِ فَإِذَا رَجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاءٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلٍ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضُوءُوا، قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: مَا هُوَ لَءَا؟...» فذكر الحديث وفيه: «وَأَمَّا الرَّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاءُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ النَّوْرِ فَهُمْ الزَّنَاةُ وَالزَّوَانِي»^(٥). يفعل بهم هذا إلى يوم القيامة، وفي الآخرة عذاب شديد.

فعيادًا بالله من الزنا.

ويا سبحان الله! فالجزاء من جنس العمل، فهذه الفروج التي تلذذت بالحرام يأتيها

(١) البخاري (حديث ٢٤٧٥)، ومسلم (حديث ٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) البخاري (حديث ١٠٤٤)، ومسلم (ص ٩٠١).

(٣) هو سعد بن عبادة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٦٨٤٦)، ومسلم (١٤٩٩).

(٥) أخرجه البخاري (حديث ٧٠٤٧).



اللهب من أسفل منها فيحرقها.

كذا تشهد عليهم فروجهم يوم القيامة، قال تعالى: (وَقَالُوا لَجُودِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ) [فصلت: ٢١].

فما أتعب أصحاب هذه الفروج، وما أشقاهم!! وما أقل علمهم!! وما أكثر جهلهم!! إذا كان الاستمتاع بالحرام لمدة لحظات يجلب لهم هذا الهم وهذا الغم، والنكد، والعذاب الأليم، ولكن صدق الرسول الكريم إذ يقول: «حُقَّتْ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ».

فيا سبحان الله! زلة قدم واحدة تعقبها حسراتٌ وندم!! قضاء شهوةٍ ووطر في الحرام يعقبه ذلٌ وهوانٌ، وعذابٌ أليمٌ في لجات الجحيم!! فلا خير في لذة من بعدها النار كما يقول القائل.

وقد صحح بعض أهل العلم حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وفيه أن رسول الله ﷺ قال: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيْتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرَ الْفَاحِشَةَ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُغَيَّبُوا بِهَا إِيَّاهُ فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا...» الحديث.

أما إذا كان الزاني الخائن يزني بحليلة جاره فجرمه أشد وعقوبته أعظم:

ففي الصحيحين ^(١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الدَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدَاءً وَهُوَ خَلْفُكَ. قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لِعَظِيمٌ. ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: وَأَنْ تَقْتُلَ وَكَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ. قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ ^(٢) جَارِكَ».

ولعظيم جرم هذه الفاحشة وشدة نكارتها جعلت عقوبتها من أشد العقوبات:

فعقوبة هذه الجريمة النكراء الرجم بالحجارة حتى الممات لمن زنى وهو محصن، والجلد والإبعاد عن البلاد لمن زنى ولم يكن قد أحصن.

أخرج مسلم ^(٣) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خُذُوا عَنِّي، خُذُوا عَنِّي، قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا: الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ ^(٤) جَلْدَ مِائَةٍ وَتَفِي سَنَةً،

(١) البخاري (حديث ٤٤٧٧)، ومسلم (حديث ٨٦).

(٢) حليلة الجار: هي «الزوجة».

(٣) مسلم (حديث ١٦٩٠).

(٤) ليس معنى قوله: «البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام» أن البكر إذا زنى بالبكر فقط يجلد مائة ويغرب عامًا، فالبكر سواء زنى ببكر أو بثيب فإنه يجلد مائة ويغرب عامًا، وكذلك الفتاة البكر إذا زنت فعليها جلد

والتَّيِّبُ بِالتَّيِّبِ جِلْدُ مَائَةٍ وَالرَّجْمُ».

ثم إن تقارير الأطباء تفيد أن الأمراض الجنسية تعتبر أخطر الأمراض وأشدّها فتناً بالإنسان.

وليس هناك من أحد يحب هذه الجريمة النكراء لبناته ولا لأمه ولا لأخواته ولا لعماته ولا لخالاته ولا لزوجته.

وما أجمل قول النبي ﷺ ، وما أحسن طريقته في الإقناع مع شاب أتاه يستأذنه في الزنا.

أخرج الإمام أحمد في مسنده ^(١) من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: «إن فتى شاباً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا. فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه! فقال: «اذنه» فذنا منه قريباً قال: فجلس قال: «أتحبه لأمك؟» قال: لا والله جعلني الله فداك. قال: «وكذا الناس يحبونه لأمهاتهم» قال: «أفأحبهم لأمهم؟» قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك. قال: «وكذا الناس يحبونه لبناتهم» قال: «أفأحبهم لبناتهم؟» قال: لا والله جعلني الله فداك. قال: «وكذا الناس يحبونه لأخواتهم»، قال: «أفأحبهم لعمتهم؟» قال: لا والله جعلني الله فداك. قال: «وكذا الناس يحبونه لعماتهم»، قال: «أفأحبهم لخالاتهم؟» قال: لا والله جعلني الله فداك. قال: «وكذا الناس يحبونه لخالاتهم» قال: فوضع يده عليه وقال: «اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحسن فرجه» فلم يكن الفتى بعد ذلك يلتفت إلى شيء.

فنسأل الله أن يحفظنا وإياكم من الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وأن يصرف عنا وعنكم وعن نساتنا ونساء المسلمين كل مكروه وسوء، وأن يكسونا جميعاً جلباب الحياء ويسدل علينا إسدال العفاف.

ألا فاستغفروا ربكم إنه كان غفاراً.

الخطبة الثانية

مائة (واختلف في التعريب في حقها). ومعنى قوله: «التَّيِّبُ بِالتَّيِّبِ جِلْدُ مَائَةٍ وَالرَّجْمُ»، أن التَّيِّبِ سواء زنى بتَّيِّبٍ أم زنى ببكر، فإنه يجلد مائة ويرجم. واختلف: هل يجلد مع الرجم أم لا؟ أما قوله: «البكر بالبكر». فخرج مخرج الغالب، بمعنى أن البكر في الغالب يزني ببكر، وأن التَّيِّبِ في الغالب يزني بتَّيِّبٍ.

فالحاصل: أن البكر سواء زنى ببكر أم بتَّيِّبٍ؛ فإنه يجلد مائة ويغرب عاماً. والتَّيِّبِ سواء زنى بتَّيِّبٍ أو زنى ببكر فإنه يُرجم واختلف في جلده مع الرجم.

(١) أحمد في «المسند» (٢٥٦/٥) بإسناد صحيح.

مرضات الله، وصرف الله عنه السوء والفحشاء، فهو من عباد الله المخلصين □، فهكذا ينجي الله المتقين، قال تعالى: (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِؤُءٍ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لَصَرَفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿١٤﴾) [يوسف: ٢٤].

ووعده رسول الله □ من حفظ الفرج بعظيم الأجر وجميل الثواب، فقال □: «من يضمن ما بين لحييه وما بين رجليه (١) أضمن له الجنة» (٢).

وقد توسل أقوام إلى الله سبحانه وتعالى بتعفهم وتركهم لهذه الفاحشة ففرج الله عنهم الكربات: فما هو أحد هؤلاء الثلاثة أصحاب الغار (٣) الذين كانوا على سفر، فأخذهم المطر فأوروا إلى غار في جبل فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل، فانطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالا عملتموها صالحة لله فادعوا الله تعالى بها لعل الله يفرجها عنكم... فذكر الحديث وفيه:

«وقال الآخر: اللهم! إنه كانت لي ابنة عم أحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء، وطلبت إليها نفسها، فأبت حتى أتيتها بمائة دينار، فتعبت حتى جمعت مائة دينار، فجننتها بها، فلما وقعت بين رجليها قالت: يا عبد الله، اتق الله ولا تفتح الخاتم إلا بحقه، فقامت عنها، فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج لنا منها فرجة، ففرج لهم».

وختاماً ...

أيها المؤمنون: توبوا إلى الله لعلكم تفلحون. أوبئة إلى الله معشر العباد قبل أن يأتي يوم تقول فيه نفس: ﴿بِحَسْرَةٍ عَلَيَّ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦].

توبة إلى الله قبل أن يأتي وقت تحرق فيه فروج الزناة والزواني. أقيموا أمر ربكم سبحانه وتعالى في أنفسكم وإخوانكم وأهاليكم وجيرانكم وذويكم. الدعاء...

* * *

(١) ما بين لحييه: يعني لسانه، وما بين رجليه يعني فرجه.

(٢) الحديث أخرجه البخاري (٦٤٧٤) من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه مرفوعاً.

(٣) حديثهم أخرجه البخاري (حديث ٣٤٦٥)، ومسلم (حديث ٢٧٤٣).

m

الجلس الصالح

أما بعد: فإنه ما من شيء يقرب من الله ﷻ ومن جنته إلا وقد أخبرنا الله به في كتابه الكريم وحثنا عليه وأرشدنا إليه، وكذا قد فصله لنا نبينا محمد ﷺ في سنته ودلنا عليه خير دلالة، وأوضحه لنا أتم إيضاح. وقوله ﷻ وحي يوحى، كما قال ربنا جل ذكره: (وَمَا يَطِّقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ (٣) إِنَّهُ هُوَ الْوَحِيُّ الْيُحَىٰ ۗ) (النجم: ٣، ٤) وكذلك فما من شيء يقرب من النار ويتسبب في ولوجها، ويجلب سخط الرب ﷻ، إلا وقد حذرنا الله منه أشد التحذير ونهانا عنه أشد النهي، ونفرنا عنه رسولنا محمد ﷺ أشد التنفير. ولما كانت مجالسة أهل الفضل والصلاح تقرب من الله ﷻ، فقد رغبتنا الله في مجالسة الصالحين وحثنا عليها رسولنا محمد ﷺ.

وضرب الله للجلس الصالح أجمل الأمثال فقال الله تعالى في كتابه الكريم: (وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعِسَىٰ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) (الكهف: ٢٨). وقال الله سبحانه وتعالى: (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعِسَىٰ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَطَرَدْتَهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ) (٥٤) (الأنعام: ٥٢، ٥٣). وهذه الآيات نزلت لما طلب المشركون من رسول الله ﷺ أن يطرد الضعفاء من حوله حتى لا يجترئوا على الكبراء بزعمهم، فأنزل الله الآيات، ففي «الصحيح» (١) من حديث سعد بن أبي وقاص **رضي الله عنه** أنه قال: في نزلت: (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعِسَىٰ) قال: نزلت في سبتي أنا وابن مسعودٍ منهم وكان المشركون قالوا له: تُذني هؤلاء؟! وفي رواية أخرى لمسلم أيضاً عن سعد قال: كنا مع النبي ﷺ ستة نفر، فقال

(١) مسلم (حديث ٢٤١٣).

المشركون للنبي □ : اطرده هؤلاء لا يجترئوا علينا. قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهم، فوقع في نفس رسول الله □ ما شاء الله أن يقع، فحدث نفسه، فأنزل الله ﷻ : (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ) [الأنعام: ١٠٤]. وكان هذا أعني طلب أهل الشرك من الأنبياء طرد المؤمنين الضعفاء أمراً مضطرباً؛ فقد قال قوم لنوح عليه السلام: (قَالُوا أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَالُونَ ﴿١١٣﴾ قَالَ وَمَا عَلَّمِي مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَو تَشْعُرُونَ ﴿١١٥﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٦﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ) [الشعراء: ١١١-١١٥].

وقد عاتب الله ﷻ نبيه محمداً □ لما عبس في وجه عبد الله بن أم مكتوم، لما أقبل على رسول الله □ وكان عند النبي وجهاء قومه يعرض عليهم دعوته، فعرض له ابن أم مكتوم الأعمى، فأقبل عليهم الرسول □ فعوتب في شأنه بما ذكر الله في كتابه الكريم.

أخرج الترمذي ^(١) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: أنزل «عبس وتولى» في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى رسول الله □ فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني، وعند رسول الله □ رجل من عظماء المشركين، فجعل رسول الله □ يعرض عنه ويقبل على الآخر ويقول: «أترى بما تقول بأساً»، فيقال: لا، ففي هذا أنزل.

وقال سبحانه: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُغْلِبُونَ ﴿٥٦﴾) [المائدة: ٥٥، ٥٦]. وقد قال الله تبارك وتعالى: (وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ) [الفرقان: ١٥].

وفي الصحيحين ^(٢) من حديث أبي موسى عن النبي □ قال: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ كَمَثَلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكَيْرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْدِثَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً. وَنَافِخُ الْكَيْرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً».

قال النووي رحمه الله تعالى في شرح هذا الحديث:

فيه فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق والورع

(١) حديث (٣٣٣١) وقد أعل بالإرسال، وانظر تعليقنا على الحديث في تفسير سورة «عبس» من كتابنا «التسهيل في تأويل التنزيل».

(٢) البخاري (حديث ٥٥٣٤) ومسلم (مع النووي ١٧٨/١٦).



والعلم والأدب، والنهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع ومن يغتاب الناس، أو يكثر فجره وبطالته، ونحو ذلك من الأنواع المذمومة.

هذا، وترغيباً في مجالسة أهل الفضل والصلاح وذكر والمستعان هو الله بشيء من الآثار الطيبة لمجالستهم والاقتراب منهم.

لا يخفى عليكم أيها الإخوة بارك الله فيكم ما ورد في الصحيح عن رسول الله ﷺ في شأن مجالس الذكر، وما ورد في فضلها وفضل من جالس أهلها، وإن لم يكن منهم فقد صح عنه ﷺ أنه قال: «هُمُ الْقَوْمُ لَأِشْتَقِيَ بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»^(١).

وكذا فمن أحب أهل الصلاح حشر معهم.

ففي الصحيحين^(٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! كيف ترى في رجل أحب قوماً ولما يلحق بهم؟ قال رسول الله ﷺ: «المرء مع من أحب».

وتستفيد من الجليس الصالح العالم علماً وصلاحاً وفقهاً، ومن الجليس الذاكر العابد عبادة وذكرًا:

أخرج البخاري^(٣) من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه قال: أَخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ؛ فَرَأَى سَلْمَانَ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَدِّلَةً فَقَالَ لَهَا: مَا سَأَلْتِ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا. فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا فَقَالَ: كُلْ. قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ. قَالَ: مَا أَنَا بِأَكْلٍ حَتَّى تَأْكُلَ، قَالَ: فَأَكَلُ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ

(١) أخرج مسلم في صحيحه (حديث ٢٦٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً فَضُلًا يَتَّبِعُونَ مَجَالِسَ الذُّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ حَتَّى يَمْلَأُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعَدُوا إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادِكَ فِي الْأَرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ. قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتِكَ. قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لَا أَيُّ رَبِّ. قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ. قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَكَ؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ. قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَعْفِرُونَكَ. قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ عَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا وَأَجْرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا. قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ! فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَاءٌ إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ. قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ عَفَرْتُ، هُمُ الْقَوْمُ لَأِشْتَقِيَ بِهِمْ جَلِيسُهُمْ».

(٢) البخاري (حديث ٦١٦٩) ومسلم (حديث ٢٦٤٠)، ونحوه عندهما من حديث أبي موسى أيضاً مرفوعاً.

(٣) البخاري (حديث ١٩٦٨).

ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَفُومُ. قَالَ: نَمْ، فَنَامَ ثُمَّ ذَهَبَ يَفُومُ. فَقَالَ: نَمْ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ سَلْمَانُ: فَمِ الْآنَ، فَصَلَّيَا، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ. فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ سَلْمَانُ».

فهذا أصل من أصول الاقتصاد يتعلمه أبو الدرداء من سلمان رضي الله عنه، وتعلمه نحن كذلك.

ولذا فإن نبي الله موسى عليه السلام حرص على لقاء الخضر للتعلم منه، وقال لفتاه: لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أومضي حقبا ^(١).
وقد قال تعالى: (فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) ^(١٢٢) [التوبة: ١٢٢].

أي فلولا خرج فريق من المسلمين مع رسول الله ﷺ في غزواته للاستفادة من علمه وللتفقه في سنته وإنذار قومهم عند الرجوع إلى بلادهم. أو فلولا ترك فريق من المسلمين بلادهم وأتوا إلى مدينة رسول الله ﷺ للتعلم منه ونقل العلم إلى قومهم وتحذيرهم ونصحهم.

وجلسك الصالح يدعو لك ويستغفر لك:

أخرج البخاري ^(٢) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ رَجُلًا يَقْرَأُ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ: «رَحِمَهُ اللَّهُ لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذَا آيَةً أَسْقَطْنَهُنَّ مِنْ سُورَةِ كَذَا وَكَذَا» وَرَأَى عَبْدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ عَائِشَةَ: تَهَجَّدَ النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِي، فَسَمِعَ صَوْتَ عَبْدٍ يُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ أَسَوْتُ عَبْدًا هَذَا؟» قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: «اللَّهُمَّ ارْحَمْ عَبْدًا».

والجليس الصالح يذكر صاحبه بالله عز وجل:

(١) أخرج البخاري (حديث ٧٨) ومسلم (ص ١٨٥٣) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بَيْنَمَا مُوسَى فِي مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ: هَلْ تَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْكَ؟ قَالَ مُوسَى: لَا فَأَوْحَى إِلَيْهِ إِلَى مُوسَى: بَلْ عَبْدُنَا الْخَضِرُ قَالَ: فَسَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَى لِقَائِهِ فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ الْحُوتَ آيَةً. وَقِيلَ لَهُ: إِذَا افْتَقَدْتَ الْحُوتَ فَارْجِعْ فَإِنَّكَ سَتَلْقَاهُ. فَسَارَ مُوسَى مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسِيرَ ثُمَّ قَالَ لِقَاتِهِ: (إِنَّا عَدَاءُ نَا) فَقَالَ فَتَى مُوسَى، حِينَ سَأَلَهُ الْغَدَاءَ: (أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتِنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَيْتُهُ إِلَّا الشَّيْطَانَ أَنْ أَذْكَرَهُ) فَقَالَ مُوسَى لِقَاتِهِ: (ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَارْتَدَّ عَلَيْنَا فَأَرَاهَا فَصَصَا) ^(١٦) فَوَجَدَا خَضِرًا فَقَانَ مِنْ شَأْنِهِمَا مَا قَصَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ».

(٢) البخاري (حديث ٢٦٥٥).

ألا ترى أن الخوف لما اعترى الصديق أبا بكر وهو مع الرسول ﷺ في الغار ذكره النبي ﷺ بقوله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّكَ اللَّهُ مَعَنَا﴾.

وفي «الصحيح» أن أبا بكر رضي الله عنه قال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا. قال: «يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِإِثْنَيْنِ اللَّهُ تَالِهُمَا؟»^(١)

وقال موسى عليه السلام لأصحابه لما قالوا له بعد أن تراءى الجمعان: (إِنَّا لَمُدْرِكُونَ) ﷻ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﷻ [الشعراء: ٦١، ٦٢].

ويذكره أيضاً بكتاب الله ﷻ:

فلذا كان أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه يختار أهل مشورته من حملة كتاب الله ﷻ، يذكرونه دوماً بالله ﷻ، ويبينون له معانيه.

أخرج البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قَدِمَ عُبَيْدُ بْنُ حَصْنِ بْنِ حُدَيْفَةَ، فَتَزَلَّ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ وَكَانَ الْفُرَاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا فَقَالَ عُبَيْدُ لِبْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الْأَمِيرِ فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ. قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَاسْتَأْذِنَ الْحُرُّ لِعُبَيْدَةَ، فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: هِيَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ فَوَاللَّهِ مَا نُعْطِينَا الْجَزْلَ وَلَا نَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ. فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ. فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) ﷻ [الأعراف: ١٩٩] وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ، وَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ وَكَانَ وَقَافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ.»

وجليسك الصالح يحثك على أعمال البر والإحسان:

ويذكرك ببر الوالدين وصلة الأرحام والإحسان إلى الفقراء والمساكين ويُنمي فيك مكارم الأخلاق من صدق الحديث وكرم السجايا والعفاف والصلة والشجاعة وقول الحق، إلى غير ذلك من مكارم الأخلاق.

وصديقك الصالح يدعو لك في غيابك ويرشدك في حضورك:

وينصحك إذا استنصحت، بل وإذا لم تستنصحه أيضاً، ويصلي عليك بعد موتك

(١) أخرج البخاري (حديث ٣٦٥٣) ومسلم (حديث ٢٣٨١) من حديث أبي بكر رضي الله عنه قال: قلت للنبي ﷺ وأنا في الغار: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا فقال: «مَا ظَنُّكَ بِإِثْنَيْنِ اللَّهُ تَالِهُمَا؟».

(٢) البخاري (حديث ٤٦٤٢).

ويستغفر لك.

ونبي الله زكريا عليه السلام استفاد من مريم عليها السلام كما أنها استفادت منه

أيضاً:

فقد كفلها زكريا عليه السلام فتربت في بيت نبوة طاهر مبارك كريم، فاستفادت خلقاً حسناً وعبادةً وورعاً وعفةً وأمانةً فأحصنت فرجها عليها السلام، ثم إن زكريا عليه السلام استفاد منها هو الآخر، فكان كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقاً فيسألها: أنى لك هذا؟ فتقول: هو من عند الله، فحملته وشجعته على الدعاء بالولد الصالح والذرية الطيبة، فقال: (رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ) (٣٨) فَتَادَتْهُ الْمَلَكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُنْشِرُكَ بِحَيِّ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (٣٩) **إل عمران: ٣٨، ٣٩.**

فرزق عليه السلام ببحيى عليه السلام من توفيق الله له، إذ رزقه الدعاء ووفقه إليه.

فيا من رزقت مريم بغير حساب، ويا من مننت على زكريا عليه السلام، ارزقنا بغير حساب، وهب لنا من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

والجليس الصالح يمنعك من القيل والقال والخوض في الأعراض واغتياب المؤمنين

والمؤمنات:

وذلك لأنه لا يرضى لنفسه أن يستمع إلى غيبة مسلم، ولا يرضى لنفسه أن تؤكل لحوم إخوانه الميتين أمام عينه، لا يرضى ذلك لمن يُغتاب أو يغتاب، بل يحفظ هذا وذلك.

أما جليس السوء فلا يلوي على أحد ولا يحفظ حرمة أحد، فيرى لحوم إخوانه تؤكل فيتركها تؤكل، بل ويشارك في أكلها، وبشراهة، فتجده يطعن في هذا وذلك ويغتاب هذا وذلك، ويُغتاب إخوانه أمامه ولا يدافع. فيبيت وقد انتفخت بطنه من لحوم الميتة، ونهشه أعراض المسلمين.

والجليس الصالح يحن لفراقك، ويسأل عنك ويتفقد أحوالك، حتى أن الجذع قد حن

لفراق جليسه الصالح رسول الله ﷺ :

أخرج البخاري (١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن امرأة من الأنصار قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، أأنا أجعل لك شئياً تفعد عليه فإن لي غلاماً نجاراً؟ قال: «إن شئت» فعملت له المنبر، فلما كان يوم الجمعة قعد النبي ﷺ على المنبر الذي صنع، فصاحت النخلة التي كان يخطب عندها حتى كادت أن تنشق، فنزل النبي ﷺ حتى أخذها فضمها إليه، فجعلت تنن أنين الصبي الذي يسكت حتى استقرت. قال: بكت على ما كانت تسمع من الذكر.

والجلس الصالح يعين صاحبه على ذكر الله عز وجل وعلى طاعته: ومن ثم طلب موسى عليه السلام (وأجعل لي وزيراً من أهلي) (٢) هرون أخي (٣) أشد به أزي (٤) وأشركه في أمري (٥) كسبحك كثيراً (٦) وتذكرك كثيراً (٧) إنك كنت بنا بصيراً (٨) [طه: ٣٥-٣٩].

ومجالسة الصالحين تجعلك تستقل أعمال البر التي تعملها:

ومن ثم تكرر وتزيد من أعمال البر والمعروف والعبادة والإحسان. فإذا كنت تصلي ركعتين نافلة لك من الليل، ورأيت جليسك يصلي أربعاً ويداوم على ذلك، فإنك تنشط لفعل ما يفعل. وإذا تصدقت بدرهم أو درهمين، ووجدت من هو في مثل حالك يتصدق بخمسة دراهم أو بعشرة، حملك صنيعه بلا شك على زيادة الصدقة إن شاء الله. فهذا عمر رضي الله عنه لما حث رسول الله ﷺ على الصدقة خرج بنصف ماله فوجد أبا بكر قد جاء بماله كله.

أخرج أبو داود بإسناد صحيح (٢) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «أمرنا رسول الله ﷺ يوماً أن نتصدق فوافق ذلك مالا عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً، فجئت بنصف مالي. فقال رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» فقلت: مثله. قال: وأنت أبو بكر رضي الله عنه بكل ما عنده فقال له رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» قال: أبقيت لهم الله ورسوله. فقلت: لا أسأفك إلى شيء أبداً.

وجلساء الخير والصلاح يعرفونك بالصالحين ويجمعونك بهم ويدلونك عليهم:

أخرج مسلم (٣) من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال أبو بكر رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ

(١) البخاري (حديث ٢٠٩٥).

(٢) أبو داود (حديث ١٦٧٨).

(٣) مسلم (حديث ٢٤٥٤).

□ لِعُمَرَ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمَّ أَيْمَنَ نَزُورُهَا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ □ يَزُورُهَا، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهَا بَكَتْ، فَقَالَا لَهَا: مَا يُبْكِيكِ؟ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ □. فَقَالَتْ: مَا أَبْكِي أَنْ لَا أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ □، وَلَكِنْ أَبْكِي أَنَّ الْوَحْيَ قَدْ انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ. فَهَبَّجْتُهُمَا عَلَى الْبُكَاءِ، فَجَعَلَا يَبْكِيَانِ مَعَهَا.

والجلوس الصالح يعطي الأمل ويبين ثواب الله ﷻ :

أخرج البخاري ^(١) من طريق ابن أبي مليكة قال: استأذن ابنُ عباسٍ على عائشةَ قَبْلَ مَوْتِهَا وَهِيَ مَغْلُوبَةٌ، قَالَتْ: أَحْشَى أَنْ يَنْتَبِي عَلَيَّ. فَقِيلَ: ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ □ وَمِنْ وُجُوهِ الْمُسْلِمِينَ. قَالَتْ: انْذَرُوا لَهُ. فَقَالَ: كَيْفَ تَجِدِينَكَ؟ قَالَتْ: بِخَيْرٍ إِنْ اتَّقَيْتِ. قَالَ: فَأَنْتِ بِخَيْرٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى زَوْجَةُ رَسُولِ اللَّهِ □؛ وَلَمْ يَنْكُحْ بَكَرًا غَيْرَكَ، وَنَزَلَ عُدْرَكَ مِنَ السَّمَاءِ. وَدَخَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ خِلَافَهُ، فَقَالَتْ: دَخَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَأَنْتَى عَلَيَّ، وَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ نَسِيًا مَنَسِيًّا.

ومصاحبة الأخيار تحمل على التنافس في الخير ^(٢).

والزيارات في الله، ومجالسة الصالحين الفقراء، ومواساتهم، والسؤال عنهم، كل ذلك يورث تواضعًا وإخباتًا وانكسارًا لله ﷻ :

وكذا مجالسة أهل الابتلاءات كالمرضى والمدينين والفقراء والمساكين وزيارة الأرامل والأيتام، في كل ذلك خير، ولكل من ذلك أثره على القلب.

ومن الحرص على مجالسة الصالحين:

قول نبينا □ : «لَيْتَ رَجُلًا صَالِحًا مِنْ أَصْحَابِي يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ» ^(٣) فاحرص ببارك

(١) البخاري (حديث ٤٧٥٣).

(٢) أخرج الإمام أحمد (٤٥٤/١) بإسناد صحيح لشواهد من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ □ الْمَسْجِدَ وَهُوَ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَإِذَا ابْنُ مَسْعُودٍ يُصَلِّي وَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ «النَّسَاءَ» فَأَنْتَهَى إِلَى رَأْسِ الْمَائِدَةِ، فَجَعَلَ ابْنُ مَسْعُودٍ يَدْعُو وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فَقَالَ النَّبِيُّ □ : «اسْأَلْ تُعْطَهُ، اسْأَلْ تُعْطَهُ» ثُمَّ قَالَ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَضًّا كَمَا أَنْزَلَ فَلْيَقْرَأْهُ بِقِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ». فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ لِيُبَشِّرَهُ وَقَالَ لَهُ: مَا سَأَلْتَ اللَّهَ الْبَارِحَةَ؟ قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيْمَانًا لَا يَرْتَدُّ، وَنَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَمُرَافَقَةً مُحَمَّدٍ فِي أَعْلَى جَنَّةِ الْخُلْدِ. ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ قَدْ سَبَقَكَ، قَالَ: يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ، مَا سَبَقْتُهُ إِلَى خَيْرٍ قَطُّ إِلَّا سَبَقْتَنِي إِلَيْهِ.

(٣) أخرج البخاري (حديث ٢٨٨٥) ومسلم (حديث ٢٤١٠) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ النَّبِيُّ □ سَهْرًا قَلَمًا قَدِمَ الْمَدِينَةَ قَالَ: «لَيْتَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِي صَالِحًا يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ»، إِذْ سَمِعْنَا صَوْتَ سِلَاحٍ، فَقَالَ: «مَنْ هَذَا؟» فَقَالَ: أَنَا سَعْدُ ابْنُ أَبِي وَقَاصٍ جِئْتُ لِأَحْرُسَكَ فَنَامَ النَّبِيُّ □.

الله فيك على مجالسة الصالحين، واحرص على مجالس القرآن، فأهل القرآن هم أهل الله وخاصته.

كما قال النبي ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ» قِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ»^(١).

ومجالسهم تحفها الملائكة، وتغشاها الرحمة، وتنزل عليها السكينة، ففي «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ؛ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَعَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»^(٢).

ومجالسهم تحمل على التنافس في الخير، وهذا تنافس محمود، وفي الحديث: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جار له فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل...»^(٣)

هذا فضلاً عن كونها مجالس الريانيين، قال تعالى: ٣ (وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ مُعْمِلِينَ الْكِتَابِ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ) (آل عمران: ٧٩).

وفضلاً عن كونها مجالس الخيرين كما قال ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»^(٤).

وفي رواية: «إِنَّ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»^(٥).

وكذلك فمجالس تتعلم فيها سنة رسولك محمد ﷺ ينضّر الله بها الوجوه:^(٦)

كما قال ﷺ: «نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاها، ثُمَّ أَدَاها كَمَا سَمِعَهَا»^(٦).
تلكم المجالس التي تتخللها صلوات وتسلميات على رسول الله ﷺ تجلب لك صلوات ربك وتسلمياته، وكذا فالنبي ﷺ يرد عليك مصلياً مسلماً.

أخرج أحمد وأبو داود بسندٍ حسن واللفظ لأبي داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن

(١) أحمد في «المسند» (١٢٧/٣) بسندٍ حسن من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) مسلم مع النووي (٢١/١٧).

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح ٧٣/٩).

(٤) البخاري (مع الفتح ٧٤/٩).

(٥) البخاري (مع الفتح ٧٤/٩).

(٦) صحيح متواتر.

رسول الله ﷺ قال: «مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّىٰ أُرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ»^(١).

وكذا فاحرص على مجالس العلم والفقه: يقبل ﷺ عليك إذا أقبلت على تلك المجالس، أما إذا أعرضت عنها فسيعرض عنك ربك سبحانه وتعالى، ففي «الصحيحين» من حديث أبي واقد الليثي **رضي الله عنه** في قصة الثلاثة نفر الذين أتوا ورسول الله ﷺ جالس في المسجد، في هذا الحديث: ... فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد. قال: فوقفا على رسول الله ﷺ. فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها. وأما الآخر فجلس خلفهم. وأما الثالث فأدبر ذاهباً. فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَىٰ إِلَى اللَّهِ، فَأَوَاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا، فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ، فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ».

ولذا فمن علامات إرادة الخير بك أن توفق للفقه في الدين، قال النبي ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفْقِهْهُ فِي الدِّينِ»^(٢). وعموماً فإن مجالس الخير وتكثير سواد المسلمين وحضور دعوتهم يستحب شهودها^(٣).

فبعد هذه النصوص أيها الإخوة، يلزمنا البحث دائماً وأبداً عن الرفقة الصالحة وعن المجالس الصالحة، وفقنا الله وإياكم لها، ودلنا الله وإياكم عليها، ونفعنا الله وإياكم بها. واستغفروا ربكم إنه كان غفراً.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

أما بعد:

فهؤلاء أيضاً جلساء، فاختر منهم وكن منهم على حذر.
الزوجة.

(١) أحمد (١٤٤/٤، ١٥٣)، وأبو داود (٥٣٤/٢).

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٧١) ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية **رضي الله عنه** مرفوعاً.

(٣) ففي «الصحيح» حديث (٣٢٤) من حديث أم عطية رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «يُخْرَجُ الْعَوَاتِقُ وَنَوَاتُ الْخُدُورِ وَالْحَيْضُ، وَلِيُشْهَدَنَّ الْخَيْرَ وَدَعْوَةَ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَعْتَزَلَ الْحَيْضُ الْمُصَلِّيَّ» وهذا في صلاة العيد.

الجار.

صاحب السفر.

والكتاب جليس.

والمجلات جليس.

الزوج وكذا الزوجة كلاهما جليس؛ فأحرص على صلاح ذلك الجليس:

وقد قال الله تبارك وتعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِّنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عُدُوَّكُمْ

فَأَحَدُكُمْ) [التغابن: ١٤].

ففرق بين زوج يذكر زوجته بالله **عَزَّوَجَلَّ** ، ويعينها على إقامة حدوده، ويوقظها للصلاة ويحثها على النفل بعد الفرض، كما هو صنيع نبيه محمد ﷺ ، فقد استيقظ ذات ليلة فقال: «سُبْحَانَ اللَّهِ! مَاذَا أَنْزَلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الْفِتَنِ، وَمَاذَا فَتَحَ مِنَ الْخَزَائِنِ؟ أَيْقِظُوا صَوَاحِبَ الْحَجَرِ قُرْبًا كَاسِيَةً فِي الدُّنْيَا عَارِيَةً فِي الْآخِرَةِ»^(١).

وكذا يحظى بفضيلة حديث رسول الله ﷺ : «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى وَأَيْقِظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ. وَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ وَأَيْقِظَتْ زَوْجَهَا فَصَلَّى، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِ الْمَاءِ»^(٢).

فرق بين هذا الذي يأمر أهله بالصلاة وبين آخر ينهى عبداً إذا صلى.

فرق بين زوجة سالحة تحت زوجها على الصدقة وترغبه فيها، وتذكره بصلة الأرحام وبر الوالدين، وزوجة تحمل زوجها على الشح وتأمره بالبخل وتتسبب في قطع الرحم وعقوق الوالدين.

فرق بين زوجة تعرف ربها، وترضى بقضائه وقدره، وتصبره في البأساء والضراء، وزوجة جاهلة بالله تتسخط على الأقدار، وتجحد المعروف، وتنكر الإحسان.

إن نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام أمر إسماعيل عليه السلام أن يغيّر عتبة بابه، وذلك بمفارقة امرأة ليست بشاكرة لأنعم الله **عَزَّوَجَلَّ** عليها^(٣).

(١) البخاري (حديث ١١٥).

(٢) أحمد بسند حسن «المسند» (٢٥٠/٢).

(٣) ففي الصحيح (٣٣٦٤) من حديث ابن عباس **رضي الله عنهما** قال: أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل، اتخذت منطقاً لتعفي أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم وبإبنيها إسماعيل وهي ترضعهُ حتى وضعتهُما

إن الزواج من امرأة سالحة أمر محمود العواقب:

وزواج المرأة برجل صالح أمر محمود العواقب كذلك إن شاء الله، ففضلاً عما في ذلك من امتثال النصوص الأمرة باختيار ذي الدين وذات الدين، كقول النبي ﷺ : «فاظفر بذات الدين تربت يداك»^(١) وغير ذلك من النصوص كقول النبي ﷺ : «الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة»^(٢).
فضلاً عن ذلك فالزوجة الصالحة تعين على أمر الدين، وتذكر صحبتها برب العالمين.

* والزوجة الصالحة تخلفك في مالك وولدك بخير.

* والزوجة الصالحة لا تلحق بك من ليس لك بولد.

* والزوجة الصالحة تسمع وتطيع أولاً لله رب العالمين ولرسوله الأمين عليه أفضل صلاة وأتم تسليم، ثم هي مطيعة لزوجها ما دام يأمر بمعروفٍ.

عند النبيّ عند دوحه فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جراباً فيه تمرٌ وسقاء فيه ماء، ثم قفى إبراهيم مُطلقاً، فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟! فقالت له ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها فقالت له: الله أمرك بهذا قال: نعم قالت إذن لا يصنعنا ثم رجعت.

فذكر الحديث وفيه: «فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل يطالع تركته، فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغي لنا، ثم سألتها عن عيشتهم وهبنتهم فقالت: نحن بشرٌ نحن في ضيقٍ وشدة، فشكت إليه قال: فإذا جاء زوجك فاقرني عليه السلام وقولي له يغير عتبه بابه. فلما جاء إسماعيل كأنه آس شيناً فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم جاءنا شيخٌ كذا وكذا، فسألنا عنك فأخبرته وسألني كيف عيشتنا، فأخبرته أنا في جهدٍ وشدة قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم أمرني أن أقرأ عليك السلام، ويقول: غير عتبه بابك. قال: ذاك أبي وقد أمرني أن أفارقك الحقي بأهلك فطلقها، وتزوج منهم أخرى، فلبت عنهم إبراهيم ما شاء الله، ثم أتاهم بعد فلم يجده، فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت: خرج يبتغي لنا، قال كيف أنتم؟ وسألها عن عيشتهم وهبنتهم فقالت: نحن بخير وسعة؟ وأنت على الله فقال: ما طعامكم؟ قالت: اللحم قال: فما شرابكم؟ قالت: الماء قال اللهم بارك لهم في اللحم والماء. قال النبي ﷺ : «ولم يكن لهم يومئذ حب، ولو كان لهم دعا لهم فيه، قال: فهما لا يخلو عليهما أحدٌ بغير مكة إلا لم يوافاه» قال فإذا جاء زوجك فاقرني عليه السلام، ومريه يئيب عتبه بابه. فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم أتانا شيخٌ حسن الهيئة، وأنت عليه، فسألني عنك، فأخبرته فسألني كيف عيشتنا؟ فأخبرته أنا بخير، قال: فأوصاك بشيء؟ قالت: نعم، هو يقرأ عليك السلام، ويأمرك أن تئيب عتبه بابك. قال: ذاك أبي وأنت العتبه أمرني أن أمسكك».

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥٠٩٠) ومسلم (حديث ٤٦٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) مسلم (٦٥٦/٣).

أما الزوجة السيئة فتذكر بكل شر وتحث على كل منكر:

فليست بمطبعة لله ولا لرسوله □ ، وليست بمذكرةٍ ببر وإحسان وصلة وصدقة وعفاف، وليست حافظة لفرجها ولا محسنة إلى أبنائها، فمن ثم فهي جليس سيئ يحرق ثيابك أو تجد منه ريحاً خبيثة، كما قد ذكر رسول الله □ في شأن جليس السوء.

إن الزوجة السيئة تخونك مع صديقك، وتخونك في مالك وتزهدك في الصلوات المكتوبات وفي الجمع والجماعات. وتبخلك إذا أردت الصدقة، وتجبّتك إذا أردت الجهاد، وتخوّفك إذا أردت أن تتكلم بكلمات الحق وتشهد شهادات الحق، وتكفر العشير وتجحد الإحسان. هذا فضلاً عما يقتبسه الزوج من أخلاقها السيئة.

وكذلك فالجار جليس: فاحرص على اختيار الجار الصالح فهو جارٌ مذكّرٌ بحدود الله وأوامره ونواهيه وناصح أمين، وناهٍ عن المنكر وأمر بالمعروف، وسببٌ في الحفاظ على أهلك في غيابك بل وفي حضورك كذلك.

تسمع منه الخير، يشع من بيته النور، تسمع آيات الله تتلى من بيته، يوقظك للصلوات، يذكرك بصيام النفل بعد الفرض، يُذكرك بعيادة المرضى، يعينك على المعروف والإحسان.

أما الجار السيئ فعلى النقيض من ذلك، تسمع منه الشر، يفجؤك بالخانات، لا تأمن منه البوائق، يخلفك في أهلك بسوء ومكروه.

يدل على عوراتك ويتتبعها؛ يحسدك على ما من الله به عليك وأنعم. فقبل أن تشتري داراً أو تسكنها سل عن جيرانك من هم، وما هم؟ فأولادك يتأثرون بأولادهم وبناتك يتأثرون ببناتهم، والمحفوظ من حفظه الله تعالى والمعصوم من عصم.

وكذلك فاحرص على اختيار صاحب صالح لك في السفر: يعينك على الخير ويشد عضدك فيه.

وقبل أن تركب سيارة انظر إلى سائقها إذا كان ذلك بوسعك واختيارك فإذا كان رجلاً صالحاً فتوكل على الله واركب معه، ولا تكن مع العصاة الخائنين. إن السائق الصالح يسمعك كل خير، ويذكرك بكل معروف. تسمع من سيارته قرأنا يتلى، وذكرًا، وطيبًا من الكلم والقول، فمن ثمّ تصحبكم الملائكة في سفركم. ويحفظكم ربكم ويرحمكم، وهو خيرٌ حافظًا وهو أرحم الراحمين.

أما السائق السيئ: فسرعان ما تسمع منه سبَّ الدين والشتم والبذاءات واللعن والتسخرات. وترى عبوسًا في الوجه وقمطيرًا في الجبين.
ثم تسمع الموسيقى الصاخبة، والأجراس المزعجة التي تنفر الملائكة، إذ الملائكة لا تصحب رفقة فيها جرس (١).
فإذا تركت الملائكة صحبتكم، صحبتكم الشياطين فتوزكم على المعاصي أزا، وتدفعكم إليها دفعًا وتسوقكم إليها سوقًا.

وقد علمنا أن المصائب، وكذا الحوادث والابتلاءات تقع بسبب المعاصي والتمرد على أمر الله، قال تعالى: (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ) (الشورى: ٣٠).

فقد تقع في مصيبة بسبب هذه المعاصي وتلك الشياطين التي تحيط بكم، فكم من مصيبة حدثت بسبب ذلك.
وكم من بلية حُت بسبب ذلك، وفضلًا عن ذلك فإن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولًا.

والكتاب جليس:

فاحرص على اقتناء كتاب طيب يحمل مادة طيبة، تُذَكِّرُ فيها بكتاب الله ﷻ ، أو بسنة رسوله ﷺ ، أو بسيرة صالح من الصالحين، أو تتعلم منه مسألة تنفعك في دينك أو دنياك.

فثم كتب تزكي في نفسك أعمال الخير والبر والمعروف، وتبين لك عاقبة الإحسان والمحسنين، وتحملك على كظم الغيظ والعفو عن الناس وتجملك بمكارم الأخلاق، وحسن الصفات.

ففرق بين هذه الكتب وبين كتب السحر والكهانة والشعوذة، وكذا كتب الفسق التي تحكي قصص العشق والغرام، وتزين الفحش والإجرام، وتحمل على الرذيلة والمنكر.

وكذا كتب الأساطير التي لا فائدة فيها إلا ضياع الوقت والجهد والدين.

وكتب الفلاسفة التي لا يجنى من ورائها إلا القيل والقال، بل والزندقة والكفر.

وابن عباس رضي الله عنهما كان ينهى عن القراءة في كتب هي أفضل بكثير من تلك الكتب التي حذرنا منها:

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢١١٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.



ففي «الصحيح»^(١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: قال: «يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ وَكِتَابِكُمْ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى نَبِيِّهِ □ أَحَدْتُ الْأَخْبَارَ بِاللَّهِ تَقْرَءُونَهُ لَمْ يُسَبِّ؟ وَقَدْ حَدَّثَكُمُ اللَّهُ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ بَدَّلُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ، وَغَيَّرُوا بِأَيْدِيهِمُ الْكِتَابَ فَقَالُوا ﴿هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أَفَلَا يَنْهَأَكُمُ بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ عَنْ مُسَاءَلَتِهِمْ؟ وَلَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا مِنْهُمْ رَجُلًا قَطُّ يَسْأَلُكُمْ عَنِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ».

الدعاء...

* * *

MOSTAFAALADWIY.COM

(١) أخرجه البخاري (٢٦٨٥).

m

جلساء السوء

أما بعد: فنحن كمسلمين عبيدُ الله سبحانه وتعالى ، قد جمعنا بين الإسلام الذي من أجل معانيه الاستسلام والانقياد لله **ﷻ** ، وبين العبودية التي من أسمى معانيها الذل والخضوع والطاعة والمحبة لله سبحانه وتعالى .

ولأننا كمسلمين رضيينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، ورضينا بعبوديتنا لله سبحانه وتعالى، بل وتشرقنا بها ونحمد الله على ذلك؛ فلا يسعنا من ثم أن نفعل ما شئنا، ولا نتكلم كيف شئنا، ولا ننطلق كيف شئنا، ولا نفكر كيف شئنا، ولا نجالس من شئنا، ولا نجلس حيث شئنا، بل نجلس كما أمرنا الله أن نجلس، وحيث أمرنا الله أن نجلس، ومع الذين أمرنا بمجالستهم.

ونتكلم كما أمرنا الله أن نتكلم وحيث أمرنا الله أن نتكلم، ونتقي من الكلام ما نهانا عنه ربنا سبحانه وتعالى ، ونفكر كما أراد الله لنا أن نفكر، وننظر إلى حيث أمرنا الله أن ننظر، ونسمع ما أمرنا الله بالاستماع إليه، ونهجر ما أمرنا الله بهجرانه. قال تعالى: (إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) (الإسراء: ٣٦).

قال تعالى: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا) (الأحزاب: ٣٦).

وقال تعالى: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (النساء: ٦٥) .

ومن ثم فإننا كما قدمنا لا نجالس من أردنا ومن أحببنا بل نجالس من أمرنا الله بمجالسته، ونعتزل من أمرنا الله **ﷻ** باعتزاله، ونهجر من أمرنا الله بهجرانه، ونقبل على من أمرنا الله بالإقبال عليه، وفي ذلك عزٌ لنا وشرفٌ، وكلما ازداد المرء طاعة لله وامتنالاً لأمره كان كريماً على الله **ﷻ** ، ولهذا وُصفت الملائكة لكونهم أطوع الخلق، فلا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون بأنهم عباد مكرمون.

هذا وقد قال الله لنا تبارك وتعالى (مَا قَرَّبْنَا فِي الْأَكْتَابِ مِنْ شَيْءٍ) (الأنعام: ٣٨).



فمن ثم قد بين الله لنا من نجالس وأين نجلس، ومن نعتزل، ومن نهجر في نصوص واضحات جليات، وآيات بينات محكمات.
وذلك لما للجليس من تأثير وأثر في الدنيا والآخرة.
فكم من شقي كانت شقاوته بسبب جليس سيئ جالسه، وكم من غويٍّ غوايته كانت بسبب شرير أرداه وأهلكه بسبي صحبته.

فإذا ذهبت إلى السجون ونظرت في أمر أهلها وأصحابها وسألتهم عن سبب سجنهم؛ فتجد أكثرهم قد دخلوها وارتكبوا ما ارتكبه من جرائم وأثام بسبب جلساء سوءٍ تسببوا لهم فيما هم فيه.

وفي الآخرة كذلك، كم من شخص قد شقي بالجحيم التي لا يموت فيها ولا يحيا بسبب جليس سوء.

فكم من شخص كاد أن يسلم ويستقيم، ولكن خذله المخدّلون، وأرداه المفسدون فكان من أصحاب الجحيم.

وفي المقابل: كم من شخص قد أسعده الله وأورثه أعالي الجنان، وغفر له ذنبه وسُتِرت عليه عيوبه بسبب مجالسته للصالحين.

وكم من شخص قد انثقل من ظلمات الغيِّ وحُفظ وعصم ووسع عليه في الرزق بسبب مجالسته للصالحين.

فلا شك أن الجلساء يؤثر بعضهم في بعض، ويقتبس بعضهم من خصال بعض، ويعمل بعضهم كعمل بعض، إلا من رحم الله تعالى.

وفي «الصحيحين» من حديث أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْدِثَكَ (١) ، وَإِمَّا أَنْ تُبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تُجَدَّ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً. وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تُجَدَّ رِيحًا خَبِيثَةً» (٢).

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في شرح هذا الحديث: فيه فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب، والنهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع ومن يغتاب الناس، أو يكثر فجره وبطالته، ونحو ذلك

(١) يحذيك: أي يعطيك.

(٢) البخاري: (حديث ٥٥٣٤)، ومسلم مع النووي (١٧٨/١٦).

من الأنواع المذمومة.

وقد روي أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدَكُمْ مِنْ يُخَالِلِ»^(١).

قال المباركفوري رحمه الله^(٢): فمن رضي دينه وخلقه خالقه، ومن لا تجنبه؛ فإن الطباع سرّاقة والصحبة مؤثرة في إصلاح الحال وإفساده، قال الغزالي: مجالسة الحريص ومخالطته تحرك الحرص، ومجالسة الزاهد ومخالطته تزهد في الدنيا؛ لأن الطباع مجبولة على التشبه والافتداء بالطبع من حيث لا يدري.

والقرشيون كانوا قوما يغلبون نساءهم، فلما قدموا المدينة وجدوا الأنصار قوماً تغلبهم نساؤهم، فطفق نساء القرشيين يأخذون من أدب نساء الأنصار، ويراجعن أزواجهن في الحديث والخطاب كما تراجع نساء الأنصار أزواجهن، وفي «الصحيح»^(٣) أن عمر رضي الله عنه قال: «وَكُنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ نَغْلِبُ النِّسَاءَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى الْأَنْصَارِ إِذَا قَوْمٌ تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ، فَطَفِقَ نِسَاؤُنَا يَأْخُذْنَ مِنْ أَدَبِ^(٤) نِسَاءِ الْأَنْصَارِ فَصَخَبْتُ^(٥) عَلَيَّ امْرَأَتِي فَرَأَجَعْتَنِي فَأَنْكَرْتُ أَنْ تُرَاجِعَنِي».

وأيضاً فقد قال تعالى: (الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رُسُلِهِ وَلِلَّهِ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ)^(٦) [التوبة: ٩٧].

فترى أن الأعراب أشدُّ كُفْرًا ونفاقًا من من؟!!

قال بعض العلماء: الأعراب أشدُّ كُفْرًا ونفاقًا من كفار أهل المدينة ومنافقي أهل المدينة.

فالأعرابي الكافر أشدُّ كُفْرًا من المدني الكافر.

والأعرابي المنافق أشدُّ نفاقًا من المدني المنافق.

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٣٣)، وأحمد (٥٢٨٨) والترمذي (٢٣٧٨) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وعبد ابن حميد في «المنتخب» بتحقيقي (١٤٢٩).

وفي سننه موسى بن وردان، وزهير بن محمد، وفي كل منهما مقال، وقد حسنه بعض أهل العلم، منهم الترمذي، وقد أورده الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٩٢٧).

(٢) «تحفة الأحوذى» (٤٩/٧).

(٣) البخاري (حديث ٥١٩١).

(٤) أي من سيرتهن وطريقتهن.

(٥) الصخب: الزجر من الغضب.



وذلك على ما ذكره بعض العلماء؛ لأن الأعرابي جمع بين الجفوة والغلظة فمن بدا جفا والجهل أيضاً.

أما كفار المدينة ومنافقوها في الغالب فلمجالستهم رسول الله ﷺ وأصحابه اقتبسوا في الظاهر من أخلاقهم وعاداتهم.

وليس الجليس من الناس فحسب هو الذي يؤثر؛ بل مجالسة حتى الحيوان تؤثر، قال النبي ﷺ: «رَأْسُ الْكُفْرِ نَحْوُ الْمَشْرِقِ، وَالْقُفْرُ وَالْخِيَاءُ فِي أَهْلِ الْخَيْلِ وَالْبَابِلِ، وَالْقَدَّادِينَ أَهْلُ الْوَبْرِ، وَالسَّكِينَةَ فِي أَهْلِ الْعَنَمِ».

فالناقة لما كانت تمشي رافعة رأسها إلى أعلى أورت ذلك والله أعلم من يجالسونها كبيراً وعجباً.

والنساء لكونها ساكنة أورت أهلها سكوناً وتواضعاً بإذن الله، ومن ثم قال النبي ﷺ: «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْعَنَمَ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، كُنْتُ أُرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطٍ لِأَهْلِ مَكَّةَ»»^(١).

وقد صح^(٢) عن أمير المؤمنين عمر أنه ركب بردوناً فجعل يتبختر به فجعل يضربه فلا يزداد إلا تبخترًا فنزل عنه، وقال: ما حملتموني إلا على شيطان ما نزلت عنه حتى أنكرت نفسي. فلركوب البردون وتبختره أثر في نفس راكمه، فتركه أمير المؤمنين عمر، وليس ترك أمير المؤمنين عمر لركوبه من باب التحريم، فحاشا أمير المؤمنين أن يحرم شيئاً أحله الله، فانه يقول: (وَالْخَيْلُ وَالْبَعَالُ وَالْحَمِيرُ لَتَرْكَبُوهَا وَرَبِيَّةٌ) [النحل: ٨].

ولكن لما كان لهذا التبختر من البردون أثر في قلب أمير المؤمنين عمر، ترك أمير المؤمنين عمر هذا البردون ونزل عنه.

وقد ذكر بعض أهل العلم في تفسير قول الله ﷻ: ﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ ﴾ [النساء: ١٤٨] ما حاصله: أن كثرة الاستماع إلى السيئ من القول يهونه على سامعيه، فإذا سمعت على سبيل المثال أن شخصاً ما قد زنا والعياذ بالله فإنك تستبشع

(١) أخرجه البخاري (٣٣٠١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٦٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٣) أخرجه الطبري (٧٦/١) وابن شبة في «تاريخ المدينة» (٨٢٢/٣، ٨٢٣) وانظر ابن كثير في «التفسير» (١٧/١).

ذلك وتستفدرة، ثم بكثرة طرق ذلك على مسامعك تعتاد سماعه ويقبل منك إنكاره، حتى إنه يكاد يتلاشى في قلوب بعض الناس، ولا يستتكرونه، بل يصفون الذي وقع في الفاحشة والتي وقعت فيها بلفظ يهون منه، كقولهم: أخطأ فلان، وأخطأت فلانة.

ولتأثر الجليس بجليسه:

قد طلب موسى عليه السلام من ربه ﷻ أن يفرق بينه وبين القوم الفاسقين الذي ضعف إيمانهم، وقلّ يقينهم بنصر الله، وعصوا رسول ربهم فلما طلب منهم موسى دخول الأرض المقدسة وأبوا عليه وتمردوا على أمره بقولهم: (قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا أَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾) [المائدة: ٢٤] قال موسى: (رَبِّ إِنِّي لَأَ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾) [المائدة: ٢٥].

وأيضاً فقد اعتزل الخليل إبراهيم عليه السلام مجالس قومه: وقال لهم: (وَأَعْتَزَلُكُمْ

وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾) [مريم: ٤٨].

وقال أيضاً: (إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ﴿٤٩﴾) [الصفات: ٤٩] فأكرمه الله وكافأه أحسن مكافأة وجزاه أحسن جزاء، كما قال تعالى: (فَلَمَّا أَعْتَرَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾) [مريم: ٤٩، ٥٠].

وهكذا من يترك مجالسة الأشرار ابتغاء وجه الله يكرمه الله عز وجل، ومن ترك شبيهاً اتقاء الله ﷻ عوضه الله خيراً منه.

ونرى نصيحة الفقيه العالم لمن قتل مائة نفس بمفارقة أرضه أرض السوء، والانطلاق إلى أرض بها قومٌ من أهل الصلاح يعبدون الله فيعبد الله معهم، وهذا مخرجٌ عظيم من أعظم المخارج من الفتن، وها هو الحديث بذلك: أخرج البخاري ومسلم (واللفظ لمسلم) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كَانَ فَيَمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، فُذِّلَ عَلَىٰ رَأْسِهِ فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا. فَقَتَلَهُ فَكَمَلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، فُذِّلَ عَلَىٰ رَجُلٍ عَالِمٍ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ. فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَىٰ أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أَنْاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَىٰ أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضٌ سَوْءٌ. فَانْطَلِقْ حَتَّىٰ إِذَا تَصَفَّ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ:



جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ. وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ. فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ: قَيْسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ فإِلَى أَيَّتَهُمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ. ففَاسَوْهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَفَبَيَّضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ».

فلما تقدم من تأثر الجليس بجليسه، قد وردت نصوصٌ عدة من الآيات والأحاديث الثابتة الصحيحة، تحذر من مجالسة أهل الكفر والشرك والشك والفساد والريب، والظلم والإثم والعدوان والغفلة، نورد منها ما يلي:

قوله تعالى: (وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكُتُبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ أَنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُتَّقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا) [النساء: ١٤٠].

وفي موضع آخر يقول تعالى: (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُبْسِتْكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) [١٨] وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَنْقُوتُ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ [٢٦] [الأنعام: ٦٨، ٦٩].

وقوله تعالى: (وَذَرِ الَّذِينَ أَخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) [الأنعام: ٧٠].

وقال تعالى: (فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) [٢٩] ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعَالَمِ [النجم: ٢٩، ٣٠].

وقال تعالى: (سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِيَتَعَرَّضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآ وَنَهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) [التوبة: ٩٥].

ومن ذلك قول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةَ مَنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَايَا وَدُوا مَا عَنِتُّمْ قَدَ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ) [١١٨] هَكَأَنْتُمْ أَوْلَاءُ يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لِقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ [١١٩] [آل عمران: ١١٨، ١١٩].

ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِمَّنْ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ قَوْمًا لَا يَعْقِلُونَ) [٥٨] [المائدة: ٥٧، ٥٨].

ومن النواهي عن مجالسة الظالمين أيضاً قوله تعالى: (وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ) [١١٣] [هود: ١١٣].

فلا تظن أن ظالماً سينصرك ويحفظك، ويدافع عنك بين يدي الله وينافح عنك إذا

أراد الله بك سوءاً أو مكروهاً.

ومما ورد في ذلك من التحذير أيضاً قوله تعالى: (وَلَوْلَا أَنْ تُبَنَّاتِكُ لَمَدَّتْ تَرَكَتُ إِلَىٰ إِلَهُمْ شَيْئًا قَلِيلاً ﴿٧٥﴾ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾) [الإسراء: ٧٤، ٧٥].

ومن النواهي أيضاً قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾) [المتحنة: ١٣].

وقد نهى الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ عن الصلاة في مسجد الضرار لاجتماع أهل النفاق فيه، فقال تعالى: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفَرِّقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالرَّسَادَا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَ وَاللَّهُ يَتَّبِعُهُمُ الْكَذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا نَقُومُ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَظْهَرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾) [التوبة: ١٠٧، ١٠٨].

وأخرج الدارمي بسند صحيح (١) عن أيوب قال: لا تجالسوا أهل الأهواء، ولا تجادلوهم؛ فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون. نسأل الله أن يجنبنا وإياكم أهل الشر ومجالسهم، وأن يجمعنا وإياكم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً. استغفروا ربكم إنه كان غفراً.

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد:

فبعد أن علمتم خطر جلساء السوء وخطر مجالستهم، فأحذر نفسي وإخواني من مجالس السوء عموماً، ومن مجالس النحس المستمر التي تجلب لصاحبها نكداً في دنياه وأخراه.

تلك المجالس التي يقعد أهلها بكل صراطٍ يودون ويصدون عن سبيل الله من آمن به ويبغونها عوجاً.

تلك المجالس التي تشغل أهلها بأموالهم وأولادهم عن ذكر الله فأصبحوا من

(١) «الدارمي» (ص: ١٠٨)



الخاسرين.

مجالس اتبع أهلها من لم يزده ماله وولده إلا خساراً.
مجالس أهل الظلم وأهل الكفر، تلك التي تتول بأهلها إلى الجحيم والعياذ بالله.
ها هم جلساء سوء أردوا أصحابهم إلى الجحيم بعد أن كاد يُسلم، ألا وهو أبو طالب
عم رسول الله ﷺ الذي كان ينافح عن الرسول ويدافع.

فقد ذكر العلماء من أبياته التي كان ينافح بها عن رسول الله ﷺ هذه الأبيات (١):
الأبيات (١):

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهالك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل
كذبتهم وبیت الله يُبزي محمدٌ ولما نقاتل دونه ونناضل
ونسلمه حتى نُصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وذكروا منها أيضاً قوله:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفيناً (٢)

وذكروا أيضاً مقولته:

ودعوتني وعلمت أنك صادق ولقد صدقت وكنت قبل أمينا (٣)

فانظروا إلى الضرر الذي ألحقه رفيق السوء أبو جهل بأبي طالب، ففي
«الصحيحين» (٤) من طريق سعيد بن المسيب عن أبيه قال: (لما حضرت أبا طالب
طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل، وعبد الله بن أبي أمية بن
المغيرة.

فقال رسول الله ﷺ: «يَا عَمَّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةَ أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ». فَقَالَ أَبُو
جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمِيَّةٍ: يَا أَبَا طَالِبٍ ائْتَرَعْبُ عَنْ مَلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ يَعْرضُهُ عَلَيْهِ وَيَعِيدُ لَهُ تِلْكَ الْمَقَالَةَ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى

(١) «البداية والنهاية» (٩٣/٦).

(٢) «فتح الباري» (١٩٤/٧).

(٣) «فتح الباري» (١٩٦/٧).

(٤) البخاري (حديث ٣٨٨٤) ومسلم (حديث ٢٤).

مَلَّةٌ عَبْدُ الْمُطَلِّبِ. وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا وَاللَّهِ؛ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَلَمْ أَنَّهُ عَنكَ» فَأَنْزَلَ مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّ هُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ [التوبة: ١١٣]. وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ فِي أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) [القصص: ٥٦].

وهرقل كاد أن يسلم وتمنى أن يكون عند رسول الله ﷺ يغسل التراب عن رجليه، ولكن قرناء السوء وخُلان الشر والفساد تسببوا في ضلاله لما أثار رغبته على ما عند الله عز وجل، فقد سأل هرقل أبا سفيان جملة من الأسئلة عن رسول الله ﷺ، وعلم من أجوبتها ما يقطع بصحة نبوة رسول الله ﷺ، ومع ذلك ضل لما أثار ملكه، وأثر مجالسة حاشيته وبطانته وأن يبقى ملكاً عليهم ويرضون عنه، فكفر بذلك وحُذِلَ ^(١).

وجلساء السوء يزینون لك الباطل ويحبونك فيه:

وقال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَاطِئِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ

(١) في صحيح البخاري حديث رقم (٧) من حديث أبي سفيان بن حرب أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش... فذكر الحديث وفيه أن هرقل قال له بعد جملة من الأسئلة التي وجهها إليه وأجابه عليها أنه قال للترجمان:

قُلْ لَهُ: سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ دُو نَسَبٍ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُنْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا. وَسَأَلْتُكَ: هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ؟ فَذَكَرْتَ: أَنْ لَا، فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ لَقُلْتُ: رَجُلٌ يَأْسَىٰ بِقَوْلِ قَبِيلٍ قَبْلَهُ. وَسَأَلْتُكَ: هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟ فَذَكَرْتَ: أَنْ لَا، فَقُلْتُ: فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ لَقُلْتُ: رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ. وَسَأَلْتُكَ: هَلْ كُنْتُمْ تَتَهَمُونَ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ فَذَكَرْتَ: أَنْ لَا. فَقَدْ أَعْرَفْتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذْرُ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ. وَسَأَلْتُكَ: أَشَرَفَ النَّاسُ اتِّبَعُوهُ أَمْ ضَعُفُوا هُمْ؟ فَذَكَرْتَ: أَنَّ ضَعُفَاءَهُمْ اتَّبَعُوهُ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ. وَسَأَلْتُكَ: أَيُرِيدُونَ أَمْ يَنْفُصُونَ؟ فَذَكَرْتَ: أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ أَمْرُ الْإِيمَانِ حَتَّىٰ يَتِمَّ. وَسَأَلْتُكَ: أَيُرْتَدُّ أَحَدٌ سَخَطَةً لِيَدِينَهُ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ فَذَكَرْتَ: أَنْ لَا، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بِشَانِئِهِ الْقُلُوبَ. وَسَأَلْتُكَ: هَلْ يَغْدِرُ؟ فَذَكَرْتَ: أَنْ لَا، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا تُغْدِرُ. وَسَأَلْتُكَ: بِمَ يَأْمُرُكُمْ؟ فَذَكَرْتَ: أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَيَنْهَأَكُمْ عَنِ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقِ وَالْعِفَافِ، فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَمِّكَ مَوْضِعَ قَدَمِي هَاتَيْنِ. وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلَصُ إِلَيْهِ لَتَجَسَّمْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَعَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ.

فذكر الحديث وفيه:

فَأَذِنَ هِرَقْلٌ لِعُظْمَاءِ الرُّومِ فِي دَسْكَرَةٍ لَهُ بِحِمَصَ، ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا فَعُلِقَتْ، ثُمَّ أَطْلَعَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الرُّومِ، هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ وَالرُّشْدِ، وَأَنْ يَبُتَّ مَلِكُكُمْ فَنَبَايَعُوا هَذَا النَّبِيَّ؟ فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ إِلَى الْأَبْوَابِ فَوَجَدُوهَا قَدْ عُقِقَتْ، فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلٌ نَفَرَتَهُمْ وَأَيْسَ مِنَ الْإِيمَانِ قَالَ: رُدُّوهُمْ عَلَيَّ. وَقَالَ: لِي قُلْتُ مَقَالَتِي أَنْفَا أَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ، فَقَدْ رَأَيْتُ فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ. فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلٍ.



عُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ [الأنعام: ١١٢].

وجلساء السوء يصرفونك عن الخير ويزهدونك فيه:

قال تعالى: ﴿ فَذَرِكُمْ اللَّهُ الْمَعْرُوفِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١١٨)

[الأحزاب: ١١٨].

وقال سبحانه: ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعَفُوا لَكُمْ بَعْدَكُمْ أَفَلَنْتُمْ وَفِيكُمْ

سَمِعْتُمْ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ (٤٧) [التوبة: ٤٧].

وكذا فإنهم يشكونك فيما أنت عليه من الحق:

قال تعالى: ﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهُ النَّهَارِ وَآكُفِرُوا ءَاخِرَهُ

لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (٧٢) [آل عمران: ٧٢].

وجلساء السوء أتباع للشيطان:

والشيطان قد قعد لابن آدم عند طرق الخير يصرفه عنها ويصده عنها، وجند له

جندًا لصد الناس عن الخير.

فلجلساء السوء خطرٌ عظيم فقد يصرفون الشخص عن دينه بالكلية ومن ثم يتردى

في جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا والعياذ بالله، وقد يوقعونه في البدعة والكبيرة والمعصية، إلى غير ذلك من الشرور والآثام.

قال تعالى: ﴿ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوتِيتَ إِلَيْكَ لَيَفْتِنَنَّ عَلَيْنَا عِبْرَتَهُ وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ

خَلِيلًا ﴾ (٧٣) [الإسراء: ٧٣].

وقال تعالى: ﴿ وَقَفَّضْنَا لَهُمْ قُرْآنًا فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمُورِهِمْ

خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنَ الْحَيِّ وَالْأَنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴾ (٢٥) [إفصحت: ٢٥].

وها هو رجل كان حليماً وتسبب صاحبه وخليله في إضلاله وإغوانه وفيه نزل:

(وَيَوْمَ يَعْزُزُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ (٢٧) يَوْمَئِذٍ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا ﴾ (٢٨) لَقَدْ

أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾ (٢٩) [الفرقان: ٢٧-٢٩].

وجلساء السوء يغررون بجلساتهم، ويمنونهم أمانى كاذبة:

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ

خَطَايَهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (١٢) وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْفَالًا مَّعَ أَنْفَالِهِمْ وَلَيَسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا

يَفْتَرُونَ ﴾ (١٣) [العنكبوت: ١٢، ١٣].

وأهل الغواية والزيغ والضلال يحبون لجلساتهم الغواية والزيغ والضلال كذلك حتى

يكونوا أمثالهم:

قال تعالى: (قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾) [القصص: ٦٣].

وقال سبحانه: (وَرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٧﴾) [النساء: ٢٧].
وقال الله تبارك وتعالى: (وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ) [آل عمران: ١١٨] أي أحبوا نزول العنت بكم ورغبوا في حلول المشقة بكم.

وقال تعالى: (وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ) [النساء: ٨٩].

وقال تعالى: (وَلَا يَزَالُونَ يَقْنِطُوكُمْ حَتَّىٰ يَرْدُوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَطَعُوا) [البقرة: ٢١٧].

وقال تعالى (وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ) [البقرة: ١٢٠].

فمن ثم فالزاني يجب أن يزني الناس كلهم.

وكذا السارق المحدود «الذي أقيم عليه الحد» يجب أن يسرق الناس كلهم.

وأيضاً فشرابة الخمر «في الغالب» يجبون أن يشربها الناس كلهم، وذلك حتى لا يمتازوا عليهم.

وبمجالسة السيئين والأشرار تستقل أعمالك السيئة وتتجراً على المعاصي والكبائر:

إذا تناول شخص سيجارة فإنه قد يحزن ويتألم لكونه وسط قوم من أهل الصلاح لا يقتربون من تلك السجائر، بل ويتأدون برائحها، أما إذا جالس قوماً يشربون الخمر فإنه يستقل تناول السجائر بالنسبة لصنيعهم.

وكذا إذا قبل رجل امرأة لا تحل له فإنه يندم ويستغفر، أما إذا جالس قوماً من

الزناة واستمع إلى قصصهم وما يفعلون فإنه يستقل ما صنع بالنسبة لصنيعهم.

ولذلك ففي «الصحيح» عن حذيفة رضي الله عنه قال: «إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في

أعينكم من الشعر، إن كنا لنعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات».

ثم وبين يدي الختام ...

فجليس السوء يتخلى عن صديقه يوم الحساب:

قال أهل الكفر: (فَمَالْنَا مِنْ شَفِيعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾) [الشعراء: ١٠٠، ١٠١].

ومع أن الكافر يرى صديقه يوم القيامة لكن لا يملك له نصراً، قال تعالى: ﴿ وَلَا

يَسْتَلِمْ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠١﴾ يُصَرُّوهُمْ ...) [المعارج: ١٠، ١١].

أي مع أن الحميم يرى حميمه يوم القيامة ويبصره ويعرفه، لكنه لا يسأله شيئاً إذ



هو يعلم مسبقًا ما الجواب.

وأصدقاء السوء يتلاعنون في الآخرة:

قال تعالى: (قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكْتُمْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أَخْرِضْنِي لَهُمْ لِأُولَئِكَ رَبَّنَا هَتُّوْنَا فَاسْأَلُونَا فَتَأْتِيهِمْ عَذَابًا ضَعُفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ [الأعراف: ٣٨].

وأخيرًا انتبهوا - بارك الله فيكم - لجلساء سوء قد يخفون عليكم: من كتب سيئة، ومجلات خليعة، وأفلام هابطة، وفضائيات ساقطة.

ثم الزوجة جليس فكن حسن الاختيار، والجار جليس، ورفيق السفر جليس. وفقنا الله وإياكم لمجالسة الخيرين، ووقانا الله وإياكم مجالسة أهل الشر والفساد. الدعاء...

MOSTAFAALADWI.COM

m

شؤم المعصية

أما بعد: إن طاعة الله **عَزَّ وَجَلَّ** كلها خير وتحمل كلَّ خير، ومعصيته سبحانه وتعالى تجلب كلَّ شر، وتتسبب في كل نكد وبلاء. إنها تجلب العذاب، وقد تورث الجحيم. إنها تورث القلب ظلماً بعد نور، وضييقاً بعد انشراح وكدرًا بعد صفاء. إنها تجلب الفقر بعد الغنى، والذلة والمهانة بعد العزة والكرامة، والمرض والبلاء بعد الصحة والعافية والسلامة. كذلك فإنها تزيل النعم وتقلبها إلى نقم!

قال تعالى: (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ) **[الشورى: ٣٠]**

.[٣٠]

إن الناظر المتأنى الذي ينظر في أحوال الخلق والباحث المدقق الذي يبحث عن أسباب زوال النعم وحلول البلائى والنقم، يعلم تمام العلم أن من أعظم أسباب زوال النعم وحلول النقم الكفر بالله وكثرة المعاصي والجرائم والذنوب، والبعد عن طريق الله سبحانه وتعالى، ومعاداة أوليائه وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام.

فكم من أمة، وكم من قرية كانت في سعة من الرزق، ورغد من العيش، وسلامة في الأبدان، وأمن في الأوطان، فحادت عن طريق الله سبحانه وتعالى فحلَّ عليها العذاب، ونزل بها العقاب وتبدلت عليها الأحوال، وضربت مثلًا للحاضر والباد. قال

الله تبارك وتعالى: ﴿ وَكَانَ مِنْ قَرِيْبَةٍ عَنَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيْدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نَكْرًا ﴾ **[٨]**
فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبُهُ أَمْرًا حَسْرًا **[٩]** أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيْدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ
ذِكْرًا **[١٠]** **[الطلاق: ٨-١٠]**.

وقال تعالى: (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا ^(١) قَرِيْبَةٍ كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ **[١٣]** وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ

(١) وهي بمكة.



مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (النحل: ١١٢، ١١٣).

وقال سبحانه: (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لَهُ. بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ ١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ١٦) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَافِرِينَ ١٧) (سبأ: ١٥ - ١٧).

وقوم نوح عليه السلام قال الله في شأنهم: (وَقَوْمٌ نُوْحٌ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ آغْرَقْنَاَهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ٣٧) (الفرقان: ٣٧).

وها هم قوم عاد: تلك القبيلة التي لم يخلق مثلها في البلاد، من الله عليهم بطول في الأجسام، وسلامة في الأبدان، وسعة في الأرزاق، فاستكبروا وتعالوا على الله وعلى خلقه، فماذا كانت العقوبة؟ قال الله سبحانه: (فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَحْحَدُونَ ١٥) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَدِفَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْرَى وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ١٦) (إفصلت: ١٥، ١٦).

سلط الله على هذه القبيلة الطاغية الباغية الريح العقيم كما قال سبحانه: (وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ٤١) مَا نَذُرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرِّيمِ ٤٢) (الذاريات: ٤١، ٤٢).

وكما قال سبحانه: (وَأَمَّا عَادُ فَاهْتَكَمُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَنِيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا فَفَرَى الْقَوْمُ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ حَاقِيَةٍ ٧) (الحاقة: ٦، ٧).

وها هم قوم ثمود: الذين جابوا الصخر بالواد، الذين قد بيّن الله لهم طريق الهداية فاستحبوا العمى على الهدى، ماذا كان من أمرهم؟ قال تعالى: (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذْتَهُمُ صَغِقَةٌ الْعَذَابِ أَمْوُنٌ بَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ١٧) (إفصلت: ١٧).

تلك القبيلة التي أنعم الله عليها بنبيها صالح عليه السلام، وبالناقة ناقة الله التي كانت تشرب الماء يومًا ويشربون لبنها يومًا، فتأمروا على قتلها وجحدوا نعمة ربهم، فماذا كان من أمرهم!!

كذبوا صالحًا وكفروا وانبعث أشقى رجل منهم وخرج لقتل الناقة فعقرها فدمرهم الله، كما قال سبحانه: (إِذْ أَنْبَعَتْ أَشَقْنَاهَا ١٢) فَقَالَ لِمُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ١٤) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ١٥) (الشمس: ١٢ - ١٥).

وكذلك فرعون هذا الطاغية الظالم: الذي طغى وبغى، وكان له ملك مصر، والأنهار كانت تجري من تحته، منعًا في الكنوز والمقام الكريم، فاستكبر هو وجنوده

في الأرض بغير الحق، وتعالى وتكبر وتجبر، فماذا كان من أمره وأمر جنده؟!
إنه تعالى على المرسلين بقوله: (نَقُورَ آيَسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا
بُصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾) [الزخرف: ٥١، ٥٢].

بل تطاول وتعاضم فقال: (أَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُوا) [النازعات: ٢٤].

وقال تعالى: (يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي) [القصص: ٣٨].
وسعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل، ذبح الأطفال، شرّد الرجال،
استحيا النساء وسخرهن، فماذا كان من أمره بعد هذا التكذيب وذاك العناد!!

قال تعالى: (وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذِيرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾) [القمر: ٤١، ٤٢].

وقال تعالى: (وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكِثَ بِالْحَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَصَوَّأَ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخَذَةً رَابِيَةً ﴿١٠﴾)
[الحاقة: ٩، ١٠].

وقال تعالى: (فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخَذًا وَبِيلاً) [المزمل: ١٦].

وقال تعالى: (فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾) [الشعراء: ٥٧، ٥٨].

فها هي عاقبة الظلم، وها هي عاقبة البغي، وها هي عاقبة الكفر والتكذيب!!!
هذا على مستوى الأمم والشعوب، أمم وشعوب أخذت بأكملها، وتحولت النعم
عليهم إلى نقم كما قال تعالى: (فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَنَسَوْنَهُمْ مِّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ
الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا
أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾) [العنكبوت: ٤٠].

وليس على مستوى الأمم والشعوب فحسب، بل على مستوى الجماعات، والأفراد
كذلك.

ها هم أصحاب الجنة أصحاب الحديقة والبستان:

الذين بيتوا الشرّ وبيتوا البخل، وأقسموا ليصرمونها مُصبحين ولا يستثنون، تأمروا
لمنع الفقير والمحتاج حقه، فماذا كان!!

(فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَت كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾) [القلم: ١٩، ٢٠].

وهذا قارون الطاغية الباغي الفرخ بماله المغرور: أتاه الله من المال ما إن مفاتحه
لتنوء بالعصبة أولي القوة، لكن يا ترى هل شكر؟ كلا، ما شكر بل بغي على قومه كما
قال تعالى: ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مَوْسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَىٰ



الْقُوَّةَ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْفِينِ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَدْ رُونَ إِنَّهُ لَنَدُوْحَظٌّ عَظِيمٌ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ تَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَحَسَفْنَا بِهٖ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوْنَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ [القصص: ٧٦-٨١].

وهذا إبليس يطرد شر طردة من الجنان لعصيانه وامتناعه عن طاعة الله، ورفضه السجود لأدم، فكان جزاؤه: (أَخْرَجْنَا مِنْهَا مَذْمُومًا مَسْحُورًا) [الأعراف: ١٨].

(قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾) [الأعراف: ١٣]. فهذه هي عواقب المعاصي والظلم والشر والفساد، هاهي العواقب الوخيمة والشرور الجسيمة للذنوب والمعاصي، كما قال تعالى في مواطن عديدة من كتابه العزيز.

(فَأَحَلَّلْنَاهُمُ اللَّهُ يَذُوبُهُمْ) [غافر: ٢١].

(فَأَهْلَكْنَاهُمْ يَذُوبُهُمْ) [الأنفال: ٥٤].

(فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا) [النحل: ٣٤].

(فَلَمَّا ءَاسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾)

[الزخرف: ٥٥، ٥٦].

(إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّا أَهْلُهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾) [العنكبوت: ٣١].

(ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسْتَفَاؤُا السُّوْءِ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾) [الروم: ١٠].

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ)

[الروم: ٤٧].

(ذَٰلِكَ جَزَاءُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لِيُقَدَّرُوا ﴿١٦٦﴾) [الأنعام: ١٤٦].

(وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا) [يونس: ١٣].

(فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ) [سبأ: ١٦].

(فَكَذَّبُوهُ فَعَفَرُوهُ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَحَسَبْنَا) [الشمس: ١٤].

(ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مِمَّا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾) [الروم: ٤١].

[٤١].

(وَمَا أَصْبَحْتُمْ مِنْ مُصِيكَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْمُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾) [الشورى: ٣٠].

فالمعاصي دوماً تزيل النعم حتى عن أهل الصلاح:

إن أهل الصلاح وأهل التقى قد يتصورون أن لا يعاقبوا وأن الله تعالى يغفر لهم على الدوام ولكن ذلك أمر موكول إلى الله **عَزَّوَجَلَّ** فقد يؤاخذ وقد يعفو.

فها هو آدم وزوجه حواء عليها السلام (إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١١٨﴾) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿١١٩﴾ [طه: ١١٨-١١٩].

وكما قال سبحانه: (وَيَقَادِمُ أَسْكُنُ أَنتَ وَرَوْحِكَ الْجَنَّةَ فَكَلَّا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾) [الأعراف: ١٩].

فماذا كان من آدم وزوجه بعد هذا النعيم وبعد هذا الستر الجميل؟!!

(وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٢١﴾) [طه: ١٢١].

فماذا كان؟ أخرج عليه السلام من الجنة هو وزوجه، نُزِعَ عنه لباسهما! كما قال تعالى: (يَبْنِي آدَمُ لَا يَفْنَى كَمَا أَخْرَجَ أَبُو يَكْمَ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تَبَهُمَا إِنَّهُمُ بِرَبِّكُمْ هُوَ وَفِيهِمْ مَنْ حَبِثَ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾) [الأعراف: ٢٧].

وفي الآية الأخرى: (فَدَتُّهُمَا سَوْءَ تَبَهُمَا وَطُفِيقًا يَخَصِمَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ) [طه: ١٢١].

فانظر إلى أثر المعاصي والذنوب عياداً بالله، انظر كيف تبدل الستر عرياً والنعيم شقاء!

ويونس عليه السلام: ذهب مغاضباً فكان بطن الحوت له سجنًا. وأي سجن؟! إنه سجن في قاع البحر!!!

(فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٢٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٢٤﴾) [الصافات: ١٢٣-١٢٤].

فنفَّعهُ إحسانه السابق، وكان سبباً لنجاته، وأوقعه في بطن الحوت خروجه مغاضباً. فعموماً، فإن المعاصي والذنوب سبب لزوال النعم وحلول النقم وتحول العافية، وكذا فهي سبب لسخط الله جل جلاله، قال تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّكَ لَمْ يَكُ مُغْتَبَرًا تَعْمَةً أَنْعَمَّا عَلَى قَوْمٍ حَتَّىٰ يُعَرِّوْا مَا بَأْسُنَاهُمْ) [الأنفال: ٥٣].

أي لا يُحوِّلُ الله نِعْمَهُ عَنْهُمْ إِلَى نِقَمٍ إِلَّا إِذَا حَوَّلُوا مَا بِهِمْ مِنْ طَاعَةٍ إِلَى مَعْصِيَةٍ. جنبنا الله وإياكم النقم، ووقانا وإياكم الفتن.

ألا فليحذر العبد من التهاون بالذنوب والمعاصي:

فالله سبحانه وتعالى كما وصف نفسه بأنه غفور رحيم، وصف نفسه بأنه شديد



العقاب، في غير موطن من كتابه.

قال سبحانه: (اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله عفور رحيم) ﴿٩٨﴾ [المائدة: ٩٨].
وقال سبحانه وتعالى: (غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب) [غافر: ٣]. وقال سبحانه
وتعالى: ﴿يَجْعَلِ عِبَادِي أَتَىٰ أَنَا الْعَفْوَ الرَّحِيمِ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠].

فكما أنه سبحانه وتعالى يتجاوز عن السيئات ويعفو عنها، فهو سبحانه يأخذ بالذنوب ويعاقب به إن شاء.
وقد يظن الشخص أن الذنب صغير، وهو عند الله كبير كخوض الخائضين بألسنتهم في أعراض المؤمنين والمؤمنات:
قال الله تعالى في شأن أهل الإفك الذين خاضوا بألسنتهم في عرض أمنا الفاضلة عائشة (إذ تلقونه بالسنة ويقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم) ﴿١٥﴾ [النور: ١٥].

وقال النبي ﷺ في شأن صاحبي القبرين: «إِنَّهُمَا لِيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، ثُمَّ قَالَ: بلى»^(١) أي: ما يعذبان في كبير في أنظاركم، ولكنه كبير عند الله سبحانه وتعالى

وقال النبي ﷺ لعائشة لما قالت شيئا في صفة أم المؤمنين، وأنها قصيرة: «لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مَرَجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَرَجَتْهُ»^(٢)
وهاهم أصحاب رسول الله ﷺ لما خالفوا أمر نبيه ﷺ محمد يوم أُخِذَ حَلٌّ بِهِمْ مَا حَلَّ مِنَ الْهَزِيمَةِ وَالْفِرَارِ!!!
وهذا خادم رسول الله ﷺ لما قُتِلَ قَالَ الصَّحَابَةُ: هَنِيئًا لَهُ خَادِمٌ رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كَلًّا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَخَذَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ لَمْ تُصِيبْهَا الْمَعَامِ لَتَشْتَعِلَ عَلَيْهِ نَارًا»^(٣)!!

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٣٧٨) وفي عدة مواطن، ومسلم (٢٩٢) واللفظ للبخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً، وفيه: مر النبي ﷺ على قبرين فقال: «إنهما ليُعَذَّبَانِ، وما يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، ثُمَّ قَالَ: بلى أما أحدهما: فكان يسعى بالنميمة، وأما أحدهما: فكان لا يستتر من بوله...».

(٢) أخرجه الترمذي (حديث ٢٥٠٢) من حديث عائشة رضي الله عنها، وإسناده صحيح.

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٤٢٣٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «افتتحنا خيبر ولم نغنم ذهباً ولا

وها هي امرأة تُعَدَّب في هرة حبستها، لا هي أطعمتها ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت (١)!!!

وعلى كل؛ فصغير الذنوب وكبيرها مُسْتَطَرٌّ.

قال تعالى: (وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ﴿٥٣﴾) [القمر: ٥٣].

وقال سبحانه: (أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوَّهُ) [المجادلة: ٦].

وقال: (وَيَقُولُونَ يَوْمَئِذٍ إِنَّ هَذَا أَكْثَبٌ لَا يَفَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا) [الكهف: ٤٩].

وقال: (مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾)

[الزلزلة: ٧، ٨].

أيها المسلمون: إن المعصية إذا لم يتب منها العبد تجرُّ إلى معصية أخرى.

هذا وليعلم: أن المعصية تجرُّ إلى معصية أخرى إذا لم يحدث لها العبد توبة وإنابة واستغفاراً، وكذلك فالذنوب ينمو ويزداد إذا لم يتب منه العبد، والشيطان يستزل العبد بمعاصيه.

قال الله سبحانه وتعالى: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَمَعَانَ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا) [آل عمران: ١٥٥].

فقوله: (اسْتَزَلَّهُمْ) أي: أوقعهم في الزلة وهي الخطيئة، وقد ذكر بعض العلماء في ذلك أقوالاً، منها: أن القوم «الذين فرؤوا» كانوا قد ارتكبوا أخطاء فيما سلف إما قبل القتال، وإما في أثناءه بتركهم مواقعهم ومخالفتهم أمر رسول الله ﷺ فخشوا أن يواجهوا العدو وهم على هذه الحال من الذنوب، فدفعهم ذلك إلى الفرار والله تعالى أعلم. وإذا نظر العبد نظرة إلى شيء محرّم ولم يحدث لهذه النظرة توبة، فسرعان ما ينمو أثرها ويستقر في قلبه استقراراً قد يؤول إلى الفاحشة، عياداً بالله.

فضة، إنما غنمنا البقر والإبل والمتاع والحوائط، ثم انصرفنا مع رسول الله ﷺ إلى وادي القرى، ومعه عبد له يقال له: مدعم، أهده له أحد بني الضباب، فبينما هو يحط رحل رسول الله ﷺ إذ جاءه سهم عائر حتى أصاب ذلك العبد، فقال الناس: هنيئاً له الشهادة. فقال رسول الله ﷺ: «بلى، والذي نفسي بيده إن الشملة التي أصابها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً...» الحديث.

(١) أخرجه البخاري (٣٣١٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما (ذ عن النبي ﷺ) قال: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض». ونحوه أشار إليه البخاري عقب حديث ابن عمر، وأخرجه مسلم (حديث ٢٦١٩).

ألا فاستغفروا ربكم إنه كان غفاراً.

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد الأمين □ والتابعين ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين.

وبعد:

فكما أن المعاصي سبب لزال النعم وحلول النقم، فكذلك الطاعات سبب لزيادة الرزق ودفع البلاء.

فيعلم كل عاقل نظر في كتاب الله وفي سنة رسول الله □ واستقرأ أحوال الأمم والشعوب أن من أعظم الأسباب والوسائل لاستجلاب النعم واستدرا رها، والمحافظة عليها وعلى بقائها، بل ونموها وازديادها: طاعة الله ﷻ والإيمان به وتوحيده، وفعل الخيرات، والاستغفار من الذنوب، وكف الأذى عن العباد.

قال الله سبحانه وتعالى: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الثُّرَيَّا ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١١﴾ [الأعراف: ٩٦].

وقال سبحانه: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ الْغَيْرِ ﴿١٦﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ [المائدة: ٦٥، ٦٦].

وقال تعالى: (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِّنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾) [الطلاق: ٤].

وقال تعالى: (يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ) [الأنفال: ٢٩].

الدعاء...

* * *

m

الحث على الاستغفار والتوبة

أما بعد: فقد خُلق الإنسان ضعيفًا كما قال سبحانه: (وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا) ﴿٢٨﴾ النساء: ٢٨.

وكذلك خُلق عَجولًا كما قال سبحانه: (وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا) ﴿١١﴾ [الإسراء: ١١].
وكذلك خُلق خَلْفًا لا يَتَمَالَكُ، قال النبي ﷺ: «لَمَّا صَوَّرَ اللَّهُ آدَمَ فِي الْجَنَّةِ تَرَكَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَتْرُكَهُ، فَجَعَلَ إِبْلِيسَ يَطِيفُ بِهِ يَنْظُرُ مَا هُوَ؟ فَلَمَّا رَأَهُ أَجُوفًا عَرَفَ أَنَّهُ خُلِقَ خَلْفًا لَا يَتَمَالَكُ»^(١).

وجبل الإنسان على الخطأ، قال النبي ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَدَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ»^(٢).

وقد رت على ابن آدم الذنوب والخطايا قال رسول الله ﷺ: «كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيْبُهُ مِنَ الرِّئَا، مُدْرِكٌ ذَلِكَ لِمَا مَحَالَةٌ فَالْعَيْنَانِ زَنَاهُمَا النَّظْرُ، وَالْأَذْنَانِ زَنَاهُمَا الْإِسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ زَنَاهُ الْكَلَامُ، وَالْيَدُ زَنَاهَا الْبَطْشُ، وَالرَّجُلُ زَنَاهَا الْخَطَا، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيَكْذِبُهُ»^(٣).

وعصى آدم ﷺ فعصت ذريته، وجد فجدت ذريته كما قال النبي ﷺ: «سنن الترمذي»^(٤) بإسناد صحيح لشواهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَسَقَطَ مِنْ ظَهْرِهِ كُلُّ نَسَمَةٍ هُوَ خَالِفُهَا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَجَعَلَ بَيْنَ عَيْنِي كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ وَبَيْصًا مِنْ نُورٍ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى آدَمَ فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ مَنْ هُوَ لَاءِ؟ قَالَ: هُوَ لَاءِ ذُرِّيَّتِكَ. فَرَأَى رَجُلًا مِنْهُمْ فَأَعْجَبَهُ وَبَيْصُ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ فَقَالَ:

(١) أخرجه مسلم (٣٦١١) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) البخاري (٦٢١٢)، ومسلم (٢٦٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا، واللفظ لمسلم.

(٤) الترمذي حديث (٣٠٦٧) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وشاهده عند ابن حبان (٢٠٨٢)، والحاكم (٦٤/١).



أَيُّ رِبِّ مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا رَجُلٌ مِنْ آخِرِ النَّامِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ يُقَالُ لَهُ: دَاوُدُ. فَقَالَ: رَبِّ كَمْ جَعَلْتَ عُمُرَهُ؟ قَالَ سِتِّينَ سَنَةً. قَالَ: أَيُّ رَبِّ، زِدْهُ مِنْ عُمُرِي أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَلَمَّا قَضِيَ عُمُرُ آدَمَ جَاءَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ فَقَالَ: أَوْلَمْ يَبْقَ مِنْ عُمُرِي أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَوْلَمْ تُعْطِهَا ابْنُكَ دَاوُدُ؟ قَالَ: فَجَدَّدَ آدَمُ فَجَدَّدَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَنَسِيَ آدَمُ فَنَسِيَتْ ذُرِّيَّتُهُ وَخَطِيءَ آدَمُ فَخَطِيءَتْ ذُرِّيَّتُهُ». فلم ينج من الذنوب أحدٌ، حتى أهل الصلاح.

قال الله سبحانه وتعالى: (وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكُوا مِنْ دَابَّيْهِ) [النحل: ٦١]. وقال تعالى: (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٣﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٤﴾) [الزمر: ٣٣-٣٤].

فيه دليل على أنهم عملوا أعمالاً فيها سوءٌ لكن غفرها الله لهم. فلهذا الذي ذكر؛

لأن الإنسان خلق ضعيفاً!!

وخلق أيضاً عجولاً!!

وخلق خلقاً لا يتمالك!!

لأنه قد قدرت عليه الذنوب وجُبل على المعاصي.

لهذا رحمة من الله بعباده، فقد فتح الله أمامهم باب التوبة أثناء الليل وأطراف النهار، وجعل للتوبة باباً مفتوحاً لا يُغلق حتى تطلع الشمس من مغربها. وحث الله سبحانه وتعالى العباد على التوبة، وحرصهم عليها ورغبهم فيها، بل وأمرهم بها.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ، مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾) [الزمر: ٥٣، ٥٤].

وقال تعالى: (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [النور: ٣١].

وقال سبحانه: (فَأَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ) [فصلت: ٦].

وقال سبحانه: (وَأَسْتَغْفِرُوا لِلَّذِينَ اسْتَفْهَمُوا مِنْ رَبِّهِمْ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ بَعِيدٌ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [البقرة: ١٩٩].

وينادي الله سبحانه وتعالى عباده كما في الحديث القدسي: «يا عبادي، إنكم

تُحْطِنُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَعْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَعْفِرْ لَكُمْ»^(١)

وقال تعالى: (أَفَى اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ) [إبراهيم: ١٠].
ولما قال الشيطان: بعزتك وجلالك لا أبرح أغوي بني آدم ما دامت الأرواح فيهم
فقال الله: «فبِعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَبْرَحُ أَعْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي»^(٢)
وينادي الله ﷻ عباده في الثلث الأخير من الليل: «مَنْ يَسْتَغْفِرْنِي فَأَعْفِرَ لَهُ»^(٣)

وحث الله عباده على التوبة النصوح بقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً
نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَكْفِرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) [التحریم: ٨].
وحثهم على المسارعة إلى التوبة والرجوع إليه فقال سبحانه: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ
مَعْفَرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣].
وبين الله سبحانه وتعالى أنه يريد التوبة على عباده:
فقال سبحانه: (وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ) [النساء: ٢٧].
وقال تعالى: (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ
﴿١٠٤﴾ [التوبة: ١٠٤].

وقال سبحانه: (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ) [الشورى: ٢٥].
ثم إن الله ﷻ يفرح بتوبة عبده ورجوعه إليه:
ففي الصحيحين^(٤) من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ
عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضِ فَلَاقَهُ».
وفي لفظ لمسلم^(٥): «لَلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى
رَاحِلَتِهِ بَارِضٌ فَلَاقَهُ، فَانْقَلَبَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيْسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجْرَةً فَاضْطَجَعَ
فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيْسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةٌ عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ
مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ. أَخْطَأُ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ» .

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادي،
إني حرمت الظلم على نفسي...» الحديث، وفيه القدر المذكور (حديث ٢٥٧٧).

(٢) أحمد (٢٩/٣).

(٣) البخاري مع «الفتح» (١٢٧/١١)، ومسلم (٣٦/٦).

(٤) أخرجه البخاري (حديث ٦٣٠٩)، ومسلم (ص ٢١٠٥).

(٥) أخرجه مسلم (حديث ٢٧٤٧).



ثم إن الله عفوٌ و غفورٌ و توابٌ

فقد وصف الله نفسه بـ: «العفو» و «الغفور» و «التواب»، وبأنه «أهل المغفرة» في جملة مواطن ففي هذا الذي ذكر حثاً للجميع على الاستغفار والتوبة والإنابة إلى الله، ونداءً للمسرفين على أنفسهم، كي يقبلوا على الله، ويلتمسوا عفوهُ و يطلبوا غفرانه. فاستغفروا ربكم إنه كان غفاراً.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

أيها الإخوة المؤمنون ...

لهذا الذي قد ذكر من الآيات الحاتئة على الاستغفار والأمر به والمرغبة فيه؛ فإن الأنبياء وأهل الفضل والصلاح كانوا يوماً يطلبون من الله العفو ويرجون منه المغفرة. فقد كانوا أسرع الخلق امتثالاً لهذه الأوامر وإجابة لهذا النداء. فيها هو أبونا آدم وأما حواء عليها السلام: لما خالفا أمر الله ﷻ وأزلهما الشيطان وأوقعهما في الخطأ بادرا بالتوبة والندم، فقالا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّكَ تَعَفُّرٌ لَّنَا وَرَحْمَةً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وها هو نبي الله نوح □ يقول: (وَلَا تَعْفِرْ لِي وَكَرِّهْتَنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [هود: ٤٧].
وخليل الرحمن إبراهيم عليه السلام يقول: (وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ) [الشعراء: ٨٢].

وكليم الله موسى عليه السلام يقول: (رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغْفَرْتَهُ إِنَّكَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) [القصاص: ١٦].
ويقول عليه السلام: (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخْوَتِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) [الأعراف: ١٥١].

ورسولنا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه : يعدُّ له أصحابه في المجلس الواحد: «رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم».
وفي رواية: «إِنَّكَ أَنْتَ النَّوَّابُ الْغَفُورُ» مائة مرة (١).

(١) أخرجه أبو داود (١٥١٦)، وعبد بن حميد في «المنتخب» بتحقيقي (حديث ٧٨٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما بإسناد صحيح، وانظر تخريجه هناك.

ويقول عن نفسه: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً» (١)

ويحثه ربه ﷻ على الاستغفار، فيقول له: (وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) [محمد: ١٩].

ويقول سبحانه وتعالى: (فَسَيَحِبُّ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرُهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا) [النصر: ٣].
ويونس □ ينادي في الظلمات: (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) [الأنبياء: ٨٧].

وسليمان عليه السلام (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا يُبْعِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) [ص: ٣٥].

وأبو داود عليه السلام يقول الله في شأنه: (وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَحَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ) [ص: ٢٤].

وصديق هذه الأمة وخيرها بعد نبيها □ ، أبو بكر رضي الله عنه يسأل رسول الله □ فيقول له: يا رسول الله، علمني دعاء أدعوه به في صلاتي، قال: «قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ فَاعْفُرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» (٢)

وعمر الفاروق المحدث الملمه رضي الله عنه يقول لرسول الله □ : «استغفر لي يا رسول الله» وغير هؤلاء كثير.

فكانت التوبة لهم راية، والاستغفار لهم شعارًا، كل كان لربه أو ابًا فبادروا أيها المؤمنون بالإنابة إلى الله والتوبة والرجوع إليه، بادروا إلى رد المظالم إلى أهلها؛ فإن نبيكم □ قد قال: «يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلِّ ذَنْبٍ إِلَّا الدَّيْنَ» (٤).
وفي «صحيح مسلم» (٥) أن النبي □ قال: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قالوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي فَمَا شَتَمَ هَذَا وَفَدَنَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَقَكَ دَمَ هَذَا، وَضْرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا

(١) أخرجه البخاري مع «الفتح» (١٠١/١١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري مع «الفتح» (٣١٧/٢)، ومسلم (٢٨/١٧) مع النووي.

(٣) صحيح وسيائي تخريجه.

(٤) أخرجه مسلم (١٨٨٦).

(٥) مسلم حديث (٢٥٨١).



مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُفْضَى مَا عَلَيْهِ؛ أَخَذَ مِنْ حَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ».

فإذا سرق رجل مالا من شخص يعرفه فلا يكفي أن يقول: «أستغفر الله»؛ بل عليه أن يرد المال إلى صاحبه.

كذلك إذا أفتى عالمٌ من العلماء الناس فثيًّا فغشهم فيها عن عمد فلا يكفي أن يقول: «أستغفر الله»؛ بل عليه أن يبين وجه الصواب في هذه الفتيا.

يدل على هذا وذاك قوله تعالى: (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَاُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾) [البقرة: ١٦٠].

وقول النبي ﷺ: «إِذَا خَلَصُوا مِنَ النَّارِ حُسْبُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَيَتَقَاصُونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا» (١).

وقال النبي ﷺ: «لَتُؤَدَّنَ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الْقُرْنَاءِ» (٢).

وكذلك من قذف امرأة بالزنا وهي بريئة لا يكفي في توبته قوله: «أستغفر الله» فانه يقول: (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجِدُوهُمْ ثَمَنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾) [النور: ٤].

فمن كان عنده أجبر فظلمه؛ فليرد إليه مظلمته.
ومن سرق مالا؛ فليرده لأصحابه.

ومن انتقص قوماً؛ فليتحلل منهم وليدعو الله لهم.
الدعاء...

* * *

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٤٤٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حَبَسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا نَقَوْا وَهَذَبُوا أذُنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لِأَحَدِهِمْ بِمَسْكَنِهِ فِي الْجَنَّةِ أَدْلُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا».

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٥٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

m

فضل الاستغفار والتوبة

أما بعد: فإن الله سبحانه وتعالى يأمرنا بالاستغفار والتوبة والرجوع إليه ويرشدنا إلى ذلك ويرغبنا فيه في عدة آيات من كتابه الكريم فقال تعالى: (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) ﴿٣١﴾ [النور: ٣١].

وقال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا) [التحريم: ٨].
وينادي في الثلث الأخير من الليل: «من يستغفرني فأغفر له...».
وفي الحديث القدسي: «يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم».

بل ويأمر نبيه ﷺ بذلك إذ يقول: (وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا) ﴿١٠٦﴾ [النساء: ١٠٦].
ويقول النبي ﷺ: «يا أيها الناس، توبوا إلى الله واستغفروه؛ فإني أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة».

ويعلم رسولنا محمد ﷺ أبا بكر أن يقول في صلاته: «اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم».

والذي نحن بصددده الآن هو بيان فوائد الاستغفار للترغيب فيه والحث عليه والإكثار منه لعل متذكرًا أن يتذكر، ولعل نفسًا ظلمت أن تنيب وترجع.

فإن للاستغفار جملة فوائد وفضائل، منها:

غفران الذنوب واستجلاب رحمة الله ﷻ قال تعالى: (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا) ﴿١٠٦﴾ [النساء: ١١٠].

ومنها وراثة الجنان قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) [التحريم: ٨].
ومنها: رفعه الدرجات وعلو المقامات.

ففي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله ﷻ ليرفع الدرجة للعبد الصالح في



(١)

الجنة فيقول: يا رب، أنى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك» (١)

ومن فوائد الاستغفار أنه سبب لسعة الرزق والإمداد بالمال والبنين:

فمن أراد سعة الرزق فعليه بالاستغفار.

قال نوح عليه السلام لقومه: (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا

﴿١١﴾ وَيُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينُ وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾) [نوح: ١٠-١٢].

وقال الله سبحانه: (وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُغْفِرْكُمْ مَنَعًا حَسَنًا إِنَّ أَجَلَ مُسَيِّئَاتِكُمْ شَدِيدٌ ﴿٣﴾ وَتُوبَتْ كُلُّ ذِي فَضْلٍ

فَضْلًا. وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٤﴾) [هود: ٣].

ومن فوائده: أنه سبب لحصول القوة في البدن كذلك.

قال هود □ لقومه: (وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا

وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا الْجَحِيمَ ﴿٥٢﴾) [هود: ٥٢].

ومن فوائده: أنه سبب لدفع المصائب ورفع البلياء:

فالمصائب في كثير من الأحيان يكون سببها الذنوب والمعاصي (٢) كما قال

تعالى: (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ آيَاتِكُمْ وَيَعْتُمُونَ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾) [الشورى: ٣٠].

وكما قال تعالى: (وَيَلْبَسُهُمْ جِلْبَابًا مِنْ حَسَنَاتٍ أَلْهَمَهُمُ الْيُسْرَىٰ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦٨﴾) [الأعراف: ١٦٨].

وكما قال الله تعالى: (فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾) [البقرة: ٥٩].

[٥٩]

فالمصيبة تنزل في كثير من الأحيان بذنوب، فإذا أحدث العبد استغفاراً وتوبة

(١) **سنده حسن:** أخرجه أحمد في «المسند» (٥٠٩/٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) وإن كانت هناك ابتلاءات تقع في بعض الأحيان لإظهار الصادق من الكاذب ولإثباتة المؤمنين

وتمحيصهم ومحق الكافرين، كما قال تعالى: (وَلْيَلْبَسُوكُمْ حَتَّى تَعْلَمَ الْمُجْرِمِينَ مِنْكُمْ وَالضَّالِّينَ مِنْكُمْ وَيَلْبَسُوا أَلْبَابَكُمْ ﴿٣١﴾)

[محمد: ٣١].

وكما قال سبحانه: (أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتَرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ

قَبْلِهِمْ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾) [العنكبوت: ٢، ٣].

وضبط هذا يكمن في: أن العبد ينظر في نفسه فإن وجدها خفيفة من الذنوب فليعلم أن ما وقع فيه إنما هو

ابتلاء من الله، فليوطن العبد نفسه على الصبر والرضا بأقدار الله سبحانه وتعالى. وأيضاً ليكثر من

الاستغفار فلعله فعل ذنباً وهو لا يشعر. أما إذا رأى العبد نفسه مرتكباً للمعاصي ومسرّفاً على نفسه وحلت

به بلية فليعلم أنها بسبب كسبه؛ فليقلع عن الذنب فوراً، وليؤد المظالم إلى أهلها، ويقبل على التوبة

والاستغفار والإنابة والرجوع إلى الله، وليكثر من أعمال البر والخير المكفرة للذنوب.

نصوحًا من هذا الذنب ترتفع المصيبة بإذن الله، فانه سبحانه وتعالى يقول: (مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ) [النساء: ١٤٧].

ويقول سبحانه: (وَمَا كَانَتْ أَلَّهُ مُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) [الأَنْفَال: ٣٣].
ولذلك كان أهل الإيمان إذا واجهوا عدوًا تذكروا أن الذنوب سبب في تسلط العدو عليهم، فالذي يسلم هو الله، والذي يكف يد العدو هو الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى: (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَنْتُمُوهُمْ) [النساء: ٩٠].

وكما قال سبحانه: (يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ يَبْسُطُونَ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) [المائدة: ١١].
وكما قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ) [الفتح: ٢٤] فمن ثم كان أهل الإيمان يستغفرون الله من ذنوبهم حتى لا يتسلط عليهم العدو بسببها.

قال الله تعالى: (وَمَا كَانُوا قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) [آل عمران: ١٤٧].

أما كون الاستغفار سببًا لرفع البلياء: فقد قال الله سبحانه في شأن نبيه يونس عليه السلام: (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ) [١٤٣] لَلَيْتَ فِي بَطْنِهِ إِذْ يَوْمَ يُنْعَثُونَ) [الصافات: ١٤٣-١٤٤].
ووصف تسبيحه في آية أخرى بأنه: (وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْرَضًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) [الأنبياء: ٨٧].
بيد أن من أهل العلم من قال: إن قوله تعالى: (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ) [الصافات: ١٤٣] أي من المصلين والمسيحين قبل أن يحل به ما حلَّ، فنفعه سالف عمله الصالح ولكن كل له وجهة صحيحة.

هذا؛ ومن فوائد الاستغفار: أنه سبب لسلامة القلب وصفائه ونقاؤه:
فالذنوب تترك أثرًا سيئًا وسوادًا على القلب كما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذِنَتْ كَانَتْ نُكْتَةً سَوْدَاءَ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَتَزَعَّ وَاسْتَغْفَرَ صَقَلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ زَادَتْ حَتَّى يَغْلُو قَلْبَهُ ذَاكَ الرَّيْنُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ ﷻ فِي الْقُرْآنِ (كَلَّابٌ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) [المطففين: ١٤]»^(١)

وفي الحديث الذي أخرجه مسلم^(٢) من حديث حذيفة قال: كنا عند عمر، فقال:

(١) أخرجه أحمد (٢٩٧/٢) والترمذي (٣٣٣٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بإسناد حسن.

(٢) مسلم (حديث ١٤٤).



أيكم سمع رسول الله ﷺ يذكر الفتن؟ فقال قوم: نحن سمعناه. قال: لعلكم تَعْنُونَ فتنَةَ الرجل (١) في أهله وجاره؟ قالوا: أجل، قال: تلك تكفرها الصلاة والصيام والصدقة، ولكن أيكم سمع النبي ﷺ يذكر الفتن التي تموج موج البحر (٢)؟ قال حذيفة: فأسكت القوم (٣)، فقلت: أنا، قال: أنت، لله أبوك (٤) ! قال حذيفة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تُعْرَضُ الْفِتْنُ (٥) عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا (٦)، فَأَيَّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا (٧)، نُكِّتَ فِيهِ نُكْتَةً (٨) سَوْدَاءَ، وَأَيَّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا (٩) نُكِّتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيَضَاءَ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى عَلَى أَبْيَضٍ مِثْلَ الصَّفَا (١٠) فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخِرُ أَسْوَدُ مِرْبَادًا (١١)، كَالْكُوزِ مُجْحِيًا (١٢)، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ

(١) وفتنة الرجل في أهله وماله وولده ضروبٌ من فرط محبته لهم، وشحه عليهم، وشغله بهم عن كثير من الخير، كما قال تعالى: (إِنَّمَا أَمْرُهُمْ وَأُورَادُهُمْ فِتْنَةٌ). أو لتفريطه بما يلزم من القيام بحقوقهم، وتأديبهم وتعليمهم، فإنه راع لهم ومسئول عن رعيته. وكذلك فتنة الرجل في جاره من هذا، فهذه كلها فتن تقتضي المحاسبة ومنها ذنوب يرجى تكفيرها بالחסنات، كما قال تعالى: (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ).

(٢) «التي تموج موج البحر» أي: تضطرب ويدفع بعضها بعضًا، وشبهها بموج البحر لشدة عظمتها وكثرة شيوعها.

(٣) فأسكت القوم: سكت: صمت.

(٤) «لله أبوك»: كلمة مدح تعتاد العرب الثناء بها؛ فإن الإضافة إلى العظيم تشرىف، ولهذا يقال: «بيت الله» و«ناقة الله».

(٥) «تعرض الفتن»: أي: تلصق بعرض القلوب أي: جانبها كما يلصق الحصير بجنب النائم ويؤثر فيه شدة التصاقها به.

(٦) «عُوْدًا عُوْدًا»: قال النووي: هذان الحرفان مما اختلف في ضبطه على ثلاثة أوجه: أظهرها وأشهرها «عُوْدًا عُوْدًا»، والثاني: «عُوْدًا عُوْدًا»، والثالث: «عُوْدًا عُوْدًا». ولم يذكر صاحب «التحريير» غير الأول. وأما القاضي عياض فذكر هذه الأوجه الثلاثة عن أئمتهم واختار الأول أيضًا.

(٧) «فأي قلب أشربها» أي: دخلت فيه دخولًا تامًا وألزمها وحلت منه محل الشراب.

(٨) «نكيت فيه نكتة» أي: نقط نقطة.

(٩) أنكرها: ردها.

(١٠) «مثل الصفا»: قال القاضي عياض رحمه الله: ليس تشبيهه بالصفاء بيانًا لبياضه، لكن صفة أخرى لشدة على عقد الإيمان وسلامته من الخلل، وأن الفتن لم تلصق به ولم تؤثر فيه، كالصفاء، وهو الحجر الأملس الذي لا يعلق به شيء.

(١١) «مربادًا»: مبرد مثل مسود ومحمر.

(١٢) «مجحياً»: معناه: مائلًا وقيل: منكوسًا وهو وصف آخر من أوصاف القلب بأنه قلب قد نكس حتى لا يعلق به خير ولا حكمة، ومثله بالكوز المجحى، وبينه بقوله: لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا.

هُوَ أَهٌ».

ومن ثم قال النبي ﷺ : «إِنَّهُ لِيُغَانَّ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ»
فالاستغفار سببٌ لإزالة ما قد تعلق من سواد وقد ران من ذنوب ومعاص.
ومن فوائده: أنه يجلب محبة الرب سبحانه وتعالى وكفى بمحبة الله من نعمة، قال
تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَّبِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾ (البقرة: ٢٢٢).
ألا فاستغفروا ربكم إنه كان غفاراً.

الخطبة الثانية

الحمد لله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب
والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ خير من استغفر وأناب.
وبعد أيها الإخوة بارك الله فيكم وسدد على طريق التوبة والإنابة خطاكم.
أما وقد سمعتم شيئاً من فضل الاستغفار فجديراً بكل منا أن يتقوى بالله ﷻ ،
يسأله المعونة على التوبة والإنابة، ويسأله العزيمة على الرشد. ويدع الضعف
والخور.

وقد ضرب لنا سلفنا الصالح أروع الأمثلة في ذلك:

فها هي امرأة تأتي معترفةً بذنبها، تريد أن تتطهر من ذنبها، تريد أن تلقى الله ولا
تُبَعَّةً عليها، فتَجُودُ بنفسها لله سبحانه وتعالى، تأتي إلى رسول الله ﷺ ؛ كي يقيم عليها
الحد ليهدأ بالها ويسكن خاطرها، ولا تهمَّها الملابس المحيطة بها. ولا يهتمها حملها
الذي في بطنها، ولا وليدها بعد أن وضعت، تلك هي الغامدية.
وهذه هي قصتها التي يقشعر لها الجلد، ويرق لها القلب ويعجب لها العقل.
ففي «الصحيح»^(١) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه : «أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ
أَتَتْ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ ، وَهِيَ حُبْلَى مِنَ الزَّوْجِيِّ، فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْنِي عَلَيَّ.
فَدَعَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ وَلِيَّهَا، فَقَالَ: «أَحْسِنِ إِلَيْهَا فإِذَا وَضَعْتَ فَأَنْتِنِي بِهَا». فَفَعَلَ فَأَمَرَ بِهَا نَبِيُّ
اللَّهِ ﷺ ، فَشُكِّتْ عَلَيْهَا ثِيَابُهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَرُجِمَتْ ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهَا، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: «تُصَلِّي
عَلَيْهَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَقَدْ زَنَّتْ؟! فَقَالَ: لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً، لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ
لَوَسِعَتْهُمْ. وَهَلْ وَجَدْتَ تَوْبَةً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا لِلَّهِ تَعَالَى؟!».

(١) مسلم (حديث ١٦٩٦).



وها هم أصحاب رسول الله ﷺ كانوا مُولعين بشرب الخمر قبل تحريمها، فماذا كان منهم لما نزل تحريم الخمر رضي الله عنهم وأرضاهم؟ فقد أمروا ببدان الخمر وأوعيتها أن تُكسر وتُهراق، فجرت في سبيلك المدينة، وها هو الحديث بذلك.

أخرج البخاري ومسلم ^(١) واللفظ لمسلم من حديث أنس رضي الله عنه؛ قال: «كُنْتُ سَاقِيَ الْقَوْمِ يَوْمَ حُرِّمَتِ الْخَمْرُ فِي بَيْتِ أَبِي طَلْحَةَ، وَمَا شَرَابُهُمْ إِلَّا الْقَضِيخُ الْبُسْرُ وَالْتَّمْرُ فَإِذَا مُنَادٍ يُنَادِي، فَقَالَ: اخْرُجْ فَاظْطُرْ. فَخَرَجْتُ فَإِذَا مُنَادٍ يُنَادِي: أَلَا إِنَّ الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ قَالَ: فَجَرْتُ فِي سَبِيلِكَ الْمَدِينَةَ، فَقَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ: اخْرُجْ فَاهْرُقْهَا، فَهَرَقْتُهَا».

فقرن بين عزيمة هؤلاء الأفاضل وعزيمة أهل زماننا إن صحت المقارنة أهل زماننا يتناول أحدهم الدخان وتحته على الإقلاع عنه لضرره وتدميره للبدن، ولما فيه من الإسراف فيماطل أحدهم أشد المماطلة، ويجادل غاية الجدل، فشتان ما بين هؤلاء وأولئك، وأين الثريا وأين الثرى!!؟

ألا تتأسى يا عبد الله بهذا الرجل في عزمته، ذلكم الرجل الذي قعد بين رجلي ابنة عمه كي يزني بها، فلما قالت له: اتق الله ولا تُفَضِّ الخاتم إلا بحقه، قام وتركها وانصرف خوفاً من الله عز وجل!!؟

إنه أحد الثلاثة الذين خرجوا يتماشون فأخذهم المطر فأووا إلى غار في جبل فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فانطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالاً عملتموها صالحة لله فادعوا الله تعالى بها لعل الله يفرجها عنكم.

لقد قال هذا الرجل ^(٢): «اللَّهُمَّ، إِنَّهُ كَانَتْ لِي ابْنَةٌ عَمَّ أَحْبَبْتُهَا كَأَشَدَّ مَا يُحِبُّ الرَّجَالُ النِّسَاءَ، وَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا، فَأَبَتْ حَتَّى آتَيْهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَتَعَبْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِائَةَ دِينَارٍ، فَجِئْتُهَا بِهَا، فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رَجُلَيْهَا قَالَتْ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، اتَّقِ اللَّهَ، وَلَا تَفْتَحِ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ عَنْهَا، فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَيْ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجَهْكَ، فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً. فَفَرَجَ لَهُمْ».

ألا تتأسى بالصديق يوسف وتقتدي به في رفضه للفاحشة، وبُعدِهِ عن الخنا والزنا، ولجؤِهِ إلى الله تبارك وتعالى كي ينجيه ويصرف عنه السوء.

وقوله: (قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْنَ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ

(٣٣) [يوسف: ٣٣].

(١) أخرجه البخاري (٥٥٨٢) ومسلم (١٩٨٠) واللفظ له.

(٢) أخرج ذلك البخاري (٣٤٦٥) ومسلم (حديث ٢٧٤٣).

ألا فليبادر المؤمن بالاستغفار من ذنبه والإقلاع عنه، وليستغفر لإخوانه المؤمنين
والمؤمنات الذين سبقوه بالإيمان، وليعلم أن هناك ملائكة تستغفر له إذا تاب وأناب.
قال الله تعالى: (الَّذِينَ يَجْمَلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا
رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ) [غافر: ٧].
الدعاء...

* * *

MOSTAFAALADWIY.COM



m

لا تقنطوا من رحمة الله

أما بعد: فإن أكثر آيات الرجاء في كتاب الله **عَزَّ وَجَلَّ** تدور حول الحث على التوبة والتحذير من القنوط من رحمة الله **عَزَّ وَجَلَّ** واليأس من روح الله، فمن ذلك قول الله تعالى: (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا) ﴿١١٠﴾ [النساء: ١١٠]. وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ أَشْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ﴿٥٣﴾ [الزمر: ٥٣].

وقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) ﴿٤٨﴾ [النساء: ٤٨].

وقوله تعالى: (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ) ﴿٣٨﴾ [الأنفال: ٣٨].

وقد فتح الله **عَزَّ وَجَلَّ** باب التوبة والإنابة إليه والاستغفار بعد كل كبيرة من الكبائر حتى لا يقنط أحد من رحمة الله **عَزَّ وَجَلَّ**، فهذا هي كبار الذنوب وعظام الجرائم: الشرك والقتل والزنا، يفتح الله الباب أمام مرتكبيها كي يتوبوا منها قبل موتهم.

قال الله تعالى: (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخَلْدُ فِيهِ مُهَكَمًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾) [الفرقان: ٦٨-٧١].

وأصحاب الأخدود: الذين كفروا وظلموا وحرَّقوا المؤمنين والمؤمنات، وقذفوهم في النار، وما كان للمؤمنين والمؤمنات من ذنب إلا أنهم آمنوا بالله العزيز الحميد، هؤلاء أصحاب الأخدود الذين فرَّقوا بين الوالدة ولدها وقذفوا ولدها أمام عينيها في النار، وجلسوا على حافة الأخدود يتلذذون بمشاهدة أهل الإيمان وهم يُقذفون في النيران ويستمتعون بذلك.

هؤلاء أصحاب الأخدود الذين اجتهدوا غاية الاجتهاد لصرف الناس عن دينهم، مع كل هذه الجرائم التي صدرت منهم يفتح الله لهم باب التوبة كي يتوبوا.

قال سبحانه وتعالى : (إِنَّ الَّذِينَ فَنُّوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلْحَرِيْقٌ ﴿١٠﴾) [البروج: ١٠].

فقوله سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ يفيد أنهم لو تابوا قَبِلَ اللهُ توبتهم، فسبحانك يا ربنا ما أحلمك وما أرحمك!!!

وهؤلاء قطاع الطرق الذين عاثوا في الأرض بالفساد وسرقوا وأجرموا: تفتح أمامهم أبواب التوبة كي يتوبوا ويرجعوا عن غيهم وفسادهم، ويقطعوا عن الناس شرهم.

قال الله تبارك وتعالى: (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُجَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ رَحِيمٌ ﴿٣٤﴾) [المائدة: ٣٣، ٣٤].

وها هم الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات:

تفتح أمامهم أبواب التوبة والإنابة إلى بارئهم ومولاهم، كي يتوبوا ويقبلوا على عمل الصالحات وإقامة الصلاة وترك الشهوات.

قال سبحانه وتعالى: (﴿ خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿٥٩﴾) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾) [مريم: ٥٩، ٦٠].

وهؤلاء الذين يرتكبون الكبائر البشعة من قذف المحصنات الغافلات المؤمنات بالزنا والفاحشة: تفتح أمامهم (١) أبواب التوبة من هذا الذنب الكبير، فيقول سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ

يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شَهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ رَحِيمٌ ﴿٥﴾) [النور: ٤، ٥].

وها هو رجل قتل تسعة وتسعين نفساً ثم سأل عن أهل الأرض فذُلَّ على راهب فأتاه، ولكن للأسف راهب قليل العلم والفقه، أخبره أنه لا توبة له، فقتله، فأتته به المائة، ثم سأل عن أهل الأرض، فذُلَّ على عالم، فأتاه فأخبره أن له توبة، فكان ماله بعد ذلك إلى رحمة الله ﷻ وتلقته ملائكة الرحمة على ما ورد في

(١) وقد اشترط لذلك كثير من أهل العلم أن يكذب هذا القاذف نفسه، ويظهر براءة المؤمنة أو المؤمن المقذوف من التهمة التي رماها بها.



الصحيحين^(١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «كَانَ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَهْلِ الْأَرْضِ فُذِّلَ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ. فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا. فَقَتَلَهُ فَكَمَلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَهْلِ الْأَرْضِ فُذِّلَ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ. فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ. وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟! انْطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أَنْاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاغْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضٌ سَوَاءٌ. فَانْطَلِقْ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ. فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ. وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ.

فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ: قَيْسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ فِإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ». قال قتادة: فقال الحسن: ذُكِرَ لَنَا: (أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ الْمَوْتُ تَأَى بِصَدْرِهِ).

وكذلك هؤلاء القوم الذين لا يعقلون: الذين نادوا رسول الله ﷺ من وراء الحجرات، لم يراعوا الأدب في ذلك، هؤلاء أيضًا فتح الله لهم باب التوبة والمغفرة لما صدر منهم إن هم تأدبوا، قال سبحانه: (إِنَّ الَّذِينَ يَكَادُبُونَكَ مِنَ الْهَاجِرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥) [الحجرات: ٤، ٥].

فسبحانك ربنا ما أحلمك وما أرحمك!! إذ ناديت العباد فقلت وقولك الحق: (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا) (١١٠) [النساء: ١١٠]. سبحانك، ما أوسع رحمتك وأعظم حلمك إذ قلت: (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا) (٦٤) [النساء: ٦٤]. ما أحلمك وما أرحمك وما أعظم عفوك وأجمل كرمك إذ قلت: (وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا) (٢٧) [النساء: ٢٧].

وما أعدلك في كل ما قضيت به وحكمت!!! فلك الحمد آناء الليل وأطراف النهار. استغفروا ربكم إنه كان غفاراً ...

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد ...

(١) البخاري (حديث ٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦).

أما وقد سمعتم أيها الإخوة ما ورد في فتح باب التوبة أمام التائبين.
فلا ينبغي أن يقنط أحد أبداً من رحمة الله، فاليأس والقنوط من رحمة الله **عز وجل**
كبيرة من الكبائر.

قال سبحانه وتعالى: (وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾) [الحجر: ٥٦].
وقال سبحانه: (إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾) [يوسف: ٨٧].
وقد ذهب فريق من أهل العلم إلى أن المراد بقوله سبحانه وتعالى: (وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى
الْهَلَكَةِ) [البقرة: ١٩٥].

إن العبد يذنب الذنب ثم يظن أن ذنبه لا يغفر؛ فيترك الاستغفار ويترك الرجوع
إلى الله، فمن ثم يقع في الهلكة (١) والعياذ بالله.
وفي الصحيح عن النبي ﷺ فيما يحكي عن ربه **عز وجل** قال: «أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا
فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي. فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ
وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ. ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي. فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي
ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ».

وفي البخاري (٢) من حديث عمر **رضي الله عنه**: أن رجلاً كان على عهد النبي ﷺ كان
اسمه: عبد الله وكان يلقب: حماراً، وكان يضحك رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ قد
جلده في الشراب، فأتي به يوماً، فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم عنه، ما
أكثر ما يؤتى به! فقال النبي ﷺ: «لَا تَلْعَنُوهُ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ اللَّهُ

(١) أخرج الطبري (٣١٦٧) بإسناد صحيح عن البراء بن عازب في قوله تعالى: (وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى الْهَلَكَةِ) [البقرة: ١٩٥] قال: هو الرجل يصيب الذنوب فيلقي بيده إلى التهلكة يقول: لا توبة لي.
وفي رواية (٣١٦٩): هو الرجل يذنب فيقول: لا يغفر الله له.
وأخرج الطبري نحوه عن عبيدة أيضاً، فأخرج بإسناد صحيح (٣١٧٤) عن ابن سيرين قال: سألت عبيدة
السلماني عن ذلك فقال: هو الرجل يذنب الذنوب فيستسلم ويلقي بيده إلى التهلكة ويقول: لا توبة له يعني
قوله: (وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى الْهَلَكَةِ) [البقرة: ١٩٥].
وقال الطبري بعد أن أورد جملة أقوال في تفسير الآية الكريمة: (وكذلك الأيس من رحمة الله لذنب سلف
منه ملق بيديه إلى التهلكة؛ لأن الله قد نهى عن ذلك فقال: (وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ
الْكَافِرُونَ) [يوسف: ٨٧].

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٠٧) ومسلم (٢٧٥٨) من حديث أبي هريرة **رضي الله عنه** مرفوعاً.
(٣) أخرجه البخاري (٦٧٨٠).
(٤) نقل الحافظ ابن حجر في (ما) هنا أقوالاً، أقربها للصواب: ما نقله عن أبي البقاء في إعراب الجمع أنه قال:
(ما) زائدة أي: فوالله علمت أنه. والهمزة على هذا مفتوحة قال: ويحتمل أن يكون المفعول محذوفاً، أي:



...ورسوله» (١)

وفي رواية: أن رجلاً قال: ما له أخزاه الله! فقال رسول الله: «لما تكفروا عون الشيطان على أخيك» (٢)

فجدير بالعبد أن لا يقنط أبداً من رحمة الله ﷻ، بل كلما سقط ووقع في ذنب قام واستغفر وأناب، فليس ثم أحد بمعصوم من الذنب، وقد قال الله تعالى في شأن المتقين الذين أعدت لهم الجنان:

﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران: ١٣٣)

فذكر من صفاتهم: (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا الذُّنُوبَ بِهِمْ وَمَنِ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُهم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهم وَجَنَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ ﴿١٣٦﴾) (آل عمران: ١٣٥، ١٣٦).
فحتى التقي قد تصدر منه كبيرة!!، قد تزل قدمه ويقع في فاحشة!! ولكنه يقلع عنها وينيب إلى ربه ويستغفر.

وقد ذكر الله تعالى عباده المرسلين فقال: (إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمَرْسُولِ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حَسَنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾) (النمل: ١٠، ١١).

وموسى الكليم عليه وعلى نبينا محمد أفضل صلاة وأتم تسليم، قتل نفساً فقال: (رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرْتَهُ إِنَّكَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾) (القصص: ١٦).
وهؤلاء الذين جاءوا بالصدق وصدقوا به، قال الله عنهم: (يُكْفِرُ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا) (الزمر: ٣٥). ففيه دليل على أنهم عملوا شيئاً من السوء.
ألا فليحذر العبد من أن يقنط شخصاً من رحمة الله، فهذا هو مصير الراهب الذي أفتى قاتل التسعة والتسعين نفساً بأنه لا توبة له، قتله الجاني فأتى به المائة.

ما علمت عليه أو فيه سوء، ثم استأنف فقال: «إنه يحب الله ورسوله».

(١) عند أبي يعلى (١٦١/١) من طريق: هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم عن أبيه، عن عمر: أن رجلاً كان يلقب حماراً، وكان يهدي لرسول الله ﷺ العجة من السمن والعكة من العسل، فإذا جاء صاحبها يتقاضاها جاء به إلى رسول الله ﷺ فيقول: يا رسول الله، أعط هذا ثمن متاعه. فما يزيد رسول الله ﷺ على أن يتيسم ويأمر به فيعطى... فذكر الحديث وفي آخره: «لا تلغوه، فإنه يحب الله ورسوله». وإسناده حسن.

(٢) هي عند البخاري (٦٧٨١).

وصح عن رسول الله ﷺ (١) أنه قال: «كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاحِشَيْنِ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذُّبْقِ يَقُولُ: أَقْصِرْ فَوْجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ. فَقَالَ: خَلَّنِي وَرَبِّي أَبْعَثْ عَلَيَّ رَقِيبًا؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ. فُقْبِضَ أَرَوَاحُهُمَا فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ. فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا؟ أَوْ كُنْتَ عَلَيَّ مَا فِي يَدِي قَادِرًا؟ وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي. وَقَالَ لِلْآخَرَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ».

وفي صحيح مسلم (٢) من حديث جندب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ حَدَّثَ: «أَنَّ رَجُلًا قَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ. وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَلَّا أُغْفَرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَبْتُ عَمَلَكَ» أَوْ كَمَا قَالَ.
الدعاء...

* * *

(١) أبو داود (٤٩٠١) وإسناده حسن.

(٢) مسلم حديث رقم (٢٦٢١).



m

أمور تجلب المودة والمحبة بين المسلمين

أما بعد: فإن المودة والإخاء، والائتلاف، والاجتماع والتصالح والتسامح، والمحبة والوئام كل ذلك ينبغي أن يسود وأن ينتشر في المجتمعات المسلمة وبين فئات أهل الإيمان، وذلك امتثالاً لأمر الله ﷻ وأمر نبيه ﷺ، ثم استتصاراً بذلك على أعداء الله وأعداء المسلمين، إذ الاعتصام بحبل الله والاجتماع عليه قوة ضاربة، والتعرف والاختلاف ضعف وفشل، ومن أسباب تسلط عدونا وغايتنا ثم هو جالب للعذاب.

قال تعالى: (وَلَا تَنَزَعُوا أَنْفُسَكُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَتَذَهَبَ بِكُمْ) [الأنفال: ٤٦].

وقال تعالى: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ

[آل عمران: ١٠٥].

فأذكر نفسي وإخواني في هذا المقام بأمور تكون سبباً في جلب المودة والمحبة بين أهل الإيمان لعل مسلماً ينتفع بها، ولعل الله أن يصلح أحوالنا إذا اتبعنا كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ وابتداء فالمحبة من الله ﷻ، وكما أسلفنا وقد قال الله تعالى في شأن نبيه موسى عليه السلام، (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) [طه: ٣٩] فكان كل من رأى موسى أحبه وتلك المحبة من الله ﷻ.

ثم إن النبي ﷺ قد قال في شأن خديجة رضي الله عنها وقد عوقب من بعض أزواجه لكثرة ذكره لها، وذلك بعد موتها، فقال ﷺ: «إِنِّي رُزِقْتُ حُبَّهَا» (١).

ويشهد للمعنى المذكور، من أن المحبة من الله حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيْلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيْلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيْلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ».

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٤٣٥).

(٢) البخاري (حديث ٦٠٤٠).

وفي رواية مسلم ^(١): «إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيْلَ فَقَالَ: إِنِّي أَحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيَحِبُّهُ جِبْرِيْلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ ثُمَّ يُوَضِّعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيْلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أَبْغَضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُهُ قَالَ فَيَبْغِضُهُ جِبْرِيْلُ ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيَبْغِضُونَهُ ثُمَّ تُوَضِّعُ لَهُ الْبَعْضَاءُ فِي الْأَرْضِ».

ولذا، وقد علم أن المحبة من الله ﷻ وكذا الثناء الحسن فقد قال إبراهيم عليه السلام: (وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ) ^(٨٤) [الشعراء: ٨٤]. وأجاب الله دعاءه فقال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيمًا﴾ ^(٥٠) [مريم: ٥٠]. فمن هنا ينبغي أن نحرص على سؤال الله ﷻ أن يلقي محبتنا قلوب عباده إنه سميع قريب. ثم إن من الأسباب الجالبة للسعادة ما يلي:

قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) ^(٩٦) [مريم: ٩٦] ، أي: محبة في قلوب العباد على كثير من المفسرين.

فاجتهد أيضًا في أن ترضي الله عنك، واجتهد في العمل بطاعته واجتنب معاصيه فإله يقذف الحب في قلوب العباد لك، وهو الذي يكف أذى العباد عنك.

قال تعالى: (وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بِرَبِّكَ قُلُوبُهُمْ وَلَئِكَ اللَّهُ أَلْفَ بَيْنَهُمْ) [الأنفال: ٦٣].

ومن الأمور التي تجلب المحبة وتنتشر المودة بين الناس: إفشاء السلام أي: نشره وإظهاره والإكثار منه، ومن ثم جاءت النصوص عن رسول الله ﷺ تحت على ذلك وتبين أثره وفضله:

قال البراء بن عازب رضي الله عنه: أمرنا رسول الله ﷺ بسبع: «بعبادة المريض واتِّباع الجنائز، وتشميت العاطس، ونصر الضعيف، وعون المظلوم، وإفشاء السلام، وإبرار القسم» أخرجه البخاري ومسلم ^(٢).

وفي «صحيح مسلم» ^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَنَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوْ لَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ»

(١) مسلم (حديث ٢٦٣٧).

(٢) البخاري مع «الفتح» (١٨/١١)، ومسلم مع النووي (٣٠/١٤).

(٣) مسلم (حديث ٥٤).



تَحَابِبُكُمْ؟ أَقْسُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ».

وعند البخاري في «الأدب المفرد»^(١) من حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إِن السَّلَامَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَضَعَهُ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ، فَأَقْسُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ». وفي الصحيحين^(٢) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: أَيُّ السَّلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ».

وبين رسول الله ﷺ أن من حق المسلم على أخيه المسلم أن يسلم عليه، ففي صحيح مسلم^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتُّ قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: إِذَا لَقَيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانصَحْ لَهُ وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدِ اللَّهَ فَسَمِّئْهُ وَإِذَا مَرَضَ فَعُدَّهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ».

وفي الصحيحين^(٤) من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ بِالطَّرِيقَاتِ». فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بَدُّ نَتَحَدَّثُ فِيهَا، فَقَالَ: «إِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ» قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «غَضُّ الْبَصَرِ وَكَفُّ النَّادِي وَرَدُّ السَّلَامِ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ».

وأولى الناس بالله: من بدأهم بالسلم كما قال النبي ﷺ^(٥).

وكان النبي ﷺ يسلم على الصبيان كما في «الصحيحين»^(٦) من حديث أنس رضي الله عنه.

وكان يسلم على النساء أيضاً^(٧) ففي «سنن الترمذي» و«الأدب المفرد» للبخاري^(٨) بإسناد حسن لشواهد من حديث أسماء بنت يزيد رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ مرَّ بي وأنا في جواز أتراب فسلم علينا.

(١) البخاري في «الأدب المفرد» (٩٨٩) وإسناده صحيح.

(٢) البخاري (حديث ٢٨)، ومسلم (حديث ٣٩).

(٣) مسلم (ص ١٧٠٥).

(٤) البخاري (مع الفتح ٨/١١)، ومسلم (١٠٢/١٤ مع النووي).

(٥) أخرجه أبو داود (٣٨٠/٥) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِن أَوْلَى النَّاسِ مِنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلَامِ» وإسناده صحيح.

(٦) البخاري (مع الفتح ٣٢/١١)، ومسلم مع (النووي ١/١٥).

(٧) ومحل ذلك إذا أمنت الفتنة فإن الله لا يحب الفساد.

(٨) الترمذي (٤٥٧/٧ مع التحفة)، والبخاري في (الأدب المفرد ١٠٤٨).

وكذلك إذا كان المجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركون عبدة الأوثان واليهود فإن النبي ﷺ سلم على مجلس فيه مثل هذه الأخلاط (١).
وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يتماشون فإذا استقبلتهم شجرة أو أكمة فترقوا يميناً وشمالاً ثم التقوا سلم بعضهم على بعض (٢).
ومما يجلب المودة والمحبة أيضاً: أن ترسل سلامك إلى الناس، وما أظن هكذا يكلفك شيئاً.

وقد جاءت بذلك السنة:
أخرج البخاري ومسلم (٣) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «يَا عَائِشَ هَذَا جِبْرِيْلُ يُفْرِنُكَ السَّلَامَ». قلت (القائل عائشة): وعليه السلام ورحمة الله.
وفي «مسند أحمد» (٤) بإسناد صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: قال: «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ طَالُ بِي عُمَرُ أَنْ لَقِيَ عِيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنْ عَجَلَ بِي مَوْتٌ فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ فَلْيُفْرِنُهُ مِنِّي السَّلَامَ». ولهذا الفضل العظيم والثواب الجزيل للسلام فإن أعظم ما يحسدنا عليه اليهود هو السلام والتأمين.

روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «مَا حَسَدْتُمْ الْيَهُودَ عَلَى شَيْءٍ مَا حَسَدْتُمْ عَلَى السَّلَامِ وَالتَّامِينِ» (٥).
فالسلم كما تقدم اسم من أسماء الله، وإفشائه فيه ذكر الله، وكثرة إفشائه تعني كثرة ذكر الله، وقد قال الله تعالى: (وَالذَّكْرَ لِلَّهِ كَثِيرًا وَأَلْذَكْرَ أَكْثَرُ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾) [الأحزاب: ٣٥].

(١) انظر البخاري (مع الفتح ٢٣٠/٨)، ومسلم (مع النووي ١٥٧/١٢).
(٢) ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (حديث ٢٤٥) وله شاهد عند أبي داود (٣٨١/٥) ولفظه: «إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه فإن حالت بينهما شجرة أو جدار أو حجر ثم لقيه فليسلم عليه أيضاً» وقد روي هذا مرفوعاً موقوفاً على أبي هريرة رضي الله عنه ومرفوعاً إلى رسول الله ﷺ.
(٣) البخاري (مع الفتح ٥٨١/١٠)، ومسلم (مع النووي ٢١١/١٥).
(٤) أحمد (٢٩٨/٢).
(٥) ابن ماجه (حديث ٨٥٦)، وابن خزيمة (حديث ٥٧٤)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٩٩٨) بإسناد حسن.



* وكم دُفِعَ من شرٍّ بسبب كلمة: السلام عليكم!

* وكم حلَّ من خيرات وبركات بسبب كلمة: السلام عليكم!

* وكم وصلت من أرحام بكلمة: السلام عليكم!

وفي المقابل كم حل من نكدٍ وبلاءٍ، وبؤسٍ وشقاءٍ وقطيعةٍ رحمٍ، وإدبارٍ وتنافرٍ

بسبب ترك كلمة: «السلام عليكم».

فعليك بها، أكثر منها، سلّم على الصغير والكبير والغني والفقير والرجل والمرأة (١) ومن عرفت ومن لم تعرف، بل وسلّم على الأموات كذلك (٢)، وتأكد أن في ذلك خيراً إن شاء الله.

هذا فضلاً عن الأجر المتحصل من إلقاء السلام.

أخرج أبو داود في «سننه» (٣) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى النبيّ ﷺ فقال: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَشْرٌ» ثُمَّ جَاءَ آخَرَ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ فَقَالَ: «عَشْرُونَ» ثُمَّ جَاءَ آخَرَ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ فَقَالَ: «ثَلَاثُونَ» (٤).

وللمصافحة أيضاً جميل الأثر في توطيد العلاقات وتدعيم أواصر المحبة.

وقد كانت المصافحة أيضاً في أصحاب النبي ﷺ:

وذلك فيما أخرجه البخاري (٥) من طريق قتادة قال: قلت لأنس: أكانت المصافحة

(١) إلا إذا خشيت الفتنة من إلقاء السلام على فتاة.

(٢) من ذلك «السلام عليكم دار قوم مؤمنين».

(٣) أبو داود (حديث ٣٧٩) بإسناد صحيح.

(٤) فماذا يضيرك يا عبد الله أن تقول في سلامك: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته» حتى تغتم ثلاثين!! ما إخاله ولا أظنه يشق عليك هذا الأمر، ولكن الموفق من وفقه الله والمهتدي من هداه الله!!

(٥) البخاري (مع الفتح ٥٤/١١)، لكن مصافحة الرجال للنساء، كما هو معلوم محرمة لحديث: «لئن يطعن

في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له». وإسناده حسن وأخرجه

الطبراني في «المعجم الكبير» (٢١١/١٠، ٢١٢) من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه.

و انظر أيضاً «السلسلة الصحيحة» للشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله (حديث ٢٢٦).

وفي «الصحيحين» من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت، فذكرت بيعة رسول الله ﷺ للنساء، وامتحانه لهن،

وفيها: ولا والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط غير أنه بايعهن بالكلام، قالت عائشة: والله ما أخذ

رسول الله ﷺ على النساء قط إلا بما أمره الله تعالى، وما مست كف رسول الله ﷺ كف امرأة، وكان يقول

المصافحة في أصحاب النبي □؟ قال: نعم.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: علمني رسول الله □ النشيد وكفّي بين كَفَيْهِ ^(١).
وصح ^(٢) بعض أهل العلم حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله □: «ما من مسلمان يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا».
وفي البخاري ^(٣) من حديث عبد الله بن هشام قال: كنا مع النبي □ وهو آخذٌ بيدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ.

وقال كعب بن مالك ^(٤) في قصته وتوبة الله عليه، قال: دخلت المسجد فإذا برسول الله □ جالسٌ فقام إليّ طلحة بن عبيد الله يهزول حتى صافحني وهنأني.
وكذا مما يجلب المودة والمحبة بإذن الله هديتك التي تهديها للأشخاص فللهدية عظيم أثر في استجلاب المودة وإذهاب الضغائن وتأليف القلوب.
وهي دليل على الحب وصفاء القلوب، وفيها إشعار بالتقدير والاحترام، ولذلك فقد قبل النبي □ الهدية، قبلها من المسلم والكافر، وقبلها من المرأة كما قبلها من الرجل، وحث النبي □ على التهادي وعلى قبول الهدايا.
فكم من ضغينة ذهبت بسبب هدية!! وكم من مشكلة دفعت بسبب هدية!! وكم من صداقة ومحبة جلبت بسبب هدية!!

وهاهي جملة نصوص عن رسول الله □ في هذا الباب: باب قبول الهدية ومجازاة من أهدى إليك، والحث على الإهداء والهدية من الكافر ومن المسلم وللکافر والمسلم، والموانع التي قد تتدخل لمنع الهدية ولمنع قبولها أو كراهيتها وكرهية قبولها. وبالله التوفيق.

لهن إذا عليهن: «قد بايعتكن كلاماً» لفظ مسلم (مع النووي ١٠/١٣). والحديث أيضاً بلفظ قريب عند البخاري (مع الفتح ٦٣٦/٨).

* وفي «مسند الإمام أحمد» (٣٥٧/٦) بإسناد صحيح عن أميمة بنت رقيقة قالت: أتيت النبي □ في نساء نبايعه فأخذ علينا ما في القرآن: أن لا نشرك بالله شيئاً الآية قال: «فيما استطعتن وأطقتن»، قلنا: الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا، قلنا: يا رسول الله ألا تصافحنا؟ قال: «إني لا أصافح النساء، إنما قولني لامرأة كقولني لمرأة» وأخرجه الترمذي (١٥٩٧) وقال: هذا حديث حسن صحيح

(١) البخاري (حديث ٦٢٦٥)، ومسلم (ص ٣٠٢ ترتيب محمد فؤاد).

(٢) منهم الشيخ ناصر الدين الألباني كما في «السلسلة الصحيحة» (٥٢٥) وانظر تخريج الحديث هناك.

(٣) البخاري (حديث ٦٢٦٤).

(٤) صحيح: وسيأتي تخريجه إن شاء الله.



أخرج البخاري ^(١) رحمه الله تعالى من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَيَثِيبُ عَلَيْهَا ^(٢).

وفي «الصحيحين» ^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ إِذَا أَتَى بِطَعَامٍ سَأَلَ عَنْهُ: أَهَدِيَّةٌ أَمْ صَدَقَةٌ؟ فَإِنْ قِيلَ: «صَدَقَةٌ»، قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «كَلُوا»، وَلَمْ يَأْكُلْ، وَإِنْ قِيلَ: «هَدِيَّةٌ» ضَرَبَ بِيَدِهِ فَأَكَلَ مَعَهُمْ.

وكان الأنصار يهدون لرسول الله ففي «الصحيح» ^(٤) من حديث عائشة رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ: ابْنُ أُخْتِي إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهَالِ ثَلَاثَةَ أَهْلَةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَتْ فِي أَنْبِيَاءِ رَسُولِ اللَّهِ نَارٌ، فَقُلْتُ: مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتْ: الْأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالْمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ جِيرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَ لَهُمْ مَنَائِحُ ^(٥) وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللَّهِ مِنْ أَنْبِيَاءِهِمْ فَيَسْتَقِينَاهُ.

وأخرج الإمام أحمد ^(٦) بإسناد صحيح من حديث عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَلَا يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ.

وَحَثَّ النَّبِيُّ عَلَى الْإِهْدَاءِ وَلَوْ بِالْقَلِيلِ:

فقال : «يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةَ لَجَارَتِهَا» ^(٧) وَكَوْ فَرَسِينَ شَاةً» ^(٨).

والفرس: هو موضع الحافر، والمراد أن النبي حث المرأة على الإهداء لجارتها والوجود بما تيسر عندها، وإن كان المهدي قليلاً فهو خير من العدم، وهو دليل على المودة، وفي الحديث أيضاً حثٌّ للمُهْدَى إليها على قبول الهدية وإن قلَّت الهدية فهي دليل على تقدير المهدي للمُهْدَى إليها.

- (١) أخرجه البخاري (حديث ٢٥٨٥) وقد أعله بعض العلماء بالإرسال وهو الصواب لكن انظر إلى الشواهد التي ذكرناها في هذا الباب.
- (٢) معنى يثيب عليها أي: يجازي المهدي بهدية أيضاً.
- (٣) أخرجه البخاري (حديث ٢٥٧٦)، ومسلم (١٠٧٧).
- (٤) البخاري (٢٥٦٧).
- (٥) المراد بها هنا: النوق أو الشياه.
- (٦) أحمد في «المسند» (١٨٩/٤)، وله شاهد يصح في قصة إسلام سلمان عند أحمد (٤٤١/٥).
- (٧) قد تطلق الجارة على الضرة أيضاً، وهي هاهنا عامة فالمراد جارة المنزل والمراد الضرة أيضاً، والله أعلم.
- (٨) أخرجه البخاري (٢٥٦٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

وروي أيضاً عن النبي ﷺ أنه قال: «تَهَادُوا تَحَابُّوا»^(١).

الحث على قبول الهدية:

وأخرج البخاري في الأدب المفرد^(٢) بإسناد صحيح عن عبد الله «وهو ابن مسعود» عن النبي ﷺ قال: «أَجِيبُوا الدَّاعِيَ وَلَا تَرُدُّوا الْهَدِيَّةَ»^(٣) وَلَا تَضْرِبُوا الْمُسْلِمِينَ».

وكان ﷺ يقبل القليل كما يقبل الكثير.

ففي «الصحيح»^(٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَوْ دُعِيتُ إِلَى إِبْرَاقٍ أَوْ كِرَاعٍ لَأَجَبْتُ وَلَوْ أَهْدِيَ إِلَيَّ زِرَاعٌ أَوْ كِرَاعٌ لَقَبِلْتُ».

والكراع من الدابة: ما دون الكعب.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله^(٥): وخص الذراع والكراع بالذكر ليجمع بين الحقير والخطير لأن الذراع كانت أحب إليه من غيرها، والكراع لا قيمة له. وإذا رددت الهدية فبين سبب ردها جبراً للخاطر^(٦):

وكذا إذا ردَّ هدية علل سبب الرد جبراً للخاطر المهدي.

ففي «الصحيحين»^(٧) من حديث الصعب بن جثامة رضي الله عنه أنه أهدى لرسول الله ﷺ حماراً وحشياً، وهو بالأبواء أو بودان، فردّه عليه فلما رأى ما في وجهه قال: «أما إننا لم نردّه عَلَيْكَ إِلَّا أَنَا حُرْمٌ».

وكان النبي ﷺ يقبل الهدية من النساء كذلك^(٨).

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (حديث ٥٩٤)، ومن المعلوم أن «الأدب المفرد» للبخاري غير «صحيح البخاري»، والحديث إسناده حسن لشواهده.

(٢) البخاري في «الأدب المفرد» (حديث ١٥٧) وأحمد في «المسند» (٤٠٤/١)، وأبو يعلى (٢٨٤/٩)، وابن

وابن = أبي شيبه في «المصنف» (٥٥٥/٦).

(٣) ذكر فريق من العلماء أن القاضي يحرم عليه قبول الهدية خاصة ممن يقضي بينهم أو ممن يُظن أنه سيقضي بينهم أو ممن يشفع عنده في الأفضية.

(٤) البخاري (حديث ٢٥٦٨).

(٥) «فتح الباري» (٢٣٦/٥).

(٦) إذا كان الخاطر يجبر بذلك، أما إذا كان الخاطر يُكسر ببيان سبب الرد فلا تبيين والله أعلم.

(٧) أخرجه البخاري (حديث ٢٥٧٣)، ومسلم (حديث ١١٩٣).

(٨) وحمل ذلك عند أمن الفتنة.



ففي «الصحاحين»^(١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: أهدت أم حفيد خاله ابن عباس إلى النبي ﷺ أقطاً وسمناً وأضباً فأكل النبي ﷺ من الأقطِ والسمن وتَرَكَ الضبَّ تَقْدُراً.

وللهدية من أحد الزوجين للآخر أثر طيب في توطيد أواصر المحبة وتنمية مشاعر الود، ومن ثم قال الله تبارك وتعالى: (فَإِنْ طَبَنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هِيَئًا مَّرِيئًا) **[النساء: ٤٠]** أي: إن طيبت المرأة نفسها وأعطت زوجها شيئاً من صداقها فلا حرج على الزوج في قبوله والأكل منه، فليأكل هنيئاً مريئاً.

وبالنظر إلى الآية الكريمة، نرى والله أعلم أن الزوجة إذا أهدت إلى الزوج تهدي إليه شيئاً من الصداق، ليس كل الصداق، وذلك حتى تبقى لنفسها تتصرف فيه عند احتياجاتها الخاصة بها، والله أعلم.

ومما يجلب المودة والمحبة: الإحسان والعفو عن الناس.

وهذا من أعظم الأبواب لجلب المودة بين العباد.

قال الله تبارك وتعالى: (وَلَا تَسْتَوِيَ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) **[٣٤]** وَمَا يُلْقُهَا إِلَّا الَّذِينَ صَدَقُوا **[فصلت: ٣٤، ٣٥]**.

* فإذا قذفك شخص بمسبة فاقذفه بالعفو عنه واقذفه بالكلام الطيب.

* إذا أساء شخص إليك فأحسن إليه، فلن يزال معك من الله ظهير عليه ما دمت على عفوك وإحسانك.

* **ومن ذلك أيضاً:** التعفف عما في أيدي الناس.

وهذا باب عظيم لجلب محبة الناس فالزهد فيما بأيديهم يُحببهم إليك، ويرفع من شأنك عندهم، أما التطلع الدائم إلى ما في أيدي الناس فيحملهم على ازدرائك، بل السخرية منك واحتقارك فالناس يحبون من يعطيهم^(٢)، ومن ثم جاءت النصوص تحث على التعفف وقصر النظر عما في أيدي الناس.

قال الله تبارك وتعالى: (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَرَرُّكَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ) **[طه: ١٣١]**.

(١) أخرجه البخاري (٢٥٧٥) ومسلم (ص ١٥٤٤).

(٢) نعم، فالناس يحبون من يعطيهم ولا يوقرون من يأخذ منهم، وذلك أن الناس جبلوا على جلب المال، قال تعالى: (وَتَحِبُّونَ أَمْوَالَ حِبَا جَمًا) فإذا نازعت الناس فيما يحبون كرهوك واستتفلوك.

وأخرج البخاري ومسلم ^(١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: إن ناساً من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم حتى نفذ ما عنده فقال: «ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر».

إذا ظلمك شخص فتجاوز عنه:

فإن الله يدافع عنك، فالله سبحانه وتعالى يدافع عن المظلوم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨].
 إن الله سبحانه وتعالى قد قال في كتابه الكريم: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنَّصَرِّهُ اللَّهُ﴾ [الحج: ٦٠] هذا في حق من عاقب بمثل ما عوقب له، لينصرنه الله!! فكيف بالذي ترك حقه كله لله!!

فالزم جانب العفو فإن العفو من شيم المحسنين:

قال الله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْمَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وقال سبحانه: ﴿وَإِنْ تَعَفُّوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التغابن: ٤١].
 وقال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠].
 وقال النبي ﷺ فيما أخرجه مسلم ^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ما نقصت صدقة من مالٍ وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلّا عزاً وما تواضع أحدٌ لله إلّا رفعة الله».
 وها هو رجل مثل طيب رائع لبيان أثر العفو، وفيه بُعد نظر من رسول الله ﷺ في شأن رجل كافر لكن يُتوقع منه الخير، ها هي قصته فانظرها، وانظر إلى أثر العفو عن رجل يعرف قيمة العفو، عن رجل له شيم ومبادئ وقيم:
 ففي «الصحيحين» ^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْلًا

(١) البخاري (حديث ١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣).

(٢) مسلم (حديث ٢٥٨٨).

(٣) البخاري (٤٧٣٢)، ومسلم (١٧٦٤).

وفي فعل الرسول ﷺ ذلك الفعل الرشيد ألا وهو ربط ثمامة في المسجد من الفقه ما لا يخفى، وذلك والله أعلم حتى يستمع ثمامة القرآن الذي يتلى ويرى الصلوات وحال المسلمين فيها وينظر إلى أخلاق المسلمين عن قرب بعيداً عن المنقولات الكاذبة والتشويشات التي يشوش بها أهل الكفر وأهل الإسراف على المسلمين، وكذلك بعيداً عن الأراجيف والشائعات فإذا رأهم وعرف حقيقتهم ورأهم في صلواتهم، وسمع قول المؤذن: الله أكبر الله أكبر، وقول المؤذن: لا إله إلا الله، ورأى صفوف المسلمين، ورأى توقيف



قِيلَ تَجِدُ فِجَاعَتُ بَرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ: ثَمَامَةٌ بِنُ أَتَالِ سَيِّدِ أَهْلِ الْيَمَامَةِ. فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ. فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثَمَامَةُ؟» فَقَالَ: عِنْدِي يَا مُحَمَّدُ خَيْرٌ، إِنْ تَقْتُلُ تَقْتُلُ دَا دِمَّ، وَإِنْ تُنْعِمُ تُنْعِمُ عَلَيَّ شَاكِرٌ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطِ مِنْهُ مَا شِئْتَ. فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْعَدِّ، فَقَالَ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثَمَامَةُ؟!» قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ. إِنْ تُنْعِمُ تُنْعِمُ عَلَيَّ شَاكِرٌ وَإِنْ تَقْتُلُ تَقْتُلُ دَا دِمَّ وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطِ مِنْهُ مَا شِئْتَ. فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى كَانَ مِنَ الْعَدِّ فَقَالَ: «مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثَمَامَةُ؟!» فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ. إِنْ تُنْعِمُ تُنْعِمُ عَلَيَّ شَاكِرٌ، وَإِنْ تَقْتُلُ تَقْتُلُ دَا دِمَّ وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطِ مِنْهُ مَا شِئْتَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَطْفِئُوا ثَمَامَةَ». فَأَنْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ. فَأَعْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، يَا مُحَمَّدُ! وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ! فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهَكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ! فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ كُلِّهِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ! فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَإِنْ خَبَلْتُكَ أَخَذْتَنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ. فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: أَصْبَوْتُ؟^(١) فَقَالَ: لَا وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا وَاللَّهِ لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةٌ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْتِيَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

وكذلك الشفاعة الحسنة فهي سببٌ طيبٌ في توطيد أواصر المحبة ففيها جلب للمودة بين طلب الشفاعة والشافع والمشفوع إليه، ومن ثمَّ الله سبحانه وتعالى عليها في كتابه الكريم ما دامت شفاعته حسنة ليس فيها إضرار بأحد ولا سلبٌ لحقوق أحد ولا تعد على حدٍّ من حدود الله، ولا تعطيل لحد.

أما حالت الشفاعة عند السلطان دون إقامة الحدود فهي حينئذٍ حرام، وكذلك إذا كان في الشفاعة تضييع الحقوق فهي حرام، قال الله تعالى: (مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ

المسلمين لرسول الله، وتوقيرهم بعضهم لبعض وشفقة الرسول ﷺ عليهم، إلى غير ذلك مما يراه الداخل عليهم والمختلط بهم، فحينئذٍ يسلم وينشرح صدره للإسلام للصورة الطيبة التي رآها منهم.

وهذا والله أعلم كقوله تعالى: (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ اتَّبِعْهُ بِأَمْنِهِ ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ قَوْمٌ لَا

يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ (التوبة: ٦).

(١) صبوت: أي خرجت من دينك الذي كنت عليه.

نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً نَّكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيمًا ﴿٨٥﴾ [النساء: ٨٥].

وفي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كان رسول الله إذا أتاه طالب حاجة أقبل على جلسائه فقال: «اشْفَعُوا تُوجَرُوا وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ □ مَا شَاءَ».

ففي الحديث الحث على الشفاعة، وإن لم تُقبل فالشافع مأجور، وقد شفع النبي □ ، ومع فضله وكونه سيد ولد آدم إلا أن شفاعته لم تقبل عند امرأة من النساء كانت أمة فأعتقت، ومع ذلك لم يُتْرَبْ عليها رسول الله □ .

ففي صحيح البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما^(٢) أن زَوْجَ بَرِيرَةَ كَانَ عَبْدًا يُقَالُ لَهُ: مُغِيثٌ، كَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَيْهِ يَطُوفُ خَلْفَهَا يَبْكِي وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى لِحْيَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ □ لِعَبَّاسٍ: يَا عَبَّاسُ، أَلَا تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثِ بَرِيرَةَ وَمِنْ بَعْضِ بَرِيرَةَ مُغِيثًا؟ فَقَالَ النَّبِيُّ □: «لَوْ رَأَيْتَهُ» قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «إِنَّمَا أَنَا شَفَعٌ» قَالَتْ: لِمَا حَاجَةٌ لِي فِيهِ^(٣) .

ومما يجلب المودة والمحبة أيضًا: إخبار من تحبهم في الله بمحبتك لهم. أخرج ابن السني^(٤) في «عمل اليوم والليلة» بإسناد صحيح من حديث المقدم بن معدي كرب أن النبي □ قال: «إذا أحب أخاه فليعلمه بذلك».

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده
فاستطرادًا لما سبق من بيان الوسائل التي تجلب المودة والمحبة فمنها أيضًا:

جبر الخواطر وتطبييها

وجبر خواطر الناس التي كسرت باب طيب من أبواب المواساة وتخفيف المصائب

(١) البخاري (حديث ٦٠٢٨)، ومسلم (٢٦٢٧).

(٢) البخاري (حديث ٥٢٨٣).

(٣) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله (فتح الباري ٣٢٤): وفيه جواز مخالفة المشير فيما استشير فيه.

(٤) ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (رقم ١٩٦) وللحديث شاهدا فيه المبارك بن فضالة، وهو: مدلس وقد عنعن، وبقية رجاله ثقات، ولفظه: أن رجلًا قال: يا رسول الله إني أحب فلانًا قال: «فأخبرته» قال: لا قال: «قم فأخبره» قال: فقال: إني أحبك في الله يا أخي، قال: فأحبك الله الذي أحببتني له. أخرجه ابن السني (١٩٧).



عن العباد، وله أدلته من كتاب الله ومن سنة رسوله □، من الأدلة على ما يلي:
قول الله تبارك وتعالى: (وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ
مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا) (النساء: ٨).

وذلك عند قسمة الميراث إذا حضر القسمة الأقارب والفقراء والمساكين الذين لا
حظ لهم في الميراث ولا مال لهم، فطيب خاطرهم بجزء من المال أو جزء من التركة
تعطيهم إياه يبارك الله لك ويعوضك الله خيراً (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ
الْرَازِقِينَ) (سبا: ٣٩).

فيا ليت الناس ينتبهون عند تقسيم الميراث لمثل هذا الأدب الكريم!
ومن باب حجر الخاطر أيضاً قوله تعالى: (وَلَمَّا طَلَّغْتِ مَتْعُكُ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمَوْتِيِّ
(البقرة: ٢٤١).

فخاطر المطلقة مكسورة لكونها طلقت، فعوض هذا الكسر بشيء من المال تخفيفاً
عن أجزائها.

وإذا أردت أن تعطي أحداً شيئاً أو تمنع آخر من شيء فكلل ذلك بالكلمات الطيبة
وليكن منعك أو عطاؤك مصحوباً بالخلق الحسن والثناء الجميل.

فالله **عَزَّوَجَلَّ** يقول في كتابه: (وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَفَا، وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يَبْدُرْ بَدْرًا) (٣١) إِنَّ
الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا) (٧) وَإِنَّمَا تَعْرِضُ عَنْهُمْ بِنِعْمَةِ رَحْمَةِ مِن رَّبِّكَ تَرْجُوهُمَا فَقُلْ
لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا) (الإسراء: ٢٦-٢٨).

وتم أمور كثيرة آخر تجلب المودة والمحبة مذكورة في كتاب الله وفي سنة
رسول الله □ فلنتستخرج منها ما فقد جمعاً كل خير.

ثم إن ربي أعلم بالنفوس وما يصلحها وما يقربها وما يباعدتها ألا يعلم من خلق
وهو اللطيف الخبير!!

الدعاء...

* * *

m

بين الزوجين

أما بعد: فكل بيت يلزمه قيم يقوم عليه ويُدبر أمره ويسوسه ^(١) ويحفظه ويرعاه، وهذا القيم ينبغي أن يُسمع له ويُطاع ما لم يأمر بمعصية الله سبحانه وتعالى ، وهذا القيم على البيت هو الرجل، وتنصيبه قيمًا على البيت إنما هو من الله سبحانه وتعالى ، قال الله سبحانه: (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ) [النساء: ٣٤].

فإذا كان الذي نصب الرجل قيمًا هو الله سبحانه وتعالى، فمن ثم فلا يحل لأحد أن يعترض على أمر الله سبحانه وتعالى. إذ الله قال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا بَنِي اللَّهِ وَمَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ رِيسَالَةٍ) [الحجرات: ١] فعلى هذا فالرجل قيم البيت.

وقوامة الرجل على المرأة بشيين كما قد ذكر الله في كتابه الكريم:

أولهما: (بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ) [النساء: ٣٤].

والثاني: (وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ) [النساء: ٣٤].

أما قوله تعالى: (بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ) [النساء: ٣٤] أي بما فضل الله به الرجال على النساء في أصل خلقتهم من قوة الرجل ورجحان عقله وجلادته وصبره. وقوله تعالى: (وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ) [النساء: ٣٤] أي بما ينفقه الرجل من ماله على المرأة منذ بداية عقده عليها ^(٢) فيجب لها عليه مهر ويجب لها عليه إطعام وكسوة ومسكن وسائر أوجه الإنفاق الواجبة للنساء على الرجال، وحتى إذا طلقها يجب لها في ماله النفقة والسكنى إلى غير ذلك.

(١) يسوسه: يقوده.

(٢) تلاحظ أن المرأة التي تُدخل على زوجها مالا والمرأة التي تنفق على زوجها لهما نوع تسلط في البيت وذلك لأن القوامة بشيين كما ذكرنا أولهما: خلقه الرجل، وثانيهما، الإنفاق، فإذا كانت المرأة هي المنفقة نازعت الزوج القوامة فلينتبه لذلك.



وتتأكد قوامه الرجل على المرأة بقوله تعالى: (وَلِرَجَالٍ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ) [البقرة: ٢٢٨].

ويزداد هذا المعنى تأكيداً بقول النبي ﷺ: «لَوْ كُنْتُ أَمِيراً أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لِأَمْرَتِ الْمَرْأَةِ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا»^(١).

وبما ورد بإسناد حسن من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلاً أتى بابنة له إلى النبي ﷺ فقال: إن ابنتي هذه أبت أن تزوج قال فقال لها: «أطيعي أباك» قال فقالت: لا حتى تُخبرني ما حق الزوج على زوجته فرددت عليه مقالها، قال: فقال: «حق الزوج على زوجته أن لو كان به قرحة فلحستها أو ابتدر منخراه صديداً أو دمماً ثم لحسته ما أدت حقه» قال: فقالت: والذي بعثك بالحق لا أتزوج أبداً قال: فقال: «لا تنكوهن إلا بإذنهن»^(٢).

وبقول النبي ﷺ لما سئل: أيُّ النساءِ خيرٌ؟ قال: «الَّتِي تَسْرُهُ إِذَا نَظَرَ وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ وَكَأَنَّهَا تُخَالِفُهُ فِيمَا يَكْرَهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهَا»^(٣).

* وكذلك فالمرأة لا تصوم ^(٤) وزوجها شاهد إلا بإذنه.

* ولا تأذن لأحدٍ في بيته إلا بإذنه ^(٥).

* ولا تخرج إلى المسجد إلا بإذنه ^(٦).

وإذا دعاها إلى فراشه وجب عليها طاعته فإن أبت لعنتها الملائكة حتى تصبح ^(٧)، وكان الذي في السماء ساخطاً عليها ^(٨).

(١) أخرجه الترمذي (١١٥٩)، وابن حبان «موارد الظمان» (١٢٩١)، والبيهقي (٢٩١/٧)، وعند البيهقي وابن حبان من الزيادة: «لما عظم الله من حقه عليها» وهي زيادة ثابتة أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بإسناد صحيح بمجموع طرقه.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة «المصنف» (٣٠٣/٤)، والبيهقي «السنن الكبرى» (٢٩١/٧) والنسائي في «السنن الكبرى» (٣٨٣/٣) وغيرهم.

(٣) أخرجه أحمد (٢٥١/٢) بإسناد صحيح لشواهد.

(٤) صوم التطوع، والحديث أخرجه البخاري (حديث ٥١٩٢)، ومسلم (ص ٧١١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَا تَصُومُ الْمَرْأَةُ وَبَعْلُهَا شَاهِدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ».

(٥) أخرجه البخاري (حديث ٥١٩٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٦) أخرج البخاري (٥٢٣٨)، ومسلم (ص ٦٣٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إِذَا اسْتَأْذَنْتِ امْرَأَةٌ أَحَدَكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلَا يَمْنَعُهَا».

(٧) أخرج البخاري (٥١٩٣)، ومسلم (١٠٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ أَنْ تُجِيءَ لِعَنْتِهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ».

إلى غير ذلك من الأدلة الدالة على قوامة الرجل على المرأة وليس للمرأة أن تعترض على ذلك فهي قسمة الله سبحانه وتعالى الحكيم العليم اللطيف الخبير، وقد قال سبحانه: (وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبْنَ وَسَعَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ يَكِلُ شَيْءًا عَلَيْهِمَ ﴿٣٢﴾) [النساء: ٣٢].

وهذه القوامة مسؤلية أمام الله عز وجل.

فكما أن أي قائم على شيء مسؤول أمام الله عنم هم تحت يديه، فكذلك الرجل في بيته مسؤول عنم هم تحت يديه.

قال الله سبحانه وتعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾) [التحريم: ٦].

وقال النبي ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ فَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَالِدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فُكُلُكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» (٢).

وقال النبي ﷺ لمالك بن الحويرث ومن معه: «ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَأَقِيمُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ وَمَرُّوهُمْ» (٣).

وليس من معاني القوامة أن يكون الرجل فظًا غليظًا وجلفًا جافيًا في بيته، وإنما ينبغي له أن يتحلى بالخلق الحسن والرفق واللين، فهذا نبينا محمد ﷺ خير البشر عليه أفضل صلاة وأتم تسليم صاحب الخلق الكريم القويم مع كوننا أمرنا بطاعته وامتثال أمره واجتناب نهيه، فقد رزقه الله ﷻ اللين وأمره بخفض الجناح للمؤمنين، قال الله سبحانه وتعالى: (فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّمْ يَكُنْ لَهُمْ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) [آل عمران: ١٥٩].

(١) وأخرج مسلم (٦١١/٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهَا فَتَأْتِي عَلَيْهِ إِلَّا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا». وفي رواية للبخاري (٥١٩٤)، ومسلم (ص ١٠٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إِذَا بَاتَتِ الْمَرْأَةُ مَهَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا لَعْنَتُهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تَرْجِعَ».

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٢٥٥٤)، ومسلم (١٨٢٩) وغيرهما من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري مع «الفتح» (٢٣١/١٣)، ومسلم (حديث ٦٧٤).



وقال سبحانه: (وَأخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) (الشعراء: ٢١٥).
 وأمر صلوات الله وسلامه عليه بالرفق فقال: «عَلَيْكَ بِالرَّفْقِ» (١)
 وحث عليه بقوله: «إِنَّ الرَّفْقَ لَأَيُّهُنَّ شَيْءٌ إِذَا زَانَهُ وَلَئِنْ زَانَهُ مِنْ شَيْءٍ إِذَا
 شَانَهُ» (٢)
 وقال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ» (٣). «وَيُعْطِي عَلَى
 الرَّفْقِ مَا لَمْ يُعْطِ عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لَمْ يُعْطِ عَلَى مَا سِوَاهُ» (٤)
 فإذا كان الله ﷻ أمر الزوجة بطاعة زوجها فيلزم الزوج كما أسلفنا أن يكون
 سهلاً ليناً رقيقاً حليماً كذلك.
 وقد جعل الله سبحانه وتعالى الزوجة سكناً لزوجها فليكن رحيماً بها وعلى مودة
 معها.
 قال الله سبحانه وتعالى: (وَمَنْ آتَيْتَهُمْ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا
 وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً) [الروم: ٢١] ، وقال سبحانه: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ
 وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا) [الأعراف: ١٨٩].
 والمرأة إذا كانت سالحة فهي خير متاع يكتنزه الزوج، قال رسول الله ﷺ: «الدُّنْيَا
 مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ...» (٥)
 فحري بالرجل أن يكون خيراً كريماً مع أهله، قال رسول الله ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ
 إِيْمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَخَيْرُهُمْ خِيَارُهُمْ لِنِسَائِهِمْ» (٦)
 والمرأة أسيرة عند الرجل كما قال النبي ﷺ: «فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ» (٧) أي
 أسارى عندكم فلهذا مع غيره جاءت وصايا رسول الله ﷺ بالفساء، فقد أخرج البخاري

(١) مسلم (٢٥٩٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) مسلم (٢٥٩٤) أيضاً.

(٣) البخاري (٦٠٢٤).

(٤) مسلم (٢٥٩٣)، وفي رواية لمسلم (٥٩٢ ٢) من حديث جرير عن النبي ﷺ: «مَنْ يُحْرَمِ الرَّفْقَ يُحْرَمِ
 الْخَيْرَ».

(٥) أخرجه مسلم (٦٥٦/٣).

(٦) أخرجه الإمام أحمد بإسناد صحيح بمجموع طرقه (٤٧٢/٢).

(٧) أخرجه الترمذي (١١٦٣) من حديث عمرو بن الأحوص مرفوعاً.

ومسلم ^(١) من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ... وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّهُنَّ خُلْفَنَ مِنْ ضِلْعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلْعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبَتْ تُقِيمُهُ كَسَرْتُهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا».

وفي «صحيح ابن حبان» من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المرأة كالضلع إن أقمته كسرتها فدارها تعش بها» ^(٢).

وأمر الله سبحانه وتعالى بإحسان معاشرته النساء في جملة آيات قال سبحانه: (وَعَايِشُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) [النساء: ١٩] ، وقال سبحانه: (فَأَمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ) [البقرة: ٢٢٩] ، وقال سبحانه: (فَإِنْ أَطَعَكُمُ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا) [النساء: ٣٤] فإيا من تسول لك نفسك أن تظلم أهلك وهن لك مطيعات، لأنك أعلى منها وأقوى تذكر أن الله عز وجل علي كبير قادر على أن ينتقم منك والانتصار لها ودفع الظلم عنها.

وقد قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية: أي إذا أطاعت المرأة زوجها في جميع ما يريده منها مما أباحه الله له منها فلا سبيل له عليها بعد ذلك، وليس له ضربها ولا هجرانها، وقوله: (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا) ^(٣) تهديد للرجال إذا بغوا على النساء من غير سبب فإن الله العلي الكبير وليهن وهو منتقم ممن ظلمهن وبغى عليهن.

وبنحو ذلك قال ابن جرير الطبري، ولكنه زاد ما حاصله أن المرأة إذا أطاعت زوجها وكانت لا تحبه فلا يكلفها حبه ويؤذيها على ذلك، فإن ذلك ليس بأيديهن. والله أعلم.

معرفة خصال النساء

وبيان نقصان عقلمن ودينهن

ومن عوامل النجاح في المعاملات بين الزوجين أن يعرف كل منهما خصال الآخر وما يغضبه وما يرضيه ويحرص على فعل ما يريح صاحبه ما دام في حدود

(١) أخرجه البخاري مع «الفتح» (٢٥٢/٩)، ومسلم (ص ١٠٩١).

(٢) أخرجه ابن حبان بإسناد صحيح «موارد الظمان» (١٣٠٨).



المسموح به شرعاً، فعلى الرجل أن يعرف خصال المرأة وما جُبلت عليه حتى يسوسها سياسة طيبة ويصل بها إلى ما يرضي الله سبحانه وتعالى عنهما ويكون سبباً في سعادتهما وسعادة أولادهما في الدنيا والآخرة.

فمن ذلك أن يعلم أن من خصال النساء أنهن ناقصات العقل والدين، ففي «الصحيح»^(١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يَا مَعْشَرَ النَّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيْتُكُمْ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ» فقلن: «وَبِمَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلِ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِبَلِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ» فقلن: وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ» فقلن: بَلَى قَالَ: «فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ؟» فقلن: بَلَى قَالَ: «فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا».

ويتأيد هذا أي كون المرأة ناقصة العقل بأن كثيراً من المفسرين قالوا في تأويل قول الله تعالى: (وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا) [النساء: ٥] ، بأن المراد بالسفهاء النساء والصبهان.

وقد قال النبي ﷺ: «المرأة كالضلع إن أقمتهما كسرتهما وإن استمعتت بها استمعتت بها وفيها عوج»^(٢).

وتقدم حديث النبي ﷺ: «.. وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلْعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلْعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبَتْ تَقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكَتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا».

وقال الله سبحانه وتعالى: (أَوْ مِنْ يُنْسَوُا فِي الْحَلِيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَابِ غَيْرُ مَبِينٍ) [الزخرف: ١٨].

وقال سبحانه: (وَالرِّجَالُ عَلَىٰ دَرَجَةٍ) [البقرة: ٢٢٨].

فهذا كله مما يدل على ضعف عقل النساء ونقصه.

فإذا كان الأمر كذلك وعلم الرجل أن هذا هو حال المرأة من نقصان العقل تعيّن عليه أن يعاملها بناء على عقلها، فمن المعلوم أن الرجل يتعامل مع الناس على قدر عقولهم، وراجح العقل يتعامل مع ضعيف العقل والطفل والمجنون على قدر عقولهم، فإذا أخذ الرجل العاقل الطفل الصغير بكل ما يصدر منه حكم الناس على الرجل بقلة

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٠٤)، ومسلم (حديث ٨٠).

(٢) أخرجه البخاري (٥١٨٤)، ومسلم (ص ١٠٩١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

العقل، وقال قائلهم: انظروا إلى هذا الرجل ينزل بعقله إلى عقول الأطفال، والله **عَزَّ وَجَلَّ** يقول في شأن أهل الإيمان: (وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾) [الفرقان: ٧٢].
فكذلك فليكن تعامل الرجل مع المرأة لا يؤاخذها بكل خطأ يصدر منها، بل إن أخطأت عشرة أخطاء مثلًا أخذها بثلاثة أو أربعة أو خمسة وترك المؤاخظة على الباقي، أما إذا أخذها بالعشرة أخطاء فقد جعل عقله كعقلها وحكم على نفسه بأنه رجل ناقص العقل سفيه.

ومن ثم روي عن عبد الله بن عباس **رضي الله عنه** أنه قال: ما أحب أن أستتظف جميع حقي عليها (١) لأن الله يقول: (وَالرِّجَالُ عَلَيْهِمْ دَرَجَةٌ) [البقرة: ٢٢٨] ، ومعنى كلام ابن عباس **رضي الله عنه**: أنني لا أحب أن أخذ حقي كاملاً من امرأتي وإنما أترك لها بعضه لأن الله يقول: (وَالرِّجَالُ عَلَيْهِمْ دَرَجَةٌ) [البقرة: ٢٢٨].

ونحو هذا في قول الله تعالى: (وَإِذَا سَأَرْتَنِي إِلَىٰ بَعْضِ أَرْوَاحِهِ حَتَّىٰ فَلَمَّا بَيَّنَّاتُ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ) [التحریم: ٣] ، فرسول الله ﷺ حدّث بعض أزواجه - اللواتي هن- من خير النساء وفضليات النساء بحديث وأوصاها أن لا تخبر به أحداً فذهبت وأخبرت به فأطلع الله نبيه عليه الصلاة والسلام على الذي كان من أمرها، فلما جاء العتاب ما عاتبها الرسول بكل ما صدر منها بل كما قال الله سبحانه: (عَرَفَ بَعْضَهُ، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ) [التحریم: ٣].

ومن المعلوم أن الله سبحانه وتعالى حدّث أهل الفضل على العفو عن زلات من هم دونهم، قال الله تعالى: (وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ) [النور: ٢٢].
وقفنا الله وإياكم للصالح من القول والعمل، ورزقنا الله وإياكم خالص النوايا، وحسن الله أخلاقنا وأخلاقكم، وأصلح الله بالنا وبالكم ونساءنا ونسائكم.
استغفروا ربكم إنه كان غفراً.

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد ...
أما، وقد سمعتم بارك الله فيكم وصايا ربكم جل وعلا ثم وصايا نبيكم ﷺ بالنساء،

(١) أخرجه الطبري وفي إسناده عنده ابن وكيع وهو سفيان بن وكيع تكلم فيه لوراق السوء الذي كان عنده.



فمن ثمّ فلا ينبغي أن يفرك مؤمنٌ مؤمنةً فهذه وصية رسول الله ﷺ أيضاً، إذ قد قال عليه الصلاة والسلام: «لَا يَفْرَكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ أَوْ قَالَ غَيْرَهُ» (١)

والله سبحانه وتعالى يقول: (فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَسَّ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا) (النساء: ١٩) فيندر جداً أن تجتمع خصال الخير في امرأة وقد قال النبي ﷺ: «إِنَّمَا النَّاسُ كَابِلٌ مِائَةٍ لِمَا تَكَادُ تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةٌ» (٢). فلا تكاد تجد رجلاً شجاعاً مغواراً مقداماً كريماً سخياً عالمياً محسناً متصدقاً كاظماً للغيظ عاف عن الناس صبوراً يقوم الليل ويصوم النهار واصلاً للأرحام باراً بوالديه... نادراً ما تجد خصال الخير تجتمع في رجل كالإبل في المائة، واحد تجده صبوراً على الجوع والعطش مريحاً في المشي هادئ الطبع لبنة كثير... نادراً ما تجد في الإبل كهذا فإذا كان هذا هو الشأن في الناس أنهم كابل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة، فالنساء اللواتي خلقتن من ضلع من باب أولى ألا تجتمع فيهن خصال الخير، فقد تكون المرأة جميلة حسناء ولكنها بذينة اللسان، وقد تكون جميلة حسناء لسانها طيب وقولها طو جميل لكنها مبذرة في الإنفاق ومتوسعة فيه وغير مقتصدة في معيشتها، وقد تكون مقتصدة في معيشتها لكن لا تجيد الطهي والخبز، وقد تكون جميلة حسنة الخلق حسنة التبعل متقنة لعمل البيت لكنها شديدة الغيرة، وقد يكون فيها ما دُكر من جمال وبهاء وحسن تبعل وإتقان للعمل إلا أنها ضعيفة في العبادة... إلى غير ذلك.

وإني ذاكراً هاهنا إن شاء الله أمثلة تُبيّن أنه حتى الفضليات من النساء الصالحات القانتات الحافظات للغيب بما حفظ الله يعترينهن التقصير أيضاً:

فها هي أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها:

إن سألت عن دينها فذات دين وعبادة تقوم من الليل تصلي فإن فترت تعلقت بحبل حتى لا تسقط من طول القيام إلى أن نهى النبي ﷺ عن هذا. ها هي أيضاً تعمل بيديها عملاً شاقاً في ذلك الجلود تمهيداً لدباغتها كي تجمع مالاً لا للتلذذ به ولا للاستمتاع به في الدنيا وإنما لكي تنصدق بهذا المال لما علمته من فضل الصدقة حتى كانت أكثر نساء النبي ﷺ صدقة.

(١) أخرجه مسلم رحمه الله (٦٥٧/٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٩٨)، ومسلم (٢٥٤٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً.

* إن سألت عن نسبها فهي ذات نسب فهي ابنة عمه النبي □ .
 * إن سألت عن ورعها فقد عصمها الله بالورع.
 * إن سألت عن جمالها فذات حُسن وجمال.
 كانت تُسامي عائشة في المنزلة عند رسول الله □ . فضلًا عن ذلك كله فقد زوّجها الله من فوق سبع سموات، وبهذا كانت تفخر على سائر نساء النبي □ .
 ولكن ماذا؟؟؟!!! كانت تعتريتها حدة تسرع منها الفئنة أي أنها تخرج كلمات شديدة بلسانها ولكن سرعان ما تتراجع عنها.
 لقد جاء زوجها زيد بن حارثة يشكوها للنبي □ قبل أن يتزوجها النبي □ ، والنبي يقول له: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ ولكن ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا، لم تدم بينهما العشرة.

تقول أم المؤمنين عائشة **رضي الله عنها** في وصف أم المؤمنين زينب **رضي الله عنها** وذلك فيما أخرجه مسلم ^(١) في صحيحه وفيه... فأرسل أزواج النبي □ زينب بنت جحش زوج النبي □ ، وهي التي كانت تُساميني منهن في المنزلة عند رسول الله □ ، ولم أر امرأة قط خيرًا في الدين من زينب، وأتقى لله، وأصدق حديثًا، وأوصل للرحم، وأعظم صدقةً، وأشدّ ابتدالًا لنفسها في العمل الذي تصدق به وتقرّب به إلى الله تعالى، ما عدا سورة من حدة كانت فيها تسرع منها الفئنة.

وتقول أيضًا في شأنها، وذلك فيما أخرجه البخاري في صحيحه ^(٢) ... وكان رسول الله □ يسأل زينب بنت جحش عن أمري فقال: «يا زينب، ما علمت، ما رأيت؟» فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت عليها إلا خيرًا. قالت: وهي التي كانت تُساميني من أزواج النبي □ فعصمها الله بالورع.
 وفي الصحيح ^(٣) من حديث أنس قال: جاء زيد بن حارثة يشكو فجعل النبي □ يقول: «اتق الله وأمسك عليك زوجك» قال أنس: لو كان رسول الله □ كاتبًا شينًا لكتّم هذه قال: فكانت زينب تفخر على أزواج النبي □ تقول: زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات.

(١) مسلم (حديث ٢٤٤٢).

(٢) وذلك في حديث الإفك عند البخاري (٤٧٥٠) وهو عند مسلم أيضًا.

(٣) البخاري (حديث ٧٤٢٠).



وعند البخاري أيضاً ^(١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: نزلت آية الحجاب في زينب بنت جحش، وأطعم عليهما يومئذ خبزاً ولحماً، وكانت تفخر على نساء النبي ﷺ، وكانت تقول: إن الله أنكحني في السماء. □

وما هي عاتشة أم المؤمنين رضي الله عنها صديقة بنت صديق!!

أنزل الله براءتها من فوق سبع سموات في آيات تنلى في المحاريب وتحفظ في الصدور وتدرس في المدارس والجامعات ويتعلمها الأطفال في الكتاتيب، ألا وهي آيات تبرئتها من سورة النور: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾!.

* ثم هي فقيهة عالمة، محدثة متفنة، ورعة عابدة.

* ثم إنها جميلة حسناء موصوفة بالحميراء.

* ولكن ماذا!!!!!! إنها لم تتجب لرسول الله ﷺ!!

* إنها غيور شديدة الغيرة رضي الله تعالى عنها.

* فرضي الله عنها وأرضاها وأسكنها فسيح الجنان. اللهم آمين.

أما عن أختها أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها:

فهي ذات النطاقين، نطاق تأتزر به، ونطاق تحمل فيه الطعام لرسول الله ﷺ وأبيها إذ هما في الغار.

أما عن صنيعها مع زوجها فهي زوجة تقوم بخدمة زوجها خير قيام وتعطف له فرسه وتسوسه وتجمع له النوى وتدقه وتحمله على رأسها ^(٢).

ولكن ماذا!!!!!! إنها كانت لا تحسن الخبيز!! فرضي الله عنها وأرضاها.

وختاماً... فنحذر أخواتنا المسلمات مما حذرهن منه رسولنا ﷺ، نحذرهن من كفران العشير.

فإذا صدر من الزوج شيء يكره فلا ينبغي أن تكفر المرأة العشير وتنسى كل إحسانه

إليها فقد حذر النبي ﷺ أشد تحذير وبيّن عليه الصلاة والسلام أن كفران العشير وكفران

الإحسان سبب من أسباب دخول النار، فلما خسفت الشمس على عهد النبي ﷺ وصلى

النبي ﷺ صلاة الخسوف قال بعد صلاته: «إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ أَوْ أَرَيْتُ الْجَنَّةَ فَتَنَّاوَلْتُ مِنْهَا

عُقُودًا وَلَوْ أَخَذْتَهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتْ الدُّنْيَا، وَرَأَيْتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ مَنظَرًا قَطُّ، وَرَأَيْتُ

(١) البخاري (٧٤٢١).

(٢) انظر صحيح مسلم (٢١٨٢).

أَكْثَرَ أَهْلِهَا النَّسَاءَ» قَالُوا: لِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «يَكْفُرُهُنَّ»، قِيلَ: يَكْفُرُنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: «يَكْفُرُنَ الْعَشِيرَ وَيَكْفُرُنَ الْبِحَسَانِ، لَوْ أَحْسَسْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ»^(١)

وأخرج الترمذي^(٢) بإسناد حسن عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَنَا تُؤَدِّي امْرَأَةٌ زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا إِنَّا قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ لَا تُؤَدِّيهِ قَاتِلُكَ اللَّهُ فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكَ دَخِيلٌ يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكَ إِلَيْنَا»^(٣)

وعن الحصين بن محصن^(٤) أَنَّ عَمَّةً لَهُ أَنْتَتِ النَّبِيَّ ﷺ فِي حَاجَةٍ فَفَرَعَتْ مِنْ حَاجَتِهَا، فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: «أَدَاتُ زَوْجٍ أَنْتِ» قَالَتْ: نَعَمْ قَالَ: «كَيْفَ أَنْتِ لَهُ؟» قَالَتْ: مَا أَلَوْهُ إِلَّا مَا عَجَزْتُ عَنْهُ قَالَ: «فَانظُرِي أَيْنَ أَنْتِ مِنْهُ، فَإِنَّمَا هُوَ جَنَّتُكَ وَتَارَكَ»^(٤)
الدعاء...

(١) أخرجه البخاري (٥١٩٧)، ومسلم (ص ٦٢٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) الترمذي (١١٧٤).

(٣) أخرجه أحمد (٣٤١/٤).

(٤) معناه والله أعلم أنك إذا اتقيت الله فيه كانت تقواك لله فيه سبب لدخولك الجنة، وعلى العكس من ذلك إذا لم تتقي الله فيه ولم تؤدي حقه كان ذلك سبباً لدخولك النار.



فهرس الجزء الأول

الصفحة	عنوان الخطبة
٥	المقدمة
٦٥	فضل التوحيد وأهميته
٨٧	الإخلاص وفضله
١٠٢	خطر الشرك وبيان بعض صورته
١١٩	خطر الرياء
١٣٦	قل إن الأمر كله لله
١٥٠	كل شيء بقدر
١٦٤	فضائل القرآن وحملة القرآن
١٨٠	رسولنا وبيان بعض ماله علينا من الحق
٢١١	أثر السنة في فهم القرآن الكريم
٢٣٩	فضل الذكر
٢٦١	ألا بذكر الله تطمئن القلوب
٢٨٧	وقفات مع آيات من سورة القيامة
٣١٠	بر الوالدين
٣٣٠	خطر العقوق وبيان ما ينفع الوالدين بعد الوفاة
٣٥٤	ولا تقربوا الزنا
٣٧٨	خطر الزنا
٣٩٣	الجليس الصالح
٤٢٠	جلساء السوء
٤٤٣	شؤم المعصية
٤٦٠	الحث على الاستغفار والتوبة
٤٧٣	فضل الاستغفار والتوبة
٤٨٧	لا تقنطوا من رحمة الله
٥٠٠	أمور تجلب المودة والمحبة بين المسلمين

٥٢٤	بين الزوجين
٥٤٥	الفهرس

MOSTAFAALADWY.COM